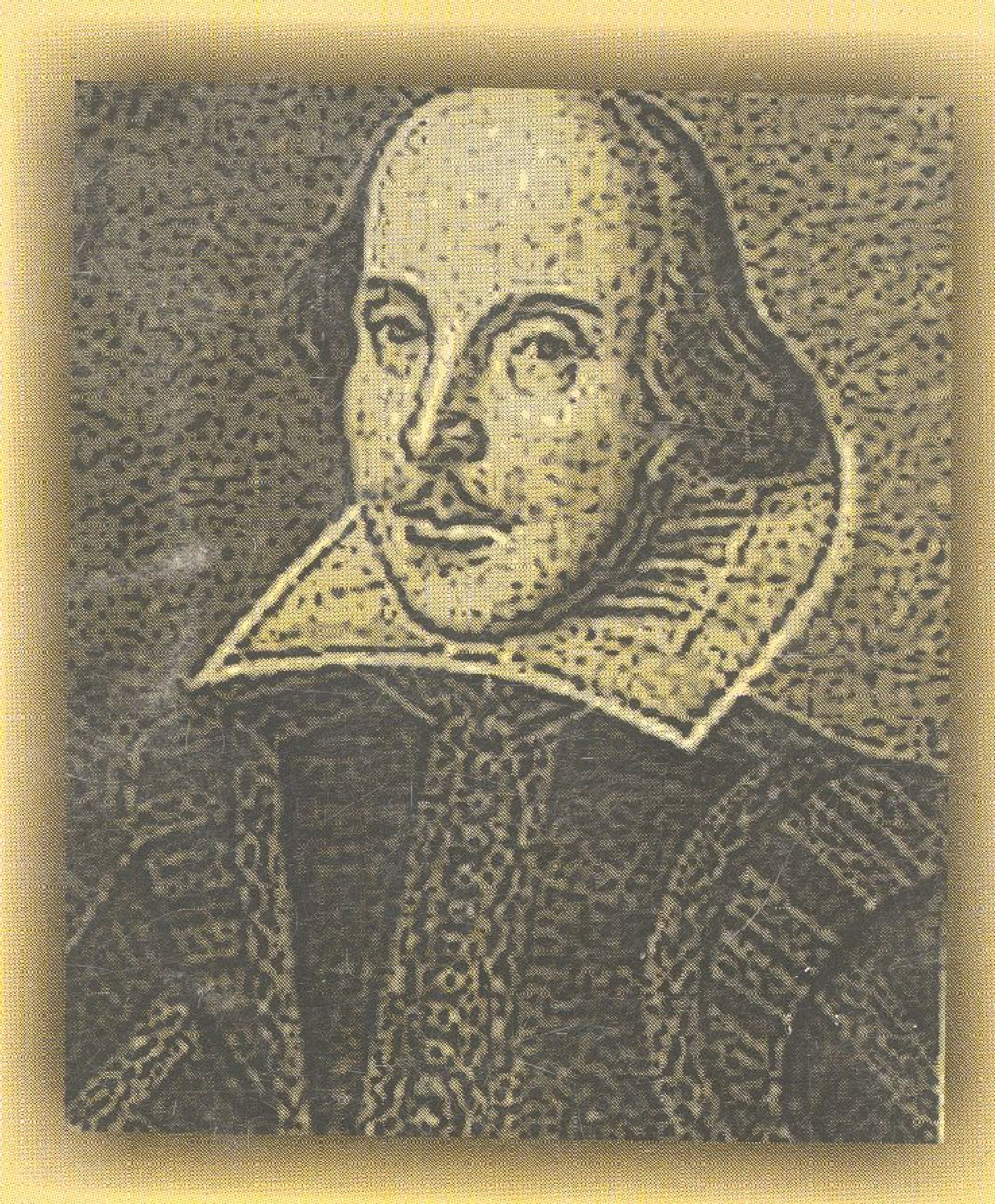
طبعة جديدة

وليم شكسبير

مكبث

متبوع بـ:

العاصفة





مسرحيات شكسبيـر

مكبث متبوع بـ : العاصفـة

الأنيس
السلسلة الأدبية
تحت إشراف مصطفى سواق

صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة
الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007
يهدى ويوضع في المكتبات ولا يباع

وليـــم شكسبيــر

مكبث متبوع بـ : العاصفة

مسرحيات

تقديم : أبو العيد دودو



من مؤلفات وليم شكسبير

تيتوس أندرونيكوس

روميو وجولييت

تيمون الأثيني

تاجر البندقية

حلم منتصف ليلة صيف

كما تهواه

ترويلوس وكريسيدا

ضجة فارغة

ريتشارد الثاني

ريتشارد الثالث

أنطونيوس وكليوبترا

كوريولانوس

سيمبلين

بركليس

حكاية الشتاء

الملك هنرى الرابع

سيدان من فيرونا

ترويض النمرة

الملك جون

الملك هنرى الثامن

تقــديم

سبق لي أن تحدثت في مكان آخر عن حياة شكسبير وعصره ومؤلفاته، ولا أرى داعياً إلى العودة إلى الحديث عن ذلك هنا، وقد يكون من المفيد أن نتحدث قليلاً عن أبطاله قبل أن نتناول المسرحيتين بالدرس والتحليل. فلعل المطلع على شكسبير والمتتبع لأعماله قد لاحظ أن أبطاله ينتمون إلى الواقع، فهم مثله من أبناء هذه الدنيا، التي تحتضن كل ما لهم من مسرات وأحزان، ومن آمال وتطلعات، ورغبات ونزوات. ولم يكن يهمهم ما يحدث بعد هذه الحياة، وهو ما يبرز لنا الفرق بينه وبين دانته مثلاً الذي لا يرى الحياة الدنيوية إلاّ من زاوية الحياة الأخرى، ولذلك لا يني يوجه أنظارهم ومشاعرهم نحوها.

لقد كان شكسبير يعرف ما للثروة من قيمة، وقد كان عصر النهضة نفسه يتطلب ذلك، ومن هنا لم يعر اهتمامه شخصية مثل شخصية فاوست، التي تطمح إلى المعرفة لتتخطى الحدود

المرسومة في طبيعة الإنسان، ولم يهتم كذلك بأولئك الأبطال، الذين يناضلون من أجل قضية فكرية أو دينية ويموتون من أجلها. كان هدفه أن يظهر في أعماله كل ما تنطوي عليه أعماق الإنسان الداخلية من شراسة وقسوة، وهمجية وأنانية، واستعداد كامل للقيام بأفظع الأعمال من ناحية، والتضحية بحياته من ناحية أخرى. ولا يسأل نفسه قبل ذلك هل هو عادل في أفعاله أم ظالم، وهل يجدر به أن يفعل هذا أو ذاك أم لا، فمثل هذه الأمور كلها ثانوية.

إن دوافع البطل الشكسبيري تنحصر في الطموح، أو الثأر، أو حب السلطة، أو الشهوة وما أشبه ذلك، فما إن يحس بشيء من ذلك، حتى يمضي إلى هدفه مسرعاً ويهاجم كما يهاجم الثور الرداء الأحمر، على حد تعبير كارل بوسّه. وهنا يكمن أيضاً الفرق بين أبطاله وأبطال الشعراء الآخرين، الذين تتقاسمهم نوازع مختلفة مثل الصراع بين الحب والواجب، وهو ما ينشأ عنه العمل المسرحي. فنحن لا نكاد نعثر على صراع من هذا النوع عند شكسبير، فليس هناك في مأساة روميو وجولييت حديث عن الضمير ولا عن الحب البنوي ولا عن التفكير في الأمور العملية لحظة واحدة. وفي إمكاننا أن نقول هنا مع كارل بوسّه أيضاً أن أبطال شكسبير يعيشون في الجانب الآخر من الخير والشر، فهم لا يتأثرون بالمفاهيم الأخلاقية والقانونية. ولذلك يبدو البطل أحياناً وكأنه لا يعيش في مجتمع، بل وكأنه غريب عن العالم، وهذا هو أمر هاملت وبروتس، فكلاهما قرأ في الكتب أكثر مما عاش في الحياة

الواقعية، وكلاهما اهتم بالتفكير أكثر مما اهتم بالممارسة، وبما أن لكل منهما بطبيعتهما ضميراً حساساً، ووعياً نافذاً، فإنهما يفقدان توازنهما عندما يطلب منهما أن يقوما بعملية من عمليات الاغتيال، إذ لم يسبق لأي منهما أن فكر لحظة واحدة في العنف، وأي تصرف منهما لا بد أن ينبع من أعماقهما الأصيلة.

وعلى هذه الصورة يقدم لنا شكسبير شخصيات خالدة، لانعدم أبداً العثور عليها في كل زمان ومكان. فتجده يرافق، بوصفه شاعراً، الرغبات الجامحة بصفة لا تخلو من إعجاب وافتتان، وكأنه يشعر بالعطف عليها كما لو أنها قد اتخذت شكلاً حياً، فيرعى نشأتها ويلازمها حتى تنفجر كالعاصفة بكل ما فيها من بروق ورعود. إلا أن العوامل الخارجية لها هي الأخرى بروقها ورعودها حين تتصارع فيما بينها، ولا تلبث أن تنقل صراعها إلى نفسه، فيجد نفسه مضطراً إلى مقاومتها، ولكنها تنتصر عليه في النهاية وتهلكه، لأنه لم يستطع التوفيق بين إرادته وقدرته أو بين رغباته الجامحة وبين تلك القوى الخارجية.

وهكذا لا تنتهي الفعالية التي يقوم بها البطل المأساوي إلاّ بالموت، هذا إذا لم يكن الجنون قد وضع له قبل ذلك نهاية ملائمة لما بذله من جهد مفرد. فمثل هذا البطل لا ينجو بحياته عند شكسبير، عكس ما يحدث عند الشاعر الإيطالي تاسو مثلاً، ذلك أن رغبات هذا البطل الجامحة تهاجم الطبيعة الإنسانية بكل ما لها من حواجز وحدود بحيث يصبح الموت أو

الإنتحار هو المخرج الوحيد. وهذا يعود ولا شك إلى طبيعة شكسبير الجريئة، فهو يقول ما يريد قوله دون خوف أو تردد. ولا بد أن تكون هذه الطبيعة هي التي جعلت فولتير (1694 – 1778) يخلع عليه صفة «السكير الهمجي»، وجعلت تين (1828 - 1893) يبدي بدوره نحوه مشاعر مماثلة. فهما يفضلان «الأقنعة المثالية»، التي تظهر بها على وجهٍ ما الشخصياتُ الملكية عند كورناى وراسبين (1639 - 1699) في مسرحياتهما المختلفة.

لقد اعترف له مختلف النقادر بروعة المزج بين الشخصيات السامية والشخصيات الوضيعة، وبين الخصائص البطولية والخصائص العادية. وأبطاله يتصرفون تصرفاً طبيعياً، ويسلكون سلوكاً بشرياً، فحين يربح أنطونيو المعركة يحتفل بانتصاره ويتناول الشراب حتى الثمل، وكوريولان يمسح العرق عن جبينه بعد عنائه اليومي، ولكن بطل راسين لا يعرف شيئاً من هذا القبيل. وقد وفق شكسبير أيضاً في الجمع بين العناصر المثالية والعناصر الواقعية، ووفق كذلك في الجمع بين المأساة والملهاة وبين الشعر والنثر. فمن مسرحياته ومنها وحدها يبرز أمامنا الإنسان الذي لا نعرف عنه أي شيء تقريباً. ومن المؤكد أن شكسبير كان، فيما يراه بعض من النقاد، أكثر الناس جموحاً في عواطفه ونزواته، وكان بمثابة كرة ما تتقاذها الأهواء العاصفة وضحية أنواع من الانفعالات، ولكنه كان في الوقت نفسه سيدها ومروضها وصاحبها، فكان في ذلك أشبه بالحاوي البارع، الذي يعرف كيف يتحكم في ثعابينه وأفاعيه بمجرد أن تبرز رؤوسها من سلتها.

ولا يستغرب أن يكون كل ما قدمته له الحياة وكل ما أخذه منها، وكل ما شعر به وتعذب بسببه، قد انطلق من صدره إلى شخصياته وأبطاله وأخذ يخاطبها بوضوح تام. لقد أحب شكسبير مع روميو، وفكر مع هاملت، وبحث مع تيمون الأثيني عن الوحدة عندما أحس باحتقاره المرير لأبناء البشر، وفاز مع بروسبيرو بالحكمة الحليمة المتسامحة. ولا جرم أن ما وضعه في مسرحياته من خلال أبطاله، الذين يتوفرون على كل ما في الحياة من وفرة وتنوع، أكثر بكثير مما يبدو لنا فيها، مما يجعلنا نود أن نغوص في هذه المسرحية أو تلك بمجرد أن يتردد في مسامعنا إسم بطل من الأبطال.

حين نتحدث عن شخصية مكبث نجدها، كما عبر عن ذلك الناقد الدنمركي جورج براندیس (1842 - 1927) بصورة دقيقة، مناقضة لشخصية هاملت تماماً. فالأمير الدنمركي ذو شخصية مندفعة، ولكنها رقيقة ومفكرة، تبعث في أعماقها الرغبة في الإنتقام الحيرةُ والقلق والعذاب النفسي، ولكنها لا تشعر بأي ندم بعد أن يتم له الإنتقام من الملك مع أنه كان سبباً في موت أربعة أشخاص قبله. أما مكبث الاسكوتلاندي فهو شخصية أخرى مغايرة، فهو محارب جلف، إلاّ أنه رجل فعل لا رجل قول، يؤدي مهمته وينجزها بعد فترة قصيرة من التفكير، تكتنفه بعد تنفيذ العملية مباشرة هلوسة، ترتسم على وجهه، وتتردد في سمعه، ثم ينتقل - مترنحاً هائجاً كمن اعتراه الهذيان - من قتل إلى قتل آخر.

وقد استمد شكسبير خامة هذه القصة من مصدر مهم، قد يكون هو الوحيد، وهو كتاب هولنشيد «تاريخانجلترا واسكوتلاندا وإيرلندا»، وكان شكسبير قد اعتمد عليه أيضاً في كتابة مسرحياته التاريخية. ويتضمن هذا الكتاب خلاصة مركزة للأحداث التاريخية، التي وقعت في عهد الملك مكبث (1040 - 1057)، وهو ملك أسطوري أكثر مما هو تاريخي، في فترة لا تكاد تتجاوز ثلاثة أشهر. وقد احتفظ شكسبير بالخط الرئيسي للقصة كما وردت في هذا الكتاب، وهي نفسها التي سترد عند تقديم خلاصة موجزة للمسرحية، إلّا أن شكسبير جعل من بانكو، الذي قدمه لنا هو لنشيد على أنه شريك لمكبث في إراقة الدماء، شخصية تختلف عن شخصية مكبث رغم أن بانكو تعرض للإغراءات نفسها التي تعرض لها مكبث، ولم يجرده هكذا من ولائه للملك.

وهذا التغيير، الذي أدخله شكسبير على القصة، جعل من مكبث مركز الأحداث من جهة، وجعل من القصة نفسها إعترافاً بشرعية الملك يعقوب الأول، وهو من أسرة ستيوارت، من جهة أخرى. ذلك أن بانكو يعتبر من الناحية التاريخية جدًّا لهذا الملك. ولا شك أن القيمة التي أعطاها شكسبير للساحرات الثلاث في المشهد الأول من الفصل الأول وفي المشهد الأول من الفصل الرابع تعتبر على نحو ما تنويهاً باهتمامات الملك يعقوب الأول الذي كان قد وضع كتاباً عن «علم الابليسيات (1597)» وكان مؤمناً بالسحر والسحرة.

ويذكر مؤرخو الأدب أن مسرحية «مكبث» قد كتبت عام

1606 ، ولكنها لم تنشر إلاّ عام 1622 نقلاً عن نسخة الملقن التي لحقها الكثير من الفساد، وهي أقصر مسرحيات شكسبير باستثناء «ملهاة الأخطاء» التي لا تصل أبياتها ألفين، وهناك من يعتبرها أيضاً أكثرها كمالاً من الناحية الفنية. ومن الجائز أن تكون قد اختصرت من أجل عرضها على المسرح، وكان الإهتمام باسكوتلاندا قد بدأ عندما توج الملك يعقوب الأول (1604)، ومن أجل ذلك نقلنا المؤلف إلى المروج والقلاع الاسكوتلاندية في وطن الملك الجديد.

وتبدأ المسرحية بشيء من الرعب، أو الخوف على أقل تقدير، وبالدم، فالمشاهد يشعر بالرهبة عندما تطالعه الساحرات الثلاث في المشهد الأول، وهن يجسمن - على الأغلب - أفكار مكبث الطموحة، ولكن ظهورهن قد لا يعدُّ مجرد تجسيد للقوى الروحية، وإنما يعتبر في المسرحية واقعاً فعلياً، وما ينتبأن به غامض وحتمي غموض وحتمية ما كانت تتنبأ به بيثيا في المأساة القديمة. فهن يتنبأنه بمصيره، ويرشدنه إلى الغواية، ولعلهن كن يسخرن منه فوق ذلك. وبعد هذا الرعب أو الخوف يتصور المشاهد الدم، وكأن شكسبير يعده لما هو مقبل عليه من مشاهد مخيفة، حين يهتف دانكن: ما هذا الرجل الملطخ بالدم! ومن هنا يبدأ الحديث عن الدم الذي لا يلبث أن يتشعب ويتفرع وينتهي بالدم، والأحداث المختلفة نفسها تتسم في الأيام الغائمة وفي الليالي المظلمة.

لقد أخبرته الساحرات الثلاث بأنه سيكون سيداً ونبيلاً وملكاً في النهاية، كما أخبرت زميله بانكو بأنه سيكون له أبناء

ملوك. وما إن اختفت الساحرات الثلاث، حتى شعر مكبث بالحسد، لأن ما وعدنه به لم يرض ما في نفسه من طموح، فقد صعب عليه أن يكون أبناء القائد بانكو ملوكاً وألا يكون له هو ورثة لعرشه. وخاطب زميله قائلاً: «أبناؤك سيصبحون ملوكاً!» وفهم بانكو ما دار في خلده، فأجابه: «وأنت ستصبح ملكاً!» وعرف مكبث منذ تلك اللحظة أن له منافساً خطيراً يهدده بذريته. وحين يخبره الرسول بعد حين بأنه قد أصبح أمير كودور، يلتفت من جديد إلى بانكو ويسأله، وكان لسؤاله ما يبرره، فقد تحققت نبؤتان، السيادة والإمارة، مستدرجاً أياه: «ألا تأمل أن يصبح أبناؤك ملوكاً حين تجد أن اللواتي منحنني إمارة كودور قد وعدنهم بالمُلك؟» على أن بانكو ليس له مثل هذا الطموح ولا يصدق ما تنبأت به الساحرات. وعندما يعرف مكبث أن الملك دانكن قد عين إبنه مالكولم أميراً لكمبرلاند، يخاطب نفسه قائلاً: «تلك عتبة أخرى علي أن أكبو عليها أو أطفر فوقها في طريقي!»

ويبدأ مكبث حديثه مع نفسه عن الخير والشر، ومع هذا الحديث ينشأ الصراع في أعماقه. ويكتب رسالة إلى زوجته، يخبرها فيها بإمارته، ويخاطبها بعبارة «يا أعزَّ رفيقة لي في العظمة!» وزوجته ليست في بداية الأمر ممن يعانون من مثل هذا الصراع النفسي، لذلك تعلق على الرسالة قائلة: «ستكون ما وعدت به، ولكني لست مطمئنة إلى طبعك، فهو أملأ مما ينبغي بحليب الإنسانية. أنت تريد العظمة، ولست خالياً من الطموح، إلّا أنك خال من الشر الذي لا بد أن

يصحبه. . . أسرع إلي، فأصب حيويتي في أذنيك، وأطرد بجرأة لساني كل ما يحول بينك وبين التاج الذهبي.» وتشرع في الحين في نسج خيوط المؤامرة قبل أن يصل إليها زوجها، فالملك - بناء على ما أخبرها به بعض الرسل - قد وصل لينزل في ضيافتها وضيافة زوجها مكبث. وراحت السيدة تتصور المستقبل مُلكاً وتاجاً رفيعاً، يرضي قبل كل شيء ما لها هي من تطلع وطموح عنيف.

ووضعت نفسها بذلك في خدمة أهواء زوجها الشريرة، وأرشدته إلى المناسبة التي تمكنه من قتل ملكه، الذي يثق به الثقة المطلقة، فقَتَل الملك دانكن في بيته، وأجهز عليه وهو نائم نومه الهادىء، كما أجهز على الرجلين اللذين كانا قائمين على حراسته، ولطخهما بالدم حتى يلصق بهما الجريمة دون أن يستطيعا الدفاع عن نفسيهما. وكان اغتياله للملك بمثابة انتهاء حياته السوية، وهذا ما عبر عنه فيما بعد بقوله: «لو أنني مت بعد هذا الطارىء بساعة، لكنت قد عشت زماناً مباركاً، فمنذ هذه اللحظة لم يبق ما هو جاد في المصير البشري. كل شيء ألهية، فقد مضى علو السمعة، وانتهى الجمال، ونفدت خمرة الحياة، ولم يتبق منها غير الحثالة!»

واعتلى مكبث العرش، الذي كانت أفكاره تدور حوله منذ زمن طويل حتى قبل أن تتنبأ الساحرات له بذلك، فقد كان في أعماقه يعتبر نفسه أجدر به من الملك، فالقصة الأصلية تجعله يمُتُّ إليه بنسب. ولكن اعتلاءه العرش لم يكن ضماناً تطمئن إليه نفسه، فما زال هناك بانكو، فقد أصبح التخلص

منه ضرورة بعد فرار إبني الملك، مالكولم إلى انجلترا ودونالبين إلى إيرلاندا. فأرسل إليه من يغتاله في الطريق هو وابنه فليانس، فيتمكن القتلة من اغتياله فعلاً، ولكن إبنه ينجو منهم. وفراره هذا يسبب لروحه إرهاقاً جديداً، ولضميره عذاباً متواصلاً. إنه لم يقتل الملك وزميله بانكو فقط، وإنما قتل معهما أيضاً راحة نفسه ونوم ليله الهادىء وصفاء نظرته المطمئنة. فها هي الصور المرعبة تهاجمه من كل الجهات، وها هو شبح بانكو القتيل يظهر أمامه، ويحول مرتين إثنتين بينه وبين الجلوس فوق كرسيه أثناء الحفلة التي أقامها لكبار دولته، ويرغمه على الاعتراف بفعلته أمامهم، ولكن زوجته تعتذر لهم متذرعة بمرضه وبنوبة تعتريه منذ شبابه، وفي النهاية تضطر إلى صرفهم، ولعل خوفه هو الذي جعله يتصور هذا الشبح الذي راح يتحداه في سخرية.

ويحاول مكبث عبثاً التخلص من هذا الخوف، الذي يأكل جوانحه، والقلق الذي يمزق أعماق نفسه، ويسعى إلى دفنه في أعمال دموية أخرى. فيفكر في قتل النبيل مكدف ويقول: «لا بد لمصرعه من دم. . الدم يطلب الدم.» وقرر أن يذهب لاستشارة الساحرات، فقد أصبح من الضروري معرفة أسوأ الأمور بأسوأ الوسائل. ذلك أنه خطا في الدم خطوات بعيدة، وان تخلى عن الدم، فإن تخليه عنه سيكون مؤلماً له مثل المضي فيه بضراوة. وكل ما في رأسه من أمور غريبة يجب أن ينتقل إلى يده. فهذه اليد لم يعد لها ما يجعل الحركة البهيجة تدب فيها غير سفك الدماء.

وتحذره الساحرات من مكدف، أمير فايف، عدوه الذي بدأ يحسب له ألف حساب، ويطلبن منه أن يكون دموياً جسوراً، يسخر مما للإنسان من قوة، فما من وليد لامرأة يستطيع أن يلحق به الأذي، ويؤكدن له أنه لن يقهر أبداً حتى تزحف عليه غابة بيرنام العظيمة وتصل إلى قلعة دنسينان العالية، ولكنهن يرفضن الإجابة عن سؤاله عما إذا كانت ذرية بانكو ستحكم المملكة في فترة متأخرة. ويرسل من يقتل مكدف، غير أنه يفلت منه بدوره ويفر إلى انجلترا، وحين يخبر بفراره يهتف قائلاً: «سأفاجىء قلعة مكدف وأستولي على فايف وأقدم لحد السيف زوجته وأطفاله وكل روح شقية هي من صلبه!» ويقضي على أسرته كلها فعلاً ويذبح أفرادها ذبحاً. ولم يعد في حاجة إلى تشجيع زوجته، بل هي نفسها لن تعد قادرة على ذلك، فقد انتقلت إليها عدوى الخوف والقلق والعذاب، التي كان يعاني منها هو قبل ذلك، فانهارت أعصابها إنهياراً كاملاً، وأصبحت تسير وهي نائمة، تمسح يديها مما علق بهما من دم غير مرئي وتقول.. ما زالت هنا رائحة الدم. إن عطور بلاد العرب كلها لن تطيب هذه اليد الصغيرة. آه، آه، وآه!

وعندما سمع بخروج الانجليز مع من انضم إليهم من الاسكوتلانديين لمحاربته، يشرع في الاستعداد للحرب، فهو لا يخشى الجحيم، ولا نار الحرب، إذ أصبح جامد الحس، ميت العاطفة، حتى اللغة التي كان يستعملها تخلت عن تلك الصور البديعة التي كانت انفعالات النفسية تثيرها قبل ذلك.

لقد صار كل شيء فيه بارداً آلياً لا نفع فيه، وهو الذي قال عن نفسه: «مَرَّ بي زمن كانت حواسي فيه تجمد، إن أنا سمعت زعقة في الليل، وكانت فروة رأسي عند سماعي قصة مرعبة تثار وتتحرك وكأن فيها حياة.» وزاد من شجاعته إيمانه بأن غابة دنسينان لن تتحرك لتصل القلعة وأنه لن يقتله رجل ولدته إمرأة أو يتغلب عليه. ولم يفكر فيما فكرت فيه زرقاء اليمامة حين رأت الأشجار تتحرك بمن وراءها من جنود، وهو ما هو هنا فعلاً.

وعندما تتأكد الأخبار، التي ستعصف به وبملكه، لا يعيرها إهتماماً لما لَهُ من حصانة سحرية، ويؤكد لنفسه أنه سيقاتل إلى أن يجرد لحمه عن عظمه. وهي كلمة تذكر بكلمة شبيهة بها، قالها الطاغية رتشارد الثالث: «لقد انغمست في الدماء، ولا بد أن تدفع الخطيئة إلى الخطيئة، ولا مكان لدموع الرحمة في عيني.» ورغم اعتداده بنفسه يشعر أن لا أمل له في المستقبل، ويبدأ في النظر إلى الحياة نظرة عدمية، فما الحياة عنده سوى حكاية، يحكيها معتوه، ملؤها الصخب والعنف ولا تعني أي شيء. وحين يخبر بموت زوجته وهو في أرض المعركة يكتفي بالقول. لقد كان أولى بها أن تموت فيما بعد، حتى يكون ثمة وقت لكلمة من هذا النوع. ويبدو من هذا كأن «رفيقته في العظمة» لم يعد لها معنى محدد كحياته نفسها.

إن الغابة تتحرك، ولم يبق له ثمة مهرب ولا مكوث كذلك، وقد بدأ يسأم الشمس ويود من أعماق نفسه المعذبة أن يتحطم هيكل الكون كله وينتهي بصورة أبدية. وقد حتم عليه

الآن أن يقاتل في أرض المعركة كالدب حتى نهاية الجولة. ويتساءل عن ذلك الذي لم تلده امرأة... فهو المحارب الوحيد الذي يجب عليه أن يهابه. ويقاتل ويقاتل، وفي النهاية يلتحم مع مكدف في معركة، تزداد حدة باستمرار، وهو يفخر عليه بحصانته، على أن مكدف يفاجئه بأنه ذلك الرجل الذي لم تلده أمه ولادة، وإنما انتزع من رحمها إنتزاعاً قبل الأوان. وعندئذ فهم مكبث ما كان خافياً وما لم يكن يفهم معناه على حقيقته، فلم يستطع الصمود أمام هذا المنزوع من رحم أمه فقتل وصدقت فيه نبوءة الساحرات صدقاً كاملاً من البداية إلى النهاية.

هذا وقد أشار بول دوتان إلى أن مكبث رجل كان من السهل عليه أن يصبح إنساناً، يتمتع بالفضيلة والتقوى والصلاح، ولكن القدر تآمر عليه حين سلط عليه الساحرات من جهة، وامرأةً لا حد لطموحها من جهة أخرى. فكان بذلك بطلاً مأساوياً، ارتكب أخطاء جعلت الشر يتمكن من نفسه، فلم يجد بداً من الاستمرار فيه حتى يصل النهاية المأساوية، التي يستلزمها الطموح المفرط إلى أبعد حدود الإفراط. ولعل ضميره المثقل بالجرائم، ومنها جريمة قتل الأطفال الصغار، هو الذي أفقده صموده أمام مكدف، فاستسلم له، خاصة وأن مكدف كانت تدفعه مشاعر الأبوة إلى الإنتقام منه، فذبحه كما ذبح مكبث صغاره، والإنتقام عنده صورة من صور إقامة العدل وإعادة الأمور إلى نصابها.

ومع ذلك يبقى مكبث قمة من قمم شكسبير الرفيعة ومن أكثرها شموخاً وعمقاً وأصالة.

ونتحدث الآن عن مسرحية «العاصفة»، التي لها أهمية خاصة بالنسبة إلى الأحداث التي سجلها التاريخ في ذلك الحين. فمؤرخو الأدب يعتقدون أن شكسبير كتب هذه المسرحية بوحي من العاصفة، التي شتتت الأسطول الذي هرع آنئذ من انجلترا لمساعدة مستوطنة فرجينيا، فحوصرت سفينة منه بين صخرتين، كانت العاصفة قد دفعتها نحوهما، إلاّ أن ركابها استطاعوا الوصول إلى شاطىء الأمان، وأفلحوا في إنقاذ قسم كبير من حمولة السفينة، وكان ذلك في جزيرة من جزر برمودا المعروفة. ويشير بعض الباحثين إلى مصدر آخر، وهو كتاب ر. آيدن «تاريخ الأسفار». ومما يدل على إطلاع شكسبير على هذا المصدر وجود أسماء فرديناند وسيباستيان وألونزو وغونزالي (غونزالو).

على أن النقاد الألمان يعتقدون أن هناك علاقة بين قصة العاصفة وبين قصة ياكوب آيرر (1540 - 1605)، التي عنوانها «ملهاة الجميلة سيديا وما جرى لها إلى أن تزوجت.» فبعد أن خسر الملك رودولف معركته مع الأمير لويد غاست، وجد نفسه مرغماً على مغادرة إمارته، وخرج يجوب الغابة مع إبنته الوحيدة لا يهتدي إلى سبيل، وهو لا يفكر إلا في الإنتقام، وكان الشيطان رونسيفان يقوم على خدمته. وعندما يخرج لويد غاست للصيد في الغابة، يتمكن الأمير رودولف من أسر ابنه انغلبريخت، فيأخذه معه ويتخذه عبداً، ولكن إبنته تشعر

بالشفقة على الأمير الأسير، بل تقع في حبه، ويفران معاً إلى قصر لويدغاست ليعقدا قرانهما. وعندها يحتد غضب الأمير رودولف ويرسل عبده الغريب الخلقة يان موليتور للبحث عنهما. ويصل إنغلبريخت بمفرده إلى قصر والده، لأنه كان قد ترك حبيبته في مكان آخر على أن يعود بعدئذ لمرافقتها إلى القصر، إلاّ أن ظروفاً من نوع آخر كانت في إنتظاره. ذلك أن أباه كان يريد إرغامه على الزواج من فتاة بولونية، كان قد اختار لها بنفسه. وهكذا لا يجتمع الحبيبان في النهاية إلاّ بتدخل قوى غير طبيعية، ويتصالح الأميران عندما يتم زواج إبنيهما.

ومسرحية «العاصفة» هي آخر مسرحية كتبها شكسبير، وقد تكون ما قبل الأخيرة، ويرى بعض الباحثين أنه ودع بها المسرح. وفحواها أن برسبيرو، دوق ميلانو، كان يحب في دنياه شخصين إثنين، إبنته الصغيرة في الدرجة الأولى ويليها أخوه أنطونيو، غير أن أخاه هذا يسلبه عرشه ويطرده من إمارته بمساعدة ملك نابولي، ويركبه سفينة بحرية تمخر به نحو جزيرة مهجورة، ولم يأخذ معه سوى ألبسة ومواد وأشياء ضرورية، منها كتبه التي كانت أعز عليه من دوقيته، زوده بها النبيل غونزالو، الذي كان يعرف مدى حبه لها. وكان اهتمامه بكتبه، واتكاله على أخيه، وثقته بالناس سبباً في إضاعته لدوقيته.

واستطاع بروسبيرو بفنونه السحرية أن يكون سيد تلك الجزيرة، ويقوم على خدمته فيها - بصفته ممارساً للسحر - الروح الهوائي اللطيف آريل، الذي يستجيب لأوامر سيده،

وينفذ كل ما يطلبه منه، والعبد الممسوخ كاليبان الغليظ الفظ الذي يخرج من جوفه زمجرات غريزية صماء، وكله قسوة وخبث وجهل وكسل وشره ورغبة جنسية قوية، ولعل شكسبير استمد صورته من مقال «عن أكلة لحوم البشر» كان قد نشر عام 1603. وكاليبان هذا ابن الساحرة الجزائرية سيكوراكس، وهي ساحرة قوية تستطيع أن تتحكم في القمر وتسبب المد والجزر، وكانت قد طردت من الجزائر بسبب أعمالها السحرية، التي لا تتحمل سماعها - لروعتها - أذن بشرية، فاعتبرت لذلك غير أهل للمجتمع الإنساني، واستوطنت هذه الجزيرة. وعندما ماتت، تركت إبنها مع خادمها آريل، الذي كان أرق من أن ينفذ أوامرها الأرضية الكريهة، فحبسته في صنوبرة مشقوقة، أخرجه منها بروسبيرو بعد إثنتي عشرة سنة.

عاش برسبيرو مع إبنته، التي حملت في طفولتها إلى هذه الجزيرة ولم تر في حياتها رجلاً غير أبيها، إثنتي عشرة سنة أيضاً في الجزيرة. وذات يوم ظهر له أن يثير بفنونه السحرية عاصفة، فحطمت سفينة، نجا ركابها من الغرق ووصلوا إلى نفس الجزيرة. وكان من بين ركاب السفينة ملك نابولي، وإبنه فرديناند، وأخوه سيباستيان، وأنطونيو، أخو بروسبيرو، والعجوز غونزالو. وقد ظهر لبروسبيرو أن يعاقب الآن أعداءه القدامى بمساعدة آريل. وكان ملك نابولي يعتقد أن إبنه فرديناند قد غرق، فراح يطوف الجزيرة دون هدف، فينيمه بروسبيرو نوماً عميقاً. ولم يكن ابن الملك قد غرق في الحقيقة، لأنه كان قد قفز إلى الماء عندما ثارت العاصفة، وهو يصيح:

«جهنم خويت، وكل الشياطين هاهنا» واستطاع أن ينجو من الغرق.

وعندئذ تبدأ المؤامرات بين من طوحت بهم العاصفة إلى الجزيرة، فأنطونيو، أخو بروسبيرو، يريد أن يقنع سيباستيان، أخا ملك نابولي، بقتل الملك وهو غارق في النوم، بينما يريد هو نفسه القضاء على غونزالو، ولكن آريل ينبه غونزالو إلى المؤامرة التي تحاك ضده وضد الملك، فيبطل المؤامرة. أما كاليبان، الذي انضم إليه الملاح ترينكو والسكير الأبدي ستيفانو، فيرفض أن يظل على خضوعه لطاغية ساحر، وهو بروسبيرو، انتزع منه الجزيرة بخداعه وحيله، ولذلك يدبر هو الآخر مؤامرة لاغتيال سيده، ويقول لأحد رفاقه بصدد ذلك: «عليك أولاً أن تأخذ منه كتبه، فهو بدونها مجرد سكير مثلي، لا يستطيع أن يصدر أمراً لروح واحدة.»

وكان فرديناند قد وصل في أثناء ذلك إلى مغارة بروسبيرو، ووقع من أول نظرة في حب ميراندا، إبنته، وأحبته هي الأخرى، فقد سرها أبلغ السرور أن تجد رجلاً غير أبيها تركن إليه. وبعد اختبارات عديدة لفرديناند، قرربروسبيرو أن يسمح له بالزواج من إبنته. واستطاع الملك بروسبيرو بمساعدة آريل أن يحول دون تنفيذ المؤامرة، التي دبرها كاليبان ومن معه من رفاق السوء. ويصل ركاب السفينة إلى مغارة بروسبيرو، وهم في حالة قريبة من الجنون، وحين وجدوا أنفسهم هناك تصوروا أن الملك سينتقم منهم أفظع إنتقام، ولا سيما بعد أن ذكرهم آريل بأنهم ثلاثتهم قد اقتلعوا الملك من

ميلانو، وعرضوه لبحر هو وطفلته البريئة، فجازاهم البحر على ذلك.

على أن بروسبيرو يشفق عليهم عندما يرى ما وصل إليه أمرهم، فقد أدرك أن العمل الأكثر ندرة يتمثل في الفضيلة لا في الإنتقام، وما داموا قد ندموا على ذلك، فإن غايته لا تطمح إلى أكثر من الندم. ويأمر آريل بإطلاق سراحهم، لأنه ينوي أن يخفي رقاه، ويعيد إليهم رشدهم، فيثوبوا إلى أنفسهم. فيعبر ملك نابولي عن ندمه بقوله: «هاأنذا أعيد إليك دوقيتك، وأتوسل إليك أن تغفر لي ما صدر عني من عمل لم يكن بي لائقاً.» ويتوجه الملك إلى أخيه أنطونيو. ليقول له: «أما أنت، يا أخبث السادة - لودعوتك بأخي لأُصيبَ حتى فمي بعدوَى - فإنني أغفر لك أشنع سيئاتك كلها وأطالبك بدوقيتي، التي أعلم أنك ستعيدها إلي مجبراً.»

وهنا يطرح غوانزالو سؤالاً، يعيد إلى أذهاننا بعض ما حدث في مكبث، ويتصل بما إذا كان قد نفي صاحب ميلانو من مدينته ليصبح أحفاده ملوك نابولي؟ ويعترف بروسبيرو في النهاية بقوته الحقيقة، فيقول: «لقد رميت الآن رقاى السحرية، وما بي من قوة سوى قوتي أنا وما أوهنها من قوة.» ثم يضيف إلى ذلك قوله: «سأعود بنفسي إلى ميلانو، حيث سيكون كل خاطر ثالث في بالي هو موتي.» ولعل هذه الكلمة الأخيرة تُعبر عن اعتقاده بأن نهايته - بعد كل هذا المنفى - لم تعد بعيدة.

ويرى بعض النقاد أن لتحديد كتابة هذه المسرحيةبتاريخ معين أهميةً كبيرةً فيما يتصل بسيرة الشاعر الذاتية. فإذا كان تاريخ كتابتها يعود إلى عام 1610 أو 1611، فإنه من الضروري عندئذ أن نلحقها بالمجموعة المتكونة من «حكاية الشتاء» و «سيمبلين»، التي خفت فيها حدة التشاؤم وما يترتب عليه من فلسفة سوداء، تميزت بها مسرحية هاملت والملك لير وعطيل ومكبث وتيمون الاثيني. ففي مسرحية العاصفة إتجاه واضح نحو التفاؤل والثقة بالمستقبل. وهناك كذلك من يرى في شخصية بروسبيرو، الذي يكسر عصاه السحرية ويرمي بكتاباته في البحر - يرى فيها صورة شكسبير الذي تخلى عن الخلق الشعري وأحال نفسه على التقاعد. فقد أصبح مسرحه قديماً بعد أن وصلت المخترعات الإيطالية من ستار وكواليس ومشاهد وآلات إيهامية إلى بلاط يعقوب الأول، فانتقل بذلك الدور إلى بن جونسون، منافس شكسبير، ليخضع مسرحياته للتجهيزات الفنية الجديدة.

تقع الجزيرة المسحورة جغرافياً فيما بين تونس ونابولي، أما فكرياً فهي ليست من هذا العالم، إنْ هي إلّا جزيرة خيالية وبلد مثالي، يصلح أن يكون مكاناً لتجربة فكرية. وقد تساءل أحد النقاد تساؤلاً مشروعاً، وهو ماذا سيحدث يا ترى لو أتيح لإنسان مفكر أن يسيطر على جزيرة من هذا النوع؟ فبروسبيرو هو سيدها وكل ما يحدث فيها، كيفما كانت طبيعته، هو المتسبب فيه أو هو قادر على أن يحوله إلى الشكل الذي يريده هو نفسه. وبروسبيرو لم يستمد قوته هذه من الطبيعة، وإنما

استمدها من الكتب، وأخذها من مكتبته الخاصة، ذلك أنه مثقف، وليس لأقوياء هذه الأرض إلاّ أن يصابوا بالإغماء في ميدان حكمه. لقد أصبح بفضل روحه الهوائي آريل سيد العناصر، وآريل هذا لا ينتمي هو والأرواح التي تخدمه إلى الشياطين الطبيعية، التي سيطرت مثلاً على مسرحية «حلم ليلة صيف»، وإنما هو روح من روح بروسبيرو، روح صاف يسود الطبيعة الشيطانية. وهذه صورة من صوره فقط، فهو عند كولريدج يمثل الخيال الحر، وعند هازلت يمثل الروح في مقابل المادة، وعند شليغل يمثل الهواء الخفيف في مقابل العنصر الثقيل، أي الأرض. وهكذا تبدع العبقرية، كما يقول دوتان، شخصيات يفسرها كل عصر من العصور على نحو خاص به وحده.

لقد تخلى بروسبيرو إذن عن أعماله السحرية، وسافر إلى ميلانو، وتخلى شكسبير عن عمله وسافر إلى ستراتفورد. لقد سحر مرة أخرى ولعب حيناً مع آريل، الروح، وحيناً آخر مع كاليبان، الوحش، وخلق عالماً شبيهاً بعالمنا، ولم يستطع تحريره بطبيعة الحال إلاّ عن طريق الخرافة - تطهير العالم لا يتم إلاّ بواسطة السحر. . وما أبعده منالاً! وقد يكون هذا هو ما جعل شكسبير يودع الدنيا ببسمة ساخرة ونظرة حزينة. . من خلال هذه المسرحية. فبعد ابتعاده عن الإبداع بسنتين احترق، مسرح غلوب «الذي قدمت فوقه مسرحياته، ومات هو بعد ثلاث سنوات. وبعد عشرين سنة وضع كالدرون، الكاتب المسرحي الاسباني (1600 - 1681)، السلطة في يد أحد

الأقوياء، لا يستعملها هو الآخر في الإنتقام. ويكتب كالدرون أبياتاً من الشعر، تعيد إلى أذهاننا ما ذهب إليه بروسبيرو: «نحن من المادة من نفسها، نحن من الأحلام، والنوم يحيط بهذه الحياة الصغيرة.» وهذا الرأي نفسه عبر عنه سوفوكليس في أجاكس بقوله: «لسنا أكثر من أحلام، وما حياتنا إلاّ ظل عابر.».

ويرى باول أرنولد أن الحدث الجوهري في مسرحية العاصفة يتمثل في صراع طبقة من الملائكة مع أحفاد الشياطين، فكل فرقة يقودها ساحر، ساحر أبيض يقودها إلى الجهة اليمنى، وساحر أسود يقودها إلى الجهة اليسرى - أرواح من «شجرة الحياة» (القداسة) وأرواح من «شجرة الخير والشر» (النزوات الشهوانية)، وفي غمرة الأحداث المثيرة إلى نهاية العالم ينتصر ملك الحياة على سلالة الخنازير والغربان، على سيكوراكس، ملك الموت. والزواج الشرعي القائم على أسس فكرية إنما هو الإعلان الأرضي عن شجرة الحياة. أما اللذة فهي الثغرة، التي تحاول أرواح الخير والشر النفاذ منها إلى العالم الظاهري حاملة إليه الفساد الأبدي.

ولا غرو أن في وسعنا أن نعتبر بروسبيرو روح شكسبير، فهو قوة قلمه، وقوة فكره، وقوة وجدانه، هو هذه القوى الثلاث، التي بشرت بإنسانية جديدة، لم تعرف النهضة مثلها قبل ذلك. وما النهاية السعيدة بالنسبة لجميع شخصيات المسرحية إلا رمز لتلك السعادة، التي تركها شكسبير لكل من يقرأ

ويحب ويفكر في هذه الحياة بما فيها من قمم وانحدارات لا تنفصل عن الطبيعة واقعاً ووجداناً وفكراً غير محدود.

أبو العيد دُودُو

هوامش:

1- أنظر هاملت وعطيل، في سلسلة «الأنيس».

2- أنظر مقدمتنا لهاملت وعطيل في سلسلة «الأنيس».

المصادر:

هذه هي المصادر المعتمدة في كتابة المقدمة :

أ – المصادر العربية والمترجمة :

1 - إيفانس ، إيفور، موجز تاريخ الأدب الانجليزي ، ت السكري ، القاهرة ، 1960 .

2- برادلي ، ا . س . التراجيديا الشكسبيرية ، ت حنا إلياس ، القاهرة؟

3 - خلوصي ، صفا ، دراسات في الأدب المقارن والمذاهب الأدبية ، بغداد ، 1958 .

4- دوتان ، بول ، الأدب الانجليزي ، القاهرة 1948 .

5- العقاد ، عباس محمود ، التعريف بشكسبير ، القاهرة؟

6- عوض ، لويس ، البحث عن شكسبير ، القاهرة ، 1968 .

7 - كوت ، يان ، شكسبير معاصرنا ، ت جبرا ، بغداد ، 1979 .

ب – المصادر الألمانية :

(1) Busse, Carl, Geschichte der Weltlitacratur, 2 Bdc. Leipzig 1910

(2) Hensel, Goerg, Spielplan, 2 Bde. berlin 1966

(3) Kindlers Literatur Lexikon, 25 Bde. Zürich 1974

(4) Mann, Otto, Geschichte des deutschen Dramas, Stuttgart 1963

ج – المصادر الانجليزية :

(1) Smith, D. Nichol, Shakespeare Criticism, London 1961

(2) White Anne Terry, Shakespeare and the Globe Theater, New york 1955

د - المصادر الفرنسية :

(1) Dalatre, F. , les chansons Elézabethaines, Paris 1948
(2) Shakespeare en france, Etudes Anglaises, Paris 1960
(3) Shakespeare ,Wiliam, la Tempete, Text et Trad. J. Aynard, Paris 1947
(4) Shakespeare W. Mackbet, Text et Trad. M.Castelain, Paris 1937
(5) Shakespeare, La Tempete, Text et Trad. J. Aynard, Paris 1947

مـــكـــبـــث

أشخاص المسرحية

دنكن ، ملك اسكوتلنده		Duncan
دونالبين	إبنا الملك .	Donalbain
مالكولم		Malcolm
مكبث	قائدا الجيش الإسكوتلندي .	Macbeth
بانكوو		Banquo
مكدفّ	نبلاء اسكوتلنده .	Macduff
لينوكس		Lennox
روص		Ross
منثيث		Menteith
آنغس		Angus
كاثنيس		Caithness
فليانس ، ابن بانكوو		Fleance
سيوارد ، ايرل نورثمبرلاند ، قائد القوات الإنكليزية .		Siward
سيوارد الابن .		Siward Young
سيتون ، ضابط مرافق لمكبث .		Seyton

صبي، ابن مكدف .	Boy, Son to Macduff
بوّاب .	A Porter
رائد	A Captain
طبيب إنكليزي .	An English Doctor
طبيب اسكوتلندي .	A Scottish Doctor
شيخ .	An Old Man
ليدي مكبث .	Lady Macbeth
ليدي مكدف .	Lady Macduff
وصيفة، ترافق ليدي مكبث .	A Gentlewoman
أخوات القدر، ثلاث ساحرات .	The Weird Sisters
ثلاث ساحرات .	Three Witches
هكاته، ربة الساحرات .	Hecate
شبح بانكوو.	The Ghost of Banquo
أطياف .	Apparitions

لوردات، سادة، ضباط، جنود، قتلة،
مرافقون، رُسُل .

الفصل الأول

المشهد الأول
مكان في العراء

(رعد وبرق. تدخل ساحرات ثلاث[1]).

ساحرة1: متى نلتقي ثانية نحن الثلاث
في رعود وبروق وأمطار كاللهاث؟
ساحرة 2: حين يكف الهرج والمرج رعباً
ويمسي القتال خسراناً وكسباً.
ساحرة 3: ذلك قبل مغيب الشمس حاصل.
ساحرة 1: أما المكان؟
ساحرة 2: ففي القفراء مائل.
ساحرة 3: حيث نلتقي بمكبث.
ساحرة 1: قطتي الشهباء، لبيك![2]
ساحرة 2: علجومتي تنادي!
ساحرة 3: لبيك، لبيك!
الثلاث معاً: الجميل هو الدميم، والدميم هو الجميل على الدوام
فهيا حمّوا في حلكة من ضباب وقتام.

(يخرجن)

المشهد الثاني
معسكر

(نفير من الداخل. يدخل الملك دنكن، مالكولم، دونالسبين، لينوكس، مع مرافقين، ويلتقون برائد جريح ينزف.)

دنكن: ما ذاك الرجل المضرج بالدم(3)؟ بوسعه إخبارنا.
كما يبدو من سوء حاله، بأحدث
مراحل العصيان.

مالكولم: هذا هو الضابط الذي
قاوم الأسر، كما هو قمين
بالجندي الباسل الصلب. مرحباً بالصديق الشجاع!
أدْلِ للملك بما تعرف عن المعمعة
كما كانت حين تركتها.

الرائد: لقد ظلت بين بين:
كسبّاحين منهكين يتشبث كلاهما بالآخر
فيخنقان فنهما. والجائر مكدونالد
(وما أجدره بالتمرد، إذ لتلك الغاية
راحت نذالات الطبيعة المتكاثرة

تنغل عليه) من جزر الغرب يأتيه
مَدَدٌ من المشاة والخيّالة ،
وربة الحظ ابتسمت لعصيانه اللعين
وبانت كبغي تهوى متمرداً . ولكن ضعفه ظل بادياً .
لأن مكبث الجريء (وما أحقه بهذا النعت)
يزدري بربّة الحظ ، وبسيفه المسلول الذي
يبخر الدم منه لكثرة ما ضرب ،
يشق طريقه ، وهو للشجاعة حبيبها ،
حتى يجابه العبد .
ولم يصافحه أو يودعه حتى
قدّه قدّاً من السرّة إلى الشدقين ،
وغرز رأسه على شرفات قلعتنا .
دنكن : يا لابن عمي الشجاع ! يا سيد المروءات ! [4]
الرائد : وكما من حيث تبدأ الشمس ارتدادها[5]
تنطلق العواصفُ المحطمةُ السفنَ والرعودُ الراعبة ،
هكذا من المصدر نفسه الذي يبدو الأمان قادماً منه ،
يتصاعد الخطر . فانظر، يا ملك اسكوتلندة ، أنظر!
ما كادت العدالة ، مسلحةً بالبأس ،
تُكره المشاة المنطنطين على تولية أدبارهم
حتَى ابتهل سيد النرويج الفرصة ،
وبأسلحة مصقولة ومدد جديد من الرجال

شرع بهجوم ثان.
دنكن: أو لم يُفزع هذا
قائدينا، مكبث وبانكوو؟
الرائد: بلى،
كما يُفزع البغاثُ النسورَ، أو الأرنبُ الأسد.
وإذا قلت الصدق، فعلي أن أعلمكم أن كليهما
كان كمدفع مشحون ببارود مزدوج،
فراحا يكرران الضرب على العدو مكرراً:
هل كانا يبغيان إستحماماً بالجراح الشاخبة
أم إحياء لذكرى جلجلة ثانية،
لست والله أدري –
ولكنني وهنت، وطعناتي تطلب العون.
دنكن: ما أجمل كلماتك بك، كجراحك!
في كلتيهما مذاق الشرف. – عليكم بتطبيبه.

(يخرج الرائد برفقة مساعدين)

يدخل روص وآنغس
من القادم هنا؟
مالكولم: الكريم أمير روص.
لينوكس: يا للعجلة المطلة من عينيه! هكذا يبدو
من يريد قول أشياء غريبة.
روص: عاش الملك!

دنكن: من أين أنت قادم أيها الأمير؟
روص: من فايف، أيها الملك العظيم.
حيث البيارق النرويجية كانت تهزأ من السماء
وتَرِفُّ إخماداً لنار رَبْعنا. سيدُ النرويج نفسُه،
ومعه أعداد مريعة
ويسنده ذلك الخائن الناكثُ عهدَه
أميرُ كودور، شرع في قتال مرير.
إلى أن جابهه عريس ربة الهيجاء(6)، مكسواً بالحديد،
بمثل ما لديه،
سيفاً لسيف، سلاحاً متمرداً لسلاح،
كابحاً إقدامه الوقح. وختاماً،
كان النصر حليفنا –
دنكن: يا للسعادة!
روص: وراح الآن
سوينو، ملك النرويج، يرجو التفاهم.
ولم نسمح له بدفن قتلاه
إلى أن دفع لنا في جزيرة سانت كولم
عشرة آلاف دولار (7) لأغراضنا العامة.
دنكن: لن يخون أمير كودور بعد اليوم
مصالحنا الداخلية. – إذهب واعلن مصرعه،
وبلقبه السابق حَيِّ مكبث!

روص: سأفعل.

دنكن: ما ضيّعه كودور غدا كسباً للنبيل مكبث.

المشهد الثالث

قـفـراء

(رعد. تدخل الساحرات الثلاث)

ساحرة 1 : أين كنت يا أختاه؟

ساحرة 2 : أقتل الخنازير.

ساحرة 3 : وأنت يا أختاه؟

ساحرة 2 : لقيت زوجةَ بحارٍ والكستناء في حِجْرها

وهي تمضغ، وتمضغ، وتمضغ.

«أعطيني» قلت لها

«انقلعي، يا ساحرة!»

صاحت الحيزبون المدللة.

زوجها إلى حلب قد سافر، وهو ربان «النمر»[8]،

لكني في غربال سأبحر إلى مركبه،

وكجرذَوْن بلا ذيل

سأفعل، وأفعل، وأفعل. [9]

ساحرة 2 : سأعطيك ريحاً واحدة[10]. . .

ساحرة 1 : لك شكري.

ساحرة 3: ومني أخرى واحدة.
ساحرة1: أنا لديّ الأخريات،
والموانيء التي تهب منها وعليها،
والأماكن التي تعرفها
في خرائط البحارة كلها.
جفافَ القش سأجففه
من رأسه حتى قدميه
والنوم لن يعلق حتى بالهُدْب من عينيه
في حُلْكة الليل أو وضح النهار.
ملعوناً سيحياً، بل طريد اللعنات.
ولسبع ليالٍ، مضروبةٍ بتسعٍ تسعَ مرات،
سيصاب بالضمور، والنحول، والهزال: (11)
ولئن عجزتُ عن إفقاده سفينته،
جعلتُها ألعوبةً للزوابع المزمجرات.
أنظرا ما عندي.
ساحرة2: أريني، أريني.
ساحرة 1: عندي إبهام ملاح
تحطمت عند عودته سفينته.

(صوت طبل من الداخل)

ساحرة 3: طبلٌ، طبلُ!
مكبث القادم!

كلهن معاً: أخواتُ القدَر المسرعاتْ
عبر الأراضي والبحار
يدرن كذا في حلقاتْ
يداً بيد.
لكِ ثلاثٌ، ولي ثلاث[12]،
وأخرى ثلاثٌ تثلث الثلاث...
كفى! فالرقية استوت!

(يدخل مكبث وبانكوو)

مكبث: يوماً دمياً وجميلاً كهذا ما رأيت قط.
بانكوو: ما المسافة إلى فورس؟ – ما هؤلاء
الذاويات المشعثّات بلبوسهن،
لا يشبهن أهل الأرض،
ولكنهن عليها؟ أأحياء أنتن؟ أو كائنات
يجوز للأنس سؤالكن؟ [13] يبدو أنكن تفهمنني،
إذ تضع كل منكن أصبعها المشققة
على شفتيها الجلديتين: لا بد أنكن نساء
ولكن لحاكن تمنعني عن تأويلكن كذلك.
مكبث: انطقن – إن استطعتن! من أنتن؟
ساحرة1: سلاماً يا مكبث، سلاماً يا أمير غلامس!
ساحرة2: سلاماً يا مكبث، سلاماً يا أمير كودور!
ساحرة3: سلاماً يا مكبث، يا ملكاً فيما بعد!

بانكوو: سيدي الكريم، أراكَ تجفل، وتبدو خائفاً
من أمورٍ جميلٌ سمْعُها؟ - ألا حلّفتكن،
أمن خلق الخيال أنتن، أم أنتن حقاً
ما تبدين في ظاهركن؟ زميلي النبيل
تحيينه بها أُنعِم للتو عليه، وبالتنبؤ الكبير
بنُبْلٍ وشيك، وبأمل في المُلْك،
حتى هو مشدوه مما سمع: أما معي فلا تتكلمن.
إن يكن بمقدوركن التمعّن في بذور الزمن
فتعرفن أيها سينمو، وأيها لا،
حدثنني - أنا الذي لا أرجو منكن معروفاً
ولا أرهب منكن كراهية.
ساحرة 1: سلاماً!
ساحرة 2: سلاماً!
ساحرة 3: سلاماً!
ساحرة 1: أقلّ شأناً من مكبث، وأعظم.
ساحرة 2: أقلّ منه سعادة، ولكن أسعد بكثير.
ساحرة 3: ستلد الملوك، وإن يَفُتْكَ أنت المُلْك.
ولذا، سلاماً يا مكبث، ويا بانكوو!
ساحرة 1: يابانكوو ويا مكبث، سلاماً، سلاماً!
مكبث: مكانكُنّ، يا ناقصات النطق! أخبرنني بالمزيد.
أنا أعلم أنني الآن، بموت ساينل، أمير غلامس.

ولكن كيف أمسيتُ أميرَ كودور؟ أميرُ كودور في قيد الحياة
سيد متنعم [14]. وأن أجعل في منظور الصدق
صيرورتي مَلِكاً، بعيدٌ بُعْدَ كوني أميرَ كودور.
من أين لكن هذا العلم الغريب؟ ولماذا
توقفن سيرنا في هذه الفلاة الممطرة بالصواعق
بهذه التحيات النبوية؟ تكلمن! آمركن!

(تتلاشى الساحرات)

بانكوو: للأرض فقاقيع، كما للماء،
وهؤلاء منها. - أين تلاشين؟
مكبث: في الهواء. وذاك الذي بدا مجسّداً
ذاب كنفخة في الريح. ليتهن تريثن!
بانكوو: هل كانت هنا كيانات كالتي نتحدث عنها،
أم أننا التقمنا جذور المجانين [15] التي
تجعل من العقل أسيراً؟
مكبث: أبناؤك سيصبحون ملوكاً. . .
بانكوو: وأنت ستصبح ملكاً. . .
مكبث: وأمير كودور أيضا، ألم يقلن ذلك؟
بانكوو: بل بالنغمة ذاتها، والكلمات. . . من هنا؟

(يدخل روص وآنغس)

روص: لشد ما سعد الملك، يا مكبث،
بأنباء نجاحك. وعندما اطلع على

مغامرتك بشخصك في حرب المتمردين ،
تصارعت دهشته مع مدائحه ،
أيدهش لنفسه أم يمدحك أنت : وإذ أسكته ذلك ،
واستعرض بقية ذلك النهار بالذات
فوجدك في صفوف النرويجي الضخمة ،
غير خائف ما كنت تصنع أنت بنفسك -
صُوَراً للردى عجيبةً . وكالبَرَد الغزير
جاء الرسول مع الرسول ، وكل منهم يحمل
المدح لك لدفاعك العظيم عن مملكته ،
ليصبّه بين يديه .
آنغس : لقد أُرسِلْنا
لنُهديك الشكر من سيدنا الملك ،
لنرافقك إلى حضرته وحسب ،
لا لنَجزيك .
روص : وعربوناً لتكريم منه أكبر،
أمرني أن ألقبك ، نيابةً عنه ، «أمير كودور» .
وها أني بهذا اللقب المضاف أحييك ، أيها الأمير الكريم ،
لأنه الآن لك .
بانكوو : ماذا أينطق الشيطان بالصدق؟
مكبث : أمير كودور حيٌّ يرزق . لماذا تُلبسونني
أردية مستعارة؟(16)

آنغس: ذاك الذي كان أميراً، ما زال حياً،
ولكنه تحت حكم ثقيل يحمل تلك الحياة
التي يستحق فقدانها. هل انضم
لرجال ملك النرويج، أم أنه أمد المتمرد
في الخفاء بالعون والفرصة، أم أنه مع كليهما
سعى في تدمير وطنه، لست أدري.
غير أن الخيانات العظمى التي اعترف بها وثبتت عليه
قلبت عليه أحواله.
مكبث: (جانبياً) غلامس، وأمير كودور:
والأعظم فيما بعد. (لروص وآنغس) شكراً لأتعابكما.
(لبانكوو) ألا تأمل أن يصبح أبناؤك ملوكاً
حين تجد أن اللواتي منحنني إمارة كودور
وعدنهم بالمُلك؟
بانكوو: إن أنت صدقت ذلك الصدق كله،
ربما ألهب فيك الأمل في التاج،
فضلاً عن إمارة كودر. ولكنه أمر غريب:
فكثيراً ما تحدثنا وسائط الظلام بالحقائق
لتؤدي بنا أخيراً إلى الأذى.
إنها تكسب رضانا بتوافه صادقة، لتخوننا
في أعمق الأمور خطورة.
يا أولاد العم، كلمة، رجاء.

(يتنحي بروص وآنغس)

مكبث: (جانبياً) حقيقتان قيلتا
توطئتين مشرقتين للفصل المتنامي
حول الموضوع الملكي. شكراً، أيها السيدان.
(جانبياً) هذا الخطاب الخارق للطبيعة
لا هو بالشر، ولا هو بالخير:
فإن يكن شراً، لماذا يمنحني عربونا بالنجاح،
بادئاً بحقيقة صادقة؟ أنا أمير كودور:
فإن يكن خيراً، لماذا أراني أستسلم لذلك الإيحاء الذي
صورته الراعبة[17] ينتصب لها شعري
وتجعل قلبي المستكين يقرع أضلاعي،
شذوذاً عن طبيعتي؟ إن مواضع الخوف الراهنة
لأخف وقعاً من التخيلات المرعبة.
وإن فكري الذي ليس القتل فيه إلا متخيلاً
ليزلزل كياني الموحد إنساناً
حتى ليختنق الفعل في التكهن،
وما من حقيقي إلا الذي ليس بالحقيقي[18]
بانكوو: أنظر كيف وقف مشدوهاً زميلنا.
مكبث: (جانبياً) إن كان للحظ أن يجعلني ملكاً، فللحظ أن يتوجني.
دونها حراك مني.
بانكوو: تأتيه ألقاب التكريم الجديدة

كثيابنا الغربية ، فلا تلصق بهيكلها
إلا بعون من الإستعمال .
مكبث : (جانبياً) مهما حدث
فإن أعسر الأيام يخرقها الزمن والساعة .
بانكوو : أيها الكريم مكبث ، نحن في إنتظار لطفكم .
مكبث : إمنحوني عفوكم ! دماغي المتبلد قد أثير
بأمور منسية . أيها الفاضلان ، أتعابكما
سُجِّلت حيث سأقلب الصفحات كلَّ يومٍ
لأقرأها . هيا بنا إلى الملك .
(لبانكوو) فكر بالذي صادفنا . وحين يتسع الوقت ،
وقد وَزَنَتْهُ الفترة اللاحقة ، دعنا نَبُحْ
كل بما في قلبه للآخر ، بحرية .
بانكوو : مع عظيم سروري .
مكبث : وحتى ذلك الحين ، كفى . أيها الصحب ، هيا .

المشهد الرابع[19]
فورس . . . غرفة في القصر

(نفير. يدخل دنكن ، مالكولم، دونالبين ، لينوكس ، ومرافقون)

دنكن: هل نفذ الإعدام بكودور؟ أم أن
المكلفين بالأمر لم يعودوا بعد؟
مالكولم: مولاي ،
لم يعودوا بعد. إلا أنني تحدثت
مع رجل رآه يموت ، فأخبرني
أنه اعترف بخياناته بصراحة كبرى ،
والتمس العفو من جلالتكم ، وأبدى
عميق الندم. لم يلق به شيء
في حياته مثل مغادرته لها: لقد مات
كمن لقّن نفسه الموت ،
ليقذف عنه بأعز ما يملك
وكأنه تافه بخس.
دنكن: ليس ثمة فن به
نكتشف بنية العقل في ملامح الوجه[20]:

لقد كان سيداً أقمت عليه
ثقة مطلقة .

(يدخل مكبث ، بانكو، روص ، وآنغس)

ألا أهلا ، يا ابن عمي الكريم!
كانت خطيئة عقوقي حتى الآن
ثقيلة علي . لقد سبقتنا بمدى بعيد
فغدا أسرع الثواب جناحاً أبطأ
من أن يلحق بك : ليتك كنت أقل إستحقاقاً
فيتعادل عندي الشكر والجزاء!
ولم يبقَ لي إلا أن أقول
إنك أكثر أهلاً لأكثر مما يستطيع الكل جزاءك .
مكبث: ما أنا مدين به من خدمة وولاء .
إذ أؤديها ، هو الجزاء . دَوْرُ جلالتكم
هو تَلَقي واجباتنا : وواجباتُنا
هي إزاء عرشكم ودولتكم ، أولادكم وخدمكم ،
وهي تؤدّى كما ينبغي لها أن تؤدى ، بفعل كل شيء
يضمن سلامة حبنا و إكرامنا لكم .
دنكن: مرحَباً بك هنا .
بدأت أزرعك ، وسأجهد
في جعلك مليئاً بالنمو – بانكوو النبيل ،
ليس استحقاقك بأقل ، ولن يكون

أقل ذيوعاً، دعني أعانقك
وأضمك إلى قلبي.
بانكوو: إذاً نموت هناك،
فالحصاد حصادك.
دنكن: أفراحي الكثيرة
تطيش بوفرتها، فتحاول أن تتخفى
في قطرات من الحزن. - أيها الأبناء، والأقرباء، والأمراء،
وأنتم أقرب الناس منازل إلي، اعلموا
أننا أولينا وراثتنا
إبننا البكر مالكو، الذي نلقبه منذ هذه الساعة
أمير كمبرلاند[21]. وهذا التكريم
لن نجعله له وحده، يتيماً،
بل سنجعل شارات النبل تتألق كالنجوم
على كل ذي جدارة. - من هنا سنذهب إلى انفرنيس،
ولتتوثق الروابط بيننا!
مكبث: أما البقية فجهد، لا عليكم به.
سأكون أنا الرسول، فأفرّح
سمع زوجتي بمقدمكم.
ولذا، فإني بخضوع أستأذنكم.
دنكن: ما أنبلك يا كودور!
مكبث: (جانبياً)[22] أمير كمبرلاند! - تلك عتبة

عليّ أن أكبو عليها، أو أطفر فوقها،
لأنها في طريقي. أيتها النجوم، أخفي نيرانك!
لا تدعي النور يرى رغابي السوداء العميقة.
فَلْتَغُضَّ العينُ عن اليد، ولكن فليقعْ
ما تخشى العينُ أن تراه حين يقع!

(يخرج)

دنكن: صدقت، يابانكوو: إنه جد شجاع –
بمدائحه أُقيتُ نفسي.
انها وليمة لي. لنذهب في إثره،
وقد سبقنا بهمة ليهيىء استقبالنا:
إنه ابن عمٍ ما مثله ابنْ عم.

(نفير. يخرجون)

المشهد الخامس
انفرنيس . . . غرفة في قلعة مكبث

(تدخل الليدي مكبث وهي تقرأ رسالة)

ليدي مكبث: «القيتني يوم النجاح، وقد علمت وفق أتم الإستفسار أن لديهن ما يربو على معرفة الشر. وعندما تحرقت لسؤالهن المزيد، حوّلن أنفسهن إلى هواء تلاشين فيه. وفيما أنا واقف مشدوهاً بتعجبي، جاء رُسُلٌ من الملك حَيَّوني بـ «يا أمير كودر»، وهو اللقب الذي حيتني به قبل ذلك أخوات القَدر وأحلْنني على الزمن الآتي بـ «سلاماً، يا من ستكون ملكاً!» هذا ما استنسبت إعلامك به (يا أعز رفيقة لي في العظمة) لئلا يضيع نصيبك من الفرح إن أنت بقيت تجهلين العظمة التي أنت موعودة بها. ضميه إلى قلبك، ووداعاً.»

أمير غلامس أنت، وكودر، ولسوف تكون
ما وعدت به. ولكنني أخشى طبعك:
أنه املأ مما ينبغي بحليب الإنسانية،
فلا يتشبث بأدنى الطرق. أنت تريد العظمة،
ولست خالياً من الطموح، ولكنك خال

من الشر الذي لا بد أن يصحبه. ما تريده شامخاً،
تريده قُدُسياً، لا تريد أن تغش في اللعب
ولكن تريد أن تكسب عن غير حق.
تريد يا غلامس العظيم ذاك الذي
يصرخ بك أن «افعل كذا» إن أردته،
ذاك الذي أنت تخشى أن تفعله
لا الذي تتمنى لو أنه لا يُفعل[23]. أسرع إليّ،
فأصب حيويتي في أذنك،
وأطرد بجرأة لساني
كل ما يعوقك عن المستدير الذهبي[24]
الذي يبدو أن القدر والعون الخارق
كليهما قد توّجاك به.

(يدخل رسول)

ما أخبارك؟
رسول: الملك قادم هنا الليلة.
ليدي مكبث: جننتَ فقلت ذلك.
أليس سيدك معه؟ لو أن الأمر كذلك
لأخبرني للتهيؤ
رسول: عفوك، ما قلت صحيح. أميرنا قادم،
وقد سبقه أحد زملائي
حتى كاد يموت من انقطاع النفس، ولم يبق له منه

إلا ما يصوغ به رسالته .

ليدي مكبث : اسعفوه :

لقد جاء بنبأ عظيم .

(يخرج الرسول)

أَبَحُّ هو الغراب نفسه الذي

ينعق عن دخول دنكن المميتِ

تحت شرفات قلعتي ! عليَّ بكِ أيتها الأرواح[25]

التي ترعى خُطط القتل والدمار، وانزعي جنسي عني هنا ،

واملأيني بأعتى القسوة من رأسي حتى القدم ،

فأطفح بها ! أغلظي دمي ،

سدّي المسرب والممرّ على كل رحمة ،

فلا يزورني من الطبيعة وازع من شفقة

يزحزح مأربي الرهيب ، أو يقيم سلماً بينه

وبين تحقيقه ! تعالي إلى ثديي المرأة مني ،

وأبدلي حليبهما بعلقم ، يا وصيفات القتل ،

حيثما أنت بكياناتك التي لا تُرى ،

ترعين كل إنتهاك للطبيعة ! تعال أيها الليل الكثيف ،

وتسربل بأحلك ما في جهنم من دخان

لكي لا ترى مديتي الماضية الجرحَ من طعنتها ،

ولا تنفذَ السماءُ بعينها غطاءَ الظلام ،

فتصرخ : «كفى ، كفى ! »

(يدخل مكبث)

غلامس العظيم، كودر الكريم!
وأعظم من كليهما بما ستحيا به عن قريب!
رسائلك حملتني نشوة إلى ما وراء
هذا الحاضر الذي لا يُعلم، فجعلت الآن أحسّ
بالمستقبل في اللحظة الراهنة.
مكبث: حبيبتي العزيزة،
دنكن قادم هنا الليلة.
ليدي مكبث: ومتى يذهب من هنا؟
مكبث: غداً، حسبما يقصد.
ليدي مكبث: لا، لن ترى شمسٌ ذلك الغد!
وجهك يا أميري، كتاب، للناس
أن يقرأوا فيه أموراً غريبة. . . لكيما تخادع الزمان،
أجعل محياك في شبه الزمان. أحمل الترحيب في عينك،
في يدك، في لسانك: أشبه الزهرة البريئة،
ولكن كن الأفعى التي تحتها. صاحبنا القادم
يجب أن يُهيأ له، وعليك أن تضع
أمر هذه الليلةِ العظيمَ في إمرتي،
وهو الذي طوال ليالينا وأيامنا الآتية
سيجعل لنا مطلقَ الحكم والسؤددِ والسيادة.
مكبث: سنقول المزيد.

ليدي مكبث: عليك فقط بصفاء المحيّا.
فما يتغير الوجه أبداً إلا فزعاً.
ودع لي كل ما تبقى.

المشهد السادس
انفرنيس . . . أمام القلعة

(عازفو مزامير وحاملو مشاعل[26] يدخل دنكن، مالكولم، دونالبين، بانكوو، لينكوس مكدف، روص، آنغس، ومرافقون).

دنكن: هذه القلعة بقعتها طيبة. فالهواء
بخفته وحلاوته يحبب نفسه
إلى رهيف حواسنا.
بانكوو: ضيفُ الصيف هذا،
السنونو الذي يلازم المعابد، يدلل
بما يهواه من مأوى على أن أنسام السماء
غزلية الشميم هنا: فما من نتوء، أو أفريز،
أو دعامة، أو حجر زاوية، إلا ويجعل منه
هذا الطيرُ فراشه المعلّق، ومهدَه الولود:
لقد لاحظت حيثما تكثر هذه الطيور تردّدها وتناسلها
يكون النسيم عليلاً.
تدخل ليدي مكبث
دنكن: أنظروا، أنظروا! مضيفتنا الكريمة.

إن الحب الذي يتبعنا هو أحياناً تعب لنا ،
ومع ذلك فإنّا نحمده لأنه الحب . وبذا أعلمكِ
كيف ترجين الله أن يجازينا على أتعابك
ويحمدنا على همك .
ليدي مكبث : كل خدمة منا
ولو أدّيناها في كل جزء منها مرتين ، ثم مرتين أخريين ،
تبقى أمراً بسيطاً باهتاً لقاء
تلك المكرمات العميقة العريضة التي
تسخون جلالتكم بها على بيتنا . فللمكرمات القديمة ،
وللمنح النبيلة التي أضفتموها أخيراً إليها ،
نبقى نسّاكا لكم(27) .
دنكن : أين أمير كودور؟
رحنا نركض على عقبيه ، وفي النية
أن نكون نحن رسوله . لكنه فارس جيد ،
وحُبُّه العظيم ، حادًّا كمهمازه ، حفّزه
لبلوغ داره قبلنا . يا ربة البيت الحسناء النبيلة ،
نحن ضيفك الليلة .
ليدي مكبث : إن خدمكم أبداً ،
هم ، وأولادهم ، وأموالهم ، عدّاً وتعداداً ،
يتقدمون لكم للحساب وفق مشيئة جلالتكم ،
ليعيدوا إليكم ما هو مُلْكُ يديكم .

دنكن: أعطيني يدك،
وخذيني إلى رب البيت مضيّفي: عميقٌ حبنا له،
ولسوف نستمر بأنعمنا عليه.
ربةَ البيت، إسمحي لي!

المشهد السابع

انفرنيس . . . غرفة في القلعة

(مزامير ومشاعل. يدخل رئيس الخدم وعدة خدم يحملون أواني الطعام ويعبرون خشبة المسرح. ثم يدخل مكبث)

مكبث: لو أنها تنتهي، عندما تُفعل، لكان المستحسن
أن تفعل بسرعة: لو أن الاغتيال
بوسعه أن يعتقل النتيجة
ويقبض بلفظهِ الأنفاسَ النجاحَ، لو أن هذه الضربةَ
هي الكلُّ في الكل ونهايةُ الكل - هنا،
هنا وحسب، على الساحل هذا، على الضفة هذه من الزمن،
لجازفنا بالحياة الآخرة. -ولكننا في هذه الحالات دوما
نتلقّى الحكم هنا. فنحن إنما نُصدر
إيعازاتٍ دموية، وإذا ما استُوعبت عادت
لتعذيب مبتدعها: فهذه العدالة المتوازنةُ اليدين
تقدّم عناصرَ كأسِنا المسمومة
لشفاهنا نحن. . . إنه هنا في حَمِي مزدوج:
أولاً، لكوني قريبَهُ وتابعه،

وكلاهما مانع قوي للفعلة، ثم كلكوني مضيفه،
عليَّ أن أسد الباب في وجه قاتله،
لا أن أشهر السكينَ بنفسي. ثم أن دنكن هذا
كان وديعاً في تنفيذ صلاحياته،
بريء اليد في منصبه الكبير، بحيث أن فضائله
سترافع كملائكة مُلْسَنَةٍ بالأبواق
ضد الفظاعة اللعينة في مصرعه،
والشفقة كطفلٍ وليدٍ عارٍ
يمتطي الزوبعة، أو كملائكة السماء، خيلها
رواكضُ الفضاء الخفية،
ستنفخ الفعلةَ الشنيعة في كل عين
حتى تُغرقَ الريحَ بالدموع. – لا حافز لي
يهمز جانبي مأربي سوى
طموح شاهق القفز، يبالغ بقفزته
فيهوى على الجانب الآخر[28]

(تدخل ليدي مكبث)

هه! ما وراءك
ليدي مكبث: كاد يفرغ من عشائه. لماذا تركت الحجرة؟
مكبث: هل سأل عني؟
ليدي مكبث: ألا تعلم أنه سأل؟
مكبث: لن نستمر في هذا الموضوع:

لقد أكرمني مؤخراً، ولقد ابتعتُ
آراء ذهبية من شتى الأناس
علي الآن أن أرتديها وهي في أقشب لمعانها،
لا أن ألقي بها عني بهذه العجلة.
ليدي مكبث: أمخموراً كان ذاك الأمل الذي
ألبسته نفسك؟ وهل غرق في النوم بعد ذلك؟
وهل استيقظ الآن، مخطوف اللون شاحباً
لما قد فعل بملء حريته؟ من الآن فصاعداً
هكذا سأعتبر حبك. هل يُخيفك
أن تكون في فعلك وشجاعتك
ما أنت في التمنيّ؟ أتشتهي أن تنال
ذاك الذي تعتبره زينة الحياة[29]
وتحيا جباناً في اعتبار نفسك،
جاعلاً «لا أجرأ» تتبع «يا ليتني»
كالقطة المسكينة في المثل الشائع؟[30]
مكبث: أرجوك، كفى.
أني أجرأ على أي فعل يليق برجل.
ومن يجرأ أكثر مني، فهو ليس برجل.
ليدي مكبث: أي وحش إذن كان
ذاك الذي جعلك تُعلمني بهذه المغامرة؟[31]
عندما جرأت على ذلك، كنت حقاً رجلاً.

وأن تصبح أكثر مما كنت ، فلأنت حينئذ
الرجل وأكثر. . . لا الزمان ولا المكان
كانا حينئذ ملائمين ، ورغم ذلك أردت اصطناع كليهما .
وهاهما قد صنعا نفسيهما ، وملاءمتهما الآن بالذات
تحطمك . لقد كنت يوماً مُرْضعاً واني لأعرف
مبلغ الحنو في حب الطفل الذي أُرضع :
لكنت ، وهو يبتسم في وجهي ،
انتزعت حلمتي من لثته الطرية ،
وهشّمت دماغه ، لو أنني أقسمت أن أفعل ذلك
كما أقسمت أنت أن تفعل هذا .
مكبث : وإذا أخفقنا؟
ليدي مكبث : نحن نخفق؟
فقط شُدَّ شجاعتك حتى نقطة ثباتها ،
ولن نخفق . عندما يغيب في النوم دنكن
(وسفرته المضنية طيلة النهار لا بد تدعوه
إلى نوم عميق) سأضعضع أنا
مرافقَيْ حجرته بالخمر والعربدة
حتى تغدو الذاكرة ، حارسةُ الدماغ ،
مجرَّدَ بخار، ومُتَلقّى العقل
محضَ أمبيق [32] وعندما تكون الطبيعة منهما
غريقة في نومة كنومة الخنزير، أشبه بالموت ،

هل ثمة ما لا نستطيع فعله، أنا وأنت،
في دنكن وهو بلا حراسة؟ هل ثمة ما لا نتهم به
حارسيه المخمورين، فنحَمِّلهما تَبِعَةَ
غيلتنا الكبرى؟
مكبث: لا تلدي إلا الذكور من الأولاد!
لأن معدنك الجسور يجب ألا يصنع
شيئاً إلا الرجال. . . ألن يصدق الجميع
عندما نلطخ بالدم مرافقيه المأخوذين بالنوم
في حجرته، ونستعمل خنجريهما.
أنهما هما الفاعلان؟
ليدي مكبث: ومن يجرأ على تصديق أي شيء آخر
عندما نجأر بالحزن والفجيعة
على موته؟
مكبث: لقد صممتُ، ولسوف أشد
كل عضو في الجسد لهذه الفعلة الرهيبة.
هيا، واخدعي الزمان بأجمل المظاهر:
على الوجه الكذوب أن يخفي ما يعلمُ القلبُ الكذوب.

الهوامش :

(1) يعتقد البعض أن هذا المشهد دخيل على المسرحية ، وليس من قلم شكسبير. غير أن كولردج يرى غير ذلك ، ويقول ، «إن السبب الحقيقي لظهور أخوات القدر في المطلع هو عزف النغمة الأولى التي ستطغى على المسرحية كلها» . إنها نغمة الشؤم» .

(2) لكل ساحرة قطة أو علجومة (ضرب من ضفادع الطين) هي رفيقتها وواسطتها في أعمالها السحرية وكان المعتقد أن الساحرات لهن القدرة على حفظ الشياطين والعفاريت في أجسام القطط والعلاجيم .

(3) كلمة الدم أو الدماء ترد أكثر من مئة مرة في «مكبث» .

(4) كان دنكن ومكبث حفيدي الملك مالكولم .

(5) يقصد عودتها عند التعادل الربيعي .

(6) يقصد مكبث .

(7) تم سك الدولار لأول مرة عام 1518 - أي بعد أحداث هذه المسرحية بحوالي خمسة قرون ، شكسبير يعيد هنا ذكر جزية دفعها في عصره لانكلترا الملك كريستيان ، ملك النرويج .

(8) كانت هذه تسمية محببة للكثير من المراكب في أيام شكسبير

(9) أي أنها ستتحول إلى جرذ لتدخل المركب ، وهناك ستفعل فعلها السحري بالربان .

(10) كان المعتقد أن الساحرات يبعن الرياح لمن يطلبها .

(11) كانت الساحرة تصنع دمية من شمع ، فتغرز فيها الإبر ، أو تذيبها ببطء قرب نار منخفضة ، وكلما «تعذبت» الدمية أو ذابت ، تعذب وذاب الشخص المراد إيذاؤه بهذا السحر.

(12) كانت الساحرات يؤثرن الأعداد الفردية ، ولا سيما مكررات الثلاثة .

(13) كان المفروض أن الأرواح لا تتكلم إلا إذا خوطبت أولاً .

(14) يبدو أن مكبث لم يعلم بتآمر أمير كودور مع الغزاة إلا بعد المعركة .

(15) أي الجذور التي تحدث الجنون كان يعتقد أن هناك أنواعاً من النباتات تذهب بالعقل عندما تؤكل أو يشرب ماؤها المغلي ، وتجعل العين ترى ما لا تراه عين العاقل .

(16) هذه الصورة الشعرية ستتكرر في خلال المسرحية كلها.

(17) أي صورته التي يتخيلها وهو يقتل دنكن، تمثل هذه الأبيات لحظة مولد الشر في نفس مكبث. فهو ربما ساورته من قبل هواجس الطموح، أو حتى هواجس القتل، غير أنه الآن يشعر لأول مرة حقيقة القتل وهي تداهمه بهولها.

(18) هذه أمثولة المسرحية: . . الحقيقة والوهم يتبادلان الأمكنة (نايت).

(19) يوحي هذا المشهد بالنظام الطبيعي الذي سينتهك عما قريب. إنه يؤكد على العلاقات السوية، والروابط النبيلة والنظام السياسي المستقر». (نايتس).

(20) تشتد المفارقة الساخرة في هذا القول بدخول مكبث في الحال.

(21) حامل هذا اللقب يكون ولياً للعرش.

(22) يعتقد البعض أن إفصاح مكبث عن نواياه في عبارة جانبية في مكان محرج، كما هنا، يدل على أن يداً غير يد شكسبير عبثت بالنص، لأن شاعرنا أبرع من أن تأتي مثل هذه السذاجة غير أن الشعر هنا شكسبيري بصورة، والتضاد بين العين واليد يرد في عدة مواضع من المسرحية.

(23) هذه الأبيات الأربعة من العبارات المشهورة بما فيها من تعقيد في تركيبها، في الأصل، ولو أن معناها واضح.

(24) أي التاج.

(25) يقول أحد الكتاب ممن ربما اطلع عليهم شكسبير، أن هناك طبقة ثانية من الشياطين تدعى بأرواح الإنتقام وصانعة المذابح، وهي التي «تلهب خواطر البشر للإغتصاب والنهب والقتل وشتى ضروب القسوة».

(26) الشمس لم تغب بعد، غير أن المشاعل حال غياب الشمس ستصبح ضرورية داخل القلعة، ولو أن ضوء النهار ما زال باقياً في الخارج.

(27) أي في صلاة دائمة لله من أجلكم.

(28) يصور طموحه كفارس يبالغ في علو قفزته عندما يأتي حصانه فيسقط على الجانب الآخر منه.

(29) أي التاج.

(30) يقول المثل: «تشتهي القطة السمكة، ولكنها لا تجرأ على تبليل أرجلها.».

(31) هذا يوحي بأن شكسبير في الأرجح حذف مشهداً يُعلم فيه مكبث روجته بنبته الميتة ولعل التصاعد الدرامي السريع هو الذي جعله يحذفه.

(32) كان المشرحون القدامى يقسمون الدماغ إلى ثلاث مناطق، ويجعلون الذاكرة في المنطقة الخلفية منها أي في المخ. فهي كحارس للمخ تخطر العقل بأي هجوم. فإذا ما تحولت بالسكر إلى بخار، فإن العقل الذي يجب أن تقطر فيه خلاصة العملية الفكرية، يتحول إلى أمبيق يمتلىء بفقاقيع وأبخرة لسوائل غير مقطرة. الصورة مأخوذة عن العمليات الكيميائية التي نقلها الأوروبيون عن العرب في أسبانيا، بما فيها تسمية الوعاء بالأمبيق، وهي الكلمة العربية التي يستعملها شكسبير هنا.

الفصل الثاني

المشهد الأول

انفرنيس . . . فناء داخل القلعة

(يدخل بانكوو، وفليانس، وبيده مشعل)

بانكوو: ما هزيع الليل يابني؟

فليانس: لقد غاب القمر. . . لم أسمع الساعة.

بانكوو: وهو يغيب في الثانية عشرة.

فليانس: أتصور أن الساعة بعد ذلك، سيدي.

بانكوو: هاك خذ سيفي. – السماء تتباخل.

فشموعها كلها مطفأة. – وخذ هذا أيضاً[1].

بي نعاس ثقيل كالرصاص،

ومع هذا لم أستطع النوم: يا قوى الرحمة!

اكبحي فيَّ الخواطر اللعينة التي تستسلم

لها الطبيعةُ ساعةَ الهجوع. – اعطني سيفي.

(يدخل مكبث، وخادم يحمل مشعلا)

من هناك؟

مكبث: صديق.

بانكوو: مولاي! ألم ترتح بعد؟ الملك أوى لفراشه.

كان سروره غير عادي ،
فأرسل منحاً سخية لخدمك .
وهذه الماسة يحيي عقيلتك بها ،
داعياً إياها أكرم مضيّفة ، ثم انتهى
وهو في رضا لا حد له .
مكبث: لم نكن مهيأين ،
فجاءت إرادتنا عبدة للقصور،
وإلا لكانت طليقة في سعيها .
بانكوو: كل شيء على ما يرام .
حلمت ليلة البارحة بأخوات القدر الثلاث :
أما لك فقد أظهرن بعض الصدق .
مكبث: أنا لا أفكر بهن :
ومع ذلك ، عندما نلتمس ساعة معاً
علينا بقضائها في الحديث حول ذلك الموضوع ،
إن سمحت لي بوقتك
بانكوو: في أي وقت تشاء .
مكبث: إن أنت التزمت بالإتفاق معي ، في حينه ،
أصابك شرف كبير
بانكوو: ما دمت لا أفقد شرفاً
بمحاولتي الإستزادة منه ، بل أُبقي الصدر مني
حراً أبداً وولائي ناصعاً[2]

فإني مستعد للمشورة.

مكبث: تصبح على خير!

بانكوو: شكراً سيدي. وأنت كذلك.

(يخرج بانكوو وفليانس)

مكبث: (للخادم) إذهب واطلب من سيدتك، عندما تهيىء شرابي، أن تقرع الجرس. واذهب إلى فراشك.

(يخرج الخادم)

أخنجر هذا الذي أرى أمامي.
ومقبضه باتجاه يدي؟ تعال، دعني أمسكك:
لم أنلك، ولكن ما زلت أراك.
يا رؤية قاتلة، ألست تستجيب
للحس، كما للبصر؟ أم أنت محض خنجر
من الذهن، محضُ اختلاقٍ زائف
صادر عن دماغ بالحمّى مضطهد؟
ما زلت أراك، ملموساً شكلاً
كهذا الذي أستلُّه الآن.
إنك تقتادني في الطريق التي كنت ذاهباً فيها،
وسلاحاً مثلك كنت سأستخدم.
أمست عيناي أضحوكة حواسي الأخرى،[3]
وهما لولا ذاك في قدرها جميعاً: ما زلت أراك،
وعلى شفرتك، ومقبضك، قطرات دم،

لم تكن من قبل. - ليس ثمة شيء كهذا.
إنما الفعلة الدموية هي التي تتخذ شكلاً
كهذا أمام عيني. - في هذه الساعة تبدو الطبيعة،
في نصفِ العالم، ميتة، والأحلامُ الشريرة تخادع
النومَ المسجَّف: السَّحرة يحتفلون
بطقوس «هكاته»[4] الكالحة، و«القتل» الشاحب
أيقظهُ حارسُهُ الذئب الذي
ساعتُهُ هي عُواؤه، فراح بخطى متلصصة،
كخطى «طاركوين» الغاصبة، يسري نحو غايته[5]
كالشبح. - أيتها الأرض الصلبة الثابتة،
لا تسمعي خطاي، وفي أي إتجاه تسير، لئلا
تُفصح الحجارة نفسهُا عن مكاني،
فتنال من هول الساعة،
والهولُ يلائمها. - فيما أنا أتوعد، فإنه يحيا:
لا تهب الألفاظ حرارة الأفعال إلا أبردَ النَّفَس.

(جرس يقرع)

إني ذاهب، وإني لفاعلها: الجرس يدعوني.
لا تسمعه يا دنكن، فهو ناقوسٌ
يستدعيك إلى السماء، أو جهنّم!

(يخرج)

المشهد الثاني

كما في المشهد السابق

(تدخل ليدي مكبث)

ليدي مكبث: ذاك الذي أسكرهما، جرّأني:
والذي أطفأهما أجج النار فيّ - سمعا! صمت!
البومة هي التي لعبت، قارعة الناقوس للمحكومين بالموت،
قارئة أرهب السلام[6]. . . إنه مشغول بها.
الأبواب مشرّعة، والخادمان المتخمان
يهزآن من مسؤوليتهما بالشخير: في شرابهما دسست مخدراً،
حتى ليتنازع الموتُ والطبيعة حولهما،
أفي عداد الأحياء هما أم الأموات.
مكبث: (من الداخل) من هنالك؟ - من هناك؟
ليدي مكبث: وا أسفاه أخشى إن هما استيقظا،
والفعلةُ ما انتهت . . . المحاولة، لا الفعل،
هي التي تُحبطنا. - سمعاً! - هيأت خنجريهما،
لا بد أن يراهما - لو لم يكن في شبه أبي.
وهو نائم، لفعلتها أنا. - زوجي

(يدخل مكبث)

مكبث: لقد فعلتها! - هل سمعت صوتاً؟

ليدي مكبث: سمعت البومة تعيط، والزيزان تصيح[7]

ألم تتكلم؟

مكبث: متى؟

ليدي مكبث: الآن.

مكبث: وأنا نازل؟

ليدي مكبث: نعم.

مكبث: أصغي!

من يرقد في الحجرة الثانية؟

ليدي مكبث: دونالبين.

مكبث(ناظراً يديه): هذا منظر بائس.

ليدي مكبث: سخيف منك أن تقول «منظر بائس».

مكبث: أحدهم ضحك في نومه، وآخر صاح: إغتيال!

فأيقظ الواحد الآخر، وقفت وسمعتهم.

غير أنهم تلوا صلواتهم، ثم تهيأوا

ثانية للنوم.

ليدي مكبث: هناك اثنان معاً في الحجرة[8]

مكبث: أحدهما هتف: «رحمتك يا رب!» فأجاب الآخر «آمين»

كأنهما رأياني بيدي الجلاد هاتين.

وإذ أصغيتُ إلى خوفهما، عجزت عن قول «آمين»

عندما قالا: «رحمتك يا رب!»

ليدي مكبث: لا تتعمق في التفكير بذلك.

مكبث: ولكن لِمَ لم أستطع أن ألفظ كلمة «آمين»؟

لقد كنت في أعظم الحاجة للرحمة، وغُصت

«آمين» في حلقي.

ليدي مكبث: هذه الأفعال يجب ألا نفكر بها

على غرار كهذا: وإلا فإنها ستُجنّننا.

مكبث: خيل إلي أنني سمعت صوتاً يصرخ «ألا حُرِّم النوم عليك!

مكبث يغتال النوم!» النوم البريء،

النوم الذي يرتق قماشة الهم الممزقة[9]

موتَ حياة كل يوم، حمّامَ الجهد الأليم،

بلسمَ الأذهان في أذاها، الطبق الثاني تقدمه الطبيعة العظمى[10]،

المغذّي الأكبر في وليمة الحياة،

ليدي مكبث: ماذا تعني؟

مكبث: بقي يصرخ لكل من في الدار «ألا حُرّم النوم عليك!»

«غلامس قد قتل النوم، ولذا فإن كودر

لن ينام بعد اليوم، مكبث محرم عليه النوم!»

ليدي مكبث: من الذي صرخ هكذا؟ لا، أيها الأمير الكريم،

إن قوتك النبيلة لترتخي حين تفكر

بالأمور بذهن مريض. إذهب وعليك ببعض الماء،

واغسل هذا الشاهد القذر عن يديك.

لماذا جئت بهذين الخنجرين من مكانهما؟
يجب أن يوضعا هناك. إذهب، خذهما، ولطّخ
الحارسين النائمين بالدم.
مكبث: لن أذهب مرة أخرى.
إني أخاف التفكير فيما فعلت.
ولا أجرأ على النظر ثانية إليه.
ليدي مكبث: يا مُزَعْزَعَ التصميم!
أعطني الخنجرين. النائمون والموتى،
إن هم إلا صُوَرٌ مرسومة. وعينُ الطفولة وحدَها
تخاف شيطاناً مرسوماً... إذا وجدته يدمى،
ذهَّبْتُ وجهي الحارسين بدمه،
لأن الجرم يجب أن يبدو جرمهما.

(تخرج. قرع على البوابة في الداخل)

مكبث: أين ذاك القرع على الباب؟
ماذا دهاني، حتى صار كل صوت يرعبني؟
أي يدين هنا؟ هه! إنهما تقلعان عيني[11]
أو هل تغسل بحار «نبتون»[12] العظيمة كلها هذا الدم
عن يدي فتنظف؟ لا، بل إن يدي هذه
لسوف تضرّجُ البحارَ العارمة،
وتجعلُ الأخضر أحمر قانياً.

(تدخل ثانية ليدي مكبث)

ليدي مكبث: يداي بلونك، غير أنني أخجل
من أن أحمل قلباً كالحاً مثلك.

(قرع على الباب)

أسمع قرعاً على المدخل الجنوبي. فلننسحب إلى حجرتنا.
قليل من الماء يزيل عنا تبعة هذا العمل:
ما أهونه إذن! ثباتك
قد هجرك. (قرع) اسمع! مزيد من القرع.
البس منامتك، لئلا ندعى إضطراراً،
فينكشفَ أننا مستيقظان. لا تَتِهْ
بمثل هذه الزراية في أفكارك!
مكبث: عندما أعرف ما فعلت، أتمنى لو أنني لا أعرف نفسي.

(قرع)

أيقظ بقرعك الباب دنكن! ليتك تستطيع!

المشهد الثالث
المشهد نفسه [13]

(يدخل بواب قرع من الداخل)

البواب: هذا دق، أي والله! لو كان المرء بواب جهنم، لكان عليه أن يكثر من إدارة المفتاح. (قرع) دق، دق، دق، . من هناك، باسم بعلزبوب! – هنا مزارع شنق نفسه عندما توقع غلة وفيرة [14] أدخل، يا انتهازي الزمن، وأكثر من المناديل معك، لأنك هنا ستعرق لها. (قرع) دق، دف، دق. . . . من هناك، باسم الشيطان الآخر؟ – هنا والله ذو لسانين[15] يستطيع أن يقسم في كلتا الكفتين ضد كلتا الكفتين، وقد اقترف ما يكفي من خيانة من أجل الله، ولكنه لم يستطع التكلم باللسانين لرب السماء: آ، ادخل، ياذا اللسانين! (قرع) دق، دق، دق. . . من هناك؟ هنا والله خياط انكليزي، جاء هنا لأنه سرق سروالاً فرنسياً[16] ادخل يا خياط، هنا لك أن تسخن مكواك وتشوي عراك. (قرع) دق، دق، دق. . . لا هدوء أبداً! من أنت؟ ولكن هذا المكان أبرد من أن يكون جهنم[17] حسبي بواباً شيطاناً: لقد خطر لي أن أدخل أناساً

من كل حرفة، يطرقون درب الزهور المؤدي إلى المحرقة الأبدية. (قرع) حالاً، حالاً. رجاء، تذكروا البواب.

(يفتح البا بيدخل مكدف ولينوكس)

مكدف: هل تأخرت جداً يا صاح في الذهاب إلى الفراش، فتأخرت هكذا في القيام؟

البواب: والله يا سيدي بقينا في لهو حتى صياح الديك الثاني. والشراب يا سيدي يثير أشياء ثلاثة

مكدف: وما الأشياء الثلاثة التي يثيرها الشراب خاصة؟

البواب: إنها، والله يا سيدي، إحمرار الأنف، والنعاس، والبول. أما الفحش، يا سيدي فالشراب يثيره ويخمده: فهو يثير الشهوة، ولكنه يقضي على الأداء. ولذا، فإن الشراب الكثير يمكن أن يقال أنه يخاطب الفحش بلسانين: يسويه ويفسده؛ يهيجه، ويكبحه؛ يغريه ويحبطه، ينهضه ولا ينهضه: وختاماً، يخادعه فينومه، وإذ يبطحه، يتركَه.

مكدف: يخيل إلي أن الشراب بطحك هذه الليلة.

البواب: أي والله يا سيدي، من حنجرتي. غير أنني كافأته على بطحته. ولما كنت، كما أعتقد، أقوى منه، ولو أنه رفع ساقيّ أحياناً، فقد تزحزحت وقذفته . . .

مكدف: هل سيدك ناهض؟

(يدخل مكبث)

قرعنا قد أيقظه. ها هو قادم.

لينوكس: صباح الخير، سيدي النبيل!

مكبث: صباح الخير لكليكما!

مكدف: أيها الأمير الكريم، هل الملك ناهض؟

مكبث: لا، بعد.

مكدف: لقد أمرني أن أراجعه مبكراً:
وقد كادت الساعة تفوتني.

مكبث: سآخذك إليه.

مكدف: أنا أدري أن في هذا إزعاجاً مفرحاً لك،
ولكنه إزعاج، رغم ذلك.

مكبث: الجهد الذي يسرنا يداوي الوجع.
هذا هو الباب.

مكدف: سأتجرأ وأدخل عليه،
لأنه واجبي المحدد.

(يخرج مكدف)

لينوكس: أيرحل الملك اليوم؟

مكبث: أجل. لقد عيّن ذلك.

لينوكس: كانت الليلة هائجة: ففي المكان حيث مكثنا،
قوضت الريح المداخن. ويقولون
أن الناس سمعوا نواحاً في الهواء، وزعقات موت غريبة،
وراح طير الظلام ينعب طوال الليل(18)

متنبئاً بفوضى رهيبة، وأحداث مضطربة،
يلدها الزمن الفاجع مجدداً. والبعض يقول
إن الأرض حُمَّت، وزُلزلت.
مكبث: كانت ليلة فظة.
لينوكس: ذاكرتي الشابة لا تعي ليلة مثلها.

(يدخل مكدف ثانية)

مكدف: يا لك من هول! يا لك من هول!
لا القلب له أن يتصورك ولا اللسان أن يسميك!
مكبث: لينوكس، ما الأمر؟
مكدف: لقد صنعت الفوضى الآن رائعتها!
لقد انتهك القتل الحرام عنوة
هيكل الممسوح بزيت الرب[19] وسرق منه
حياة البنيان!
مكبث: ما هذا الذي تقول؟ حياة ماذا؟
لينوكس: أتقصد صاحب الجلالة؟
مكدف: اقتربوا من الحجرة، وحطموا أبصاركم
بمرأى ميدوزة جديدة[20] - لا تطلبا إليّ الكلام:
أنظرا، ثم تكلما أنتما.

(يخرج مكبث ولينوكس)

أفيقوا! أفيقوا!
اقرعوا جرس النذير. - جريمة وخيانة!

بانكوو، ودونالبين! مالكولم! أفيقوا!
أنفضوا عنكم ناعم النوم هذا، مزيّف الموت،
وحدّقوا في الموت نفسه! - انهضوا، وانظروا
صورة يوم القيامة الكبرى! - مالكولم، بانكوو!
قوموا كما من قبوركم، وسيروا كالأطياف،
لتشاهدوا هذا الهول!

(جرس يقرع تدخل ليدي مكبث)

ليدي مكبث: ما الذي جرى
حتى راح هذا الصور المرعب يستنفر
نائمي البيت للتفاوض؟ تكلم، تكلم!
مكدف: سيدتي الرقيقة،
ليس لك أن تسمعي ما أستطيع قوله.
سرده في أذن إمرأة
لسوف يقتل حيث يقع.

(يدخل بانكوو)

بانكوو! بانكوو!
سيدنا مليكنا قد قتل!
ليدي مكبث: يا ويلتاه!
ماذا! أفي دارنا؟
بانكوو: فظيع، أينما كان.
عزيزي مكدف، أرجوك، ناقض نفسك،

غير كلامك.

(مكبث ولينوكس يدخلان ثانية)

مكبث: لو متُّ قبل هذا الطارىء بساعة،
لكنت قد عشت زماناً مباركاً. فمنذ اللحظة هذه
لم يبق ما هو جاد في المصير البشري.
كل شيء أُلهية: علو السمعة مضى، والحُسْنُ مات،
ونفذت خمر الحياة، ولم تبق إلا الحثالة
يتباهى بها قبو الأرض هذا.

(يدخل مالكولم ودونالبين)

دونالبين: ماذا دهاكم؟
مكبث: أنت الذي دُهيت، ولا تعلم.
ينبوع دمك، مصدره، رأسه،
قد سُدّ، منبعه الأصلي قد سُدّ.
مكدف: أبوك الملك قد قتل.
مالكولم: آه! من قتله؟
لينوكس: اللذان يحرسان حجرته فعلاها، فيما يبدو.
فالأيدي والوجهان منهما كانت كلها ملطخة بالدم،
وكذلك خنجراهما، وقد وجدناهما غير ممسوحين
على وسادتيهما: راحا يحملقان وقد طار رشدهما،
ولا يؤتمنان على حياة إنسان.
مكبث: آه، ومع ذلك فإنني نادم على هَوَجي،

إذ قتلتهما.

مكدف: لِمَ فعلت ذلك؟

مكبث: ومن يقدر أن يكون حكيماً ومنذهلاً، معتدلاً وهائجاً،

موالياً وحيادياً، كلها في آن معاً؟ لا أحد.

إندفاع حبي العنيف

تخطى العقل الذي أراد أن يوقفه. - هنا رقد دنكن،

فضيٌّ اهابِهِ مُوَشًّى بذهبيٍّ دمِه.

وطعناته الفاغرة أشبه بثغرة في الطبيعة

ينفذ منها الخراب والدمار: وهناك القاتلان.

وخنجراهما غارقان في لون مهنتهما،

يكسوهما النجيع بلا حياء. من يستطيع الإحجام عندها،

وله قلب يحب، وفي قلبه ذاك

جرأة على إعلان حبه؟

ليدي مكبث: اسعفوني من هنا!

مكدف: اعتنوا بالسيدة(21)

مالكولم: (جانبياً لأخيه دونالبين) لماذا نمسك اللسان ونحن أحق الجميع

بهذه القضية؟

دونالبين: (جانبياً لمالكولم) ما الذي نقوله

هنا، حيث مصيرنا، مخفياً في خُرْم مخرَز،

قد ينطلق ويمسك بتلابيبنا؟ لنرحل:

دموعنا لم تَقْطُرْ بعد.

مالكولم: (جانبياً لدونالبين) ولا حزننا العميق
بدأ يتحرك .
بانكوو: اعتنوا بالسيدة .

(تحمل ليدي مكبث إلى الخارج)

وعندما نكون قد أخفينا ضعفنا العاري
الذي إنما يشتد بالتعرض، [22] لنجتمع ،
ونحقق في هذه الفعلة الدامية الشنيعة
لنعرف المزيد . المخاوف والشكوك تهزّنا :
إني أقف في يد الله العظمى : ومن هناك
أصارع خطة مكتومة
ملؤها الحقد والخيانة .
مكدف: وهكذا أنا .
الجميع: وهكذا نحن جميعاً .
مكبث: دعونا نرتد بسرعة ما يليق بالرجال ،
ونجتمع في القاعة معاً .
الجميع: موافقون .

(يخرج الجميع سوى مالكولم ودونالبين)

مالكولم: ماذا ستفعل؟ لن نجتمع معهم .
ما أسهلها مهمةً على الخائن
أن يبدي حزناً لا يشعر به! سأذهب إلى انكلترة .
دونالبين: وأنا إلى إرلندة : تفريق مصيرينا

أدعى لسلامتنا كلينا. فحيثما نحن،
ستكمن الخناجر في بسمات الرجال: وأقربهم دماً إلينا،
أقربهم إلى إدمائنا.
مالكولم: هذا السهم القاتل الذي أطلق
لم يقع بعد، واسلم السبل لنا
تجنبُ الهدف. إذن إلى الخيل!
دعنا من مجاملات الوداع،
ولنغادر خلسة. إذا ما الرأفة انعدمت
كان في الخلسة ما يبررها حين تسارق نفسها.

(يخرجان)

المشهد الرابع[23]
خارج القلعة

(يدخل روص وشيخ)

الشيخ: ستين سنة وعشرا، أذكر جيداً.
في هذا الردح من الزمن رأيت
ساعات مخيفات، وغرائب مذهلات، غير أن هذه الليلة
الليلاء
أتفهت كل ما عرفته فيما مضى.
روص: أيها الأب الكريم،
إنك ترى السموات وقد اضطربت بفعل الإنسان،
تهدد مسرحه المدمّى: إننا حسب الساعة، في النهار،
غير أن الليل المظلم يخنق مصباح السماء المُضْنَى:
أسلطان الليل هو، أم عار النهار،
أن يقبر الظلام وجه الأرض
حين ينبغي للنور أن يقبّله؟
الشيخ: شذوذ عن الطبيعة
كالفعلة التي فُعلت. يوم الثلاثاء الماضي

إذ راح صقر يحلق إلى شامخ عليائه ،
انقضّ عليه بومٌ بحجم الفأر وقتله .
روص: وخيول دنكن (أمر عجيب ومؤكد)
وهي الجميلة السريعة ، حبيبة نسلها ،
استحالت بطبيعتها إلى حُصُن هائجة ،
وكسرت معالفها وانطلقت
تقارع الطاعة ، كأنها تريد
إعلان الحرب على البشر.
الشيخ: يقال أنها أكل بعضها بعضاً .
روص: أي والله ، وأنا واقف مأخوذاً
أنظر إليها .

(يدخل مكدف)

هذا مكدف الكريم قادم .
كيف يجري العالم الآن ، يا سيدي؟
مكدف: ألا ترى؟
روص: هل عرفتم من الذي اقترف هذه الفعلة الأكثر من دامية؟
مكدف: الرجلان اللذان صرعهما مكبث .
روص: واعجباه!
وما النفع الذي قد يطمعان فيه؟
مكدف: كانا مدفوعين .
مالكولم ودونالبين ، ابنا الملك الاثنان ،

تسللا وهربا: الأمر الذي يجعلهما
موضع الشبهة فيما حدث.
روص: خروج على الطبيعة أبداً.
يا طموحاً مفرطاً، تلتهم
حتى ما يمدك بحياتك! - فالأرجح إذن أن الملكية ستقع
لمكبث.
مكدف: لقد أعلن ملكاً، وذهب إلى «سكون»[24].
لكيما يتوج.
روص: وأين جثمان دنكن؟
مكدف: حملوه إلى كولم كيل،
حيث أضرحة أسلافه.
إنها حارسة عظامه.
روص: أتذهب إلى «سكون»؟
مكدف: لا يا ابن العم. بل إلى فايف.
روص: حسناً سأذهب أنا إليها.
مكدف: قد ترى هناك أشياء يحسن صنعها، وداعاً!
لئلا تلائمنا أرديتُنا القديمة أكثر من الجديدة!
روص: (للشيخ) وداعاً أيها الأب.
الشيخ: رافقتك بركة الله ورافقت كل من
يجعل من الشر خيراً، ومن الأعداء أصدقاء!

(يخرجان)

هوامش :

(1) على الأرجح ، حزامه والخنجر المحمول به .

(2) يتعمد مكبث أن يجعل وعده لبانكوو مبهماً ، ويفهم منه بانكوو أنه يتحدث عن حالة موت دنكن موتاً طبيعياً ، فلا يقترف بانكوو، بطلب المزيد من الشرف ، فعلاً يشين ولاءه .

(3) هذا التناقض بين الحواس يرد ذكره عدة مرات في أثناء المسرحية .

(4) «هكاته» هي ربة السحر والسحرة في العصور الكلاسيكية والوسيطة . وكان المعتقد أن السحرة في طقوسهم يبتهلون إليها .

(5) طاركوين ، أحد طغاة التاريخ الروماني القديم ، عاش في القرن السادس ق.م. تسلل ليلاً إلى غرفة زوجة ابن عمه لوكريسيا واغتصبها ، في غياب زوجها . فاستنجدت بزوجها وأبيها ، وعندما أتيا إليها أخبرتهما بما حدث وطالبتهما بالإنتقام لها ، ثم انتحرت . وقد أدى ذلك إلى حرب أهلية بين المدن الرومانية . و«اغتصاب لوكريسيا» من المواضيع التي اهتم بها الكثيرون من فناني وكتاب النهضة ، ولشكسبير قصيدة طويلة تحمل هذا العنوان .

(6) في الليلة السابقة لتنفيذ الإعدام ، كان يرسل إلى المحكوم قارع ناقوس ليقرئه السلام ، – أرهب سلام يسمعه إنسان .

(7) كان يعتقد أن صوت الزيزان في الليل ينذر بالموت .

(8) تقصد مالكولم ودونالبين ، ابني الملك ، وليس الحارسين ، والغريب أن ليدي مكبث لم تذكر من ابني الملك إلا الولد الأصغر .

(9) الترجمة الدقيقة لهذا البيت يجب أن تكون : «النوم الذي يحوك قماشة الهم المتسلة» ، ويقصد شكسبير بذلك : قماشة النفس إذا نسلها الهم ، أعاد النوم حياكتها .

10) يبدو أن الحلو كان في القدم هو الطبق الأول في العشاء ، يتلوه طبق اللحم («المغذي الأكبر») كطبق ثان .

(11) لا ريب أن في هذه العبارة صدى للعبارة الإنجيلية (متى ، 18 ، 9) ، التي يقول فيها السيد المسيح : «إن عينك سببت لك الإثم فاقلعها ، والقها عنك ، فخير لك أن تدخل الحياة وأنت أعور من أن يكون بك عينان وتلقى في نار جهنم . » لاحظ أن الإشارة إلى جهنم سترد بعد قليل في مشهد البواب .

(12) نبتون إله البحار.

(13) «مشهد البواب» هذا، كما يسمى هذا المشهد في النقد الشكسبيري، موضوع لكتابات وتأويلات كثيرة، منهم من قال أنه ضروري لأنه يعطي مكبث وزوجته مجالاً لغسل أيديهما وارتداء ثياب النوم. ومنهم من قال مع كولردج أنه مشهد كتبه قلم غير قلم شكسبير ولكن بموافقته، ومنهم من يرى أنه شكسبيري جداً بمعانيه الضمنية وكناياته وأنه قد يكون هنا للترويح الكوميدي المألوف في لحظات المأساة العنيفة، غير أنه أيضاً يصور القلعة وكأنها جحيم بما فيها من شياطين، ويصبح البواب «بواب جهنم»، كما يرد في المسرحيات القروسطية الدينية.

(14) لأن الأسعار حينئذ ستنخفض كثيراً.

(15) في عام 1606 أقيمت قضية مشهورة على الأب اليسوعي غارنيت، الذي اتهم بأنه كان ضالعاً في «مؤامرة البارود» التي استهدفت نسف البرلمان الإنكليزي. وقد قيل عنه، لبراعته الكلامية، إنه يتكلم بلسانين، أيْ يقول أقوالاً تحمل معنيين متناقضين لخدمة غرضه. وبعد أن أعدم الأب اليسوعي بتهمة الخيانة العظمى، جرى كلام كثير ولمدة طويلة حول هذا النوع من المراوغة اللفظية(Equivocation) وأدخل العديد من الكتاب إشارات إليها فيما يكتبون. وهنا واحدة منها. وقد اعترف غارنيت بأن هذا النوع من الكلام بالنقيضين مبرر إذا كان هدفه نبيلاً، وهو مقاومة الكنيسة الكاثوليكية اضطهاد الدولة، قائلاً إذا كان القانون جائراً فإن خرقه لا يعتبر خيانة. من المهم أن نلاحظ هنا التوازي بين غارنيت، ومكبث، إذ أن مكبث أيضاً جعل يتكلم بلسانين.

(16) الخياط في الكتابات الإنكليزية القديمة موضوع تندر كثير. وهو يتهم عادة بسرقة القماش والسروال الفرنسي، الذي كان أهل «الموضة» من الخياطين يقلدون به فرنسا، كان موضوعاً آخر للتندر عن الإليزابيثيين. وهو عادة فضفاض. يبدو أن المعنى هنا هو أن «الموضة» الفرنسية تغيرت فجأة، وغدا السروال ذا طراز ضيق، فسرق الخياط ما زاد لديه من قماش، غير أنه ضُبط الآن «بالجرم المشهود». والمنطوى من هذا كله هو أن المزارع، وذا اللسانين، والخياط، مآلهم إلى جهنم لا لخطاياهم وحسب، بل لمغالاتهم في الثقة حينما يذنبون.

(17) هل كان يعلم شكسبير أن دانتي، في «الكوميديا الإلهية» وضع الذين يخونون بلدهم وضيوفهم وأقرباءهم وأصدقاءهم، في الحلقة التاسعة من الجحيم، وهي الحلقة المتجمدة؟ وكل هذه الخيانات تنطبق على مكبث.

(18) طير الظلام هو البوم شكسبير يوحي هنا بانطلاق قوى الزوبعة والدمار، كقوى شيطانية شريرة، لتطغى على قلعة مكبث، والعالم المحيط بها.

(19) الإشارة إلى أن الملك هو الذي مسح بزيت الله، تعود إلى العبارة الواردة في سفر صموئيل الأول، 14 ـ 10: «الممسوح بزيت الرب»، والإشارة إلى الهيكل وحياته، تعود إلى رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل كورنثس،6، 16: «إنكم هيكل الله الحي». شكسبير يضغط الفكرتين معاً، ليصور الهول في مقتل امرىء هو ملك وإنسان معاً.

(20) ميدوزة في الأساطير الإغريقية إحدى أخوات رعب ثلاث، شعورهن أفاع، ولهن أجنحة ومخالب، وأنياب. ومن كان ينظر إلى ميدوزة، تحول في الحال إلى حجر.

(21) يغمى على الليدي مكبث، فعلاً أو تظاهراً. ويجري الحوار الجانبي التالي بينما يسعفها المرافقون والخدم.

(22) من الصور الكثيرة المستمدة من الملابس في هذه المسرحية، ضعف المرء يشتد إذا بقي معرّضاً، كالجسد العاري. يقصد بالضعف الحزن الشديد الذي يجعلهم يذرفون الدموع.

(23) هذا المشهد يلعب دور الكورس. وبإشاراته إلى النُذُر الرهيبة يؤكد على أن في مقتل دنكن خروجاً على سنن الطبيعة، ثم يتحدث عن نجاح مخططات مكبث، ويوحي إلينا بمروءة مكدف.

(24) «سكون» هي المدينة الملكية القديمة التي كانت في الأغلب عاصمة مملكة «البكت» القديمة وهي على بعد ميلين شمالي «بيرث» في اسكوتلندة. وفيها «حجر المصير» الذي كان ملوك اسكوتلندة يجلسون عليه عندما يتوجون، وكان المعتقد أنه وسادة يعقوب التي يرد ذكرها في التوراة، وقد سرقه إدوارد الأول عام 1296 من كنيسة وستمنستر بلندن.

الفصل الثالث

المشهد الأول
فورس . . . في غرفة القصر

(يدخل بانكوو [1])

بانكوو : تحققت لك الآن كلها : فأنت الملك، وكودور، وغلامس،
كما وعدت نسوة القدر. وأخشى
أنك لعبت لعبة جد غادرة من أجلها . ولكنه قيل
إنها لن تستمر في خلفك ،
بل أنا الذي سأكون الأصل والوالد
لملوك كثيرين . فإذا صدر عنهن أي صدق
(وأقوالهن عليك يا مكبث قد أشرقت)
إذن ، قياساً على الحقائق التي تأكدت عليك ،
أفلا يجوز أن يَكُنَّ مَوْحى النبوءة لي أيضاً .
ويُنهِضْن في نفسي الأمل؟ ولكن ، صمتا ، كفى .

(صدح أبواق. يدخل مكبث ملكاً، ليدي مكبث ملكة،
لينوكس ، روص ، لوردلت ، ومرافقون).

مكبث : ههنا ضيفنا الأكبر!
ليدي مكبث : لو كان قد نُسي ، -

لكان غيابه كفجوة في وليمتنا الكبرى ،
وغير لائق أبداً .
مكبث: سيدي ، إننا الليلة نقيم عشاء رسمياً ،
وأرجو حضورك
بانكوو: فلتأمروني ، رفعتكم ،
فواجباتي موثوقة بكم إلى الأبد
برباط لا يُفصم .
مكبث: أذاهب أنت بعد ظهر اليوم؟
بانكوو: نعم ، مولاي الكريم .
مكبث: لَكُنّا نود حسن مشورتكم
(وهي التي كانت دوماً جادة ونافعة)
في مجلس اليوم . ولكن سنرضى بيوم غد .
أتذهب بعيداً؟
بانكوو: على بعد ما يملأ الزمن ، يا مولاي ،
بين هذه الساعة والعشاء . وإذا لم يحسن حصاني الركض ،
فلا بد لي من أن أستعير من الليل
ساعة ظلام أو اثنتين .
مكبث: لا تفوتنك وليمتنا .
بانكوو: قطعاً لا ، يا مولاي .
مكبث: سمعنا أن ابني عمنا المجرمين يقيمان
في انكلترة ، وفي ارلندة ، ولا يعترفان

بقتل أبيهما بقسوة، ويملآن من يصغي إليهما
تلفيقات غريبة. ولكن لنرجىء ذلك إلى يوم غد،
حين سيكون لدينا، إلى هذا، من قضايا الدولة
ما يحتاجنا معاً. أسرع إلى حصانك: وداعاً،
حتى عودتك في الليل. أيذهب فليانس معك؟
بانكوو: نعم، مولاي الكريم. وقتنا يستدعينا.
مكبث: أرجو لحصانيكما سرعة الإنطلاق، وثبات الحوافر.
وليهنأ كل منكما على صهوة جواده.
أستودعك الله.

(يخرج بانكوو)

ليكن كل رجل سيد وقته
حتى السابعة هذا المساء.
ولكي نزيد من حلاوة الترحاب بالحفل.
سنختلي بأنفسنا حتى ساعة العشاء:
وحتى ذلك الحين، كان الله معكم.

(يخرج الجميع، سوى مكبث وخادم)

يا هذا، كلمة معك.
هل ذانك الرجلان في إنتظار فراغنا؟
خادم: نعم يا مولاي،
خارج بوابة القصر.
مكبث: أحضرهما أمامنا.

(يخرج الخادم)

أن نكون هكذا ليس بشيء
إنما أن نكون هكذا ونحن آمنون : (2)
تخاوفنا من بانكوو
عميقة الوخز، وفي طبعه الخليق بالملوك
يسود ما يجب أن أخشاه. إنه يجرأ على الكثير،
وهو إلى معدن ذهنه المقدام
يتمتع بحكمة ترشد شجاعته
إلى الفعل بأمان. ليس ثمة من أخشاه
إلاه، وملاكي الحارس إزاءه مهين،
كما كان ملاك أنطونيو، على ما يقال، إزاء قيصر.
لقد عنّف «الأخوات».
عندما قلدنني مَلِكاً أول مرة،
وأمرهن بمخاطبته. وعندها، كالأنبياء،
حيينه أبا لسلالة من الملوك.
تاجاً عاقراً وضعن على رأسي،
وصولجاناً عقيماً في قبضتي،
لكيما يُنتزع منها بيد من غير ما سلالة،
فلا يخلفني ولد لي. إن يكن الأمر هكذا،
فأنا ما لوثت ذهني إلا لذرية بانكوو!
من أجلهم قتلت دنكن النبيل،

ووضعت الأحقاد في كأس سلامي ،
من أجلهم فقط ، وجوهرتي الخالدة[3].
سلّمتها عدوَّ البشر جميعاً ،
لكيما أجعلهم ملوكاً ، بِزْرَ بانكوو ملوكاً !
رفضا مني لذلك ، تعال أيها القَدَرُ إلى الحلبة ،
واطلب نزالي حتى الرمق الأخير!
من هناك ؟
يدخل الخادم ثانية ومعه قاتلان
والآن ، إذهب إلى الباب ، وامكث هناك حتى ندعوك .
(يخرج الخادم)
أمس تحدثنا معاً أليس كذلك؟
قاتل1 : بلى ، يا صاحب الجلالة .
مكبث: حسناً . هل تأملتما فيما قلته لكما؟
أتعلمان أنه كان هو الذي ، في زمن مضى ،
أخفض من قدركما في حين وضعتما الظِّنة[4]
فيّ أنا البريء؟ وهذا ما أثبتّه لكما
في إجتماعنا الأخير، وتتبعت معكما البرهان ،
كيف أنكما خُدعتما ، وأُحبطتما ، ومن هم الوسائط ،
ومن عمل معهم ، وغير ذلك من الأمور التي
بوسعها أن تقول حتى لمن لا يملك من الروح
إلا نصفها ، ومن العقل إلا المختل :

«هذا ما فعله بانكوو»

قاتل1: وضحت لنا ذلك.

مكبث: أجل، ثم إنتقلت إلى الأمر الذي
هو الغرض من اجتماعنا هذا الثاني. هل تجدان
الصبر سائداً في الطبع منكما
فتستطيعان إغفال هذا؟ هل لُقِّنتُما الانجيل
فأردتما الصلاة لهذا الرجل الطيب، ونسله[5]
هذا الرجل الذي أحنت يدُه ظهوركم للقبر،
وأحوجت أولادكم للتسول حتى الأبد؟

قاتل1: رجال نحن، يا مولاي.

مكبث: نعم، في كتاب الدليل أنتم رجال.
فالسلوقي، وكلب الصيد، والهجين، والجرو،
وكلب الماء، وشبيه الذئب،
تدعى «كلاباً» كلها. أما الملف الثمين
فيميز بين السريع، والبطيء، والمرهف،
وحارس المنزل، والمطارد، كل
حسب الموهبة التي جعلتها الطبيعة المعطاة
مرصعة فيه. وبهذا يكتسب
صفة خاصة، إضافة إلى القائمة
التي تدرج الكلاب كلها سواسية. وهكذا الرجال.
فالآن إن كانت لكما منزلة في الدليل

ليست في أحط مراتب الرجولة ، أخبراني بها .
ولسوف أجعل في الصدر منكما مهمة
يقضي تنفيذها على عدوكما ،
ويشدكما إلى القلب والحب منا ،
فقد باتت الصحة منا في مرض بحياته ،
ولنكونن بموته في أحسن حال .
قاتل2 : إنني امرؤ يا مولاي
أغضبته كلمات الدنيا وضرباتها الدنيئة ،
فما عدت آبه ماذا أفعل
لأكيد للدنيا .
قاتل1 : وأنا امرؤ آخر
أنهكته النكبات ، وقارعته الأيام ،
فجعلتُ حياتِي رهنَ أي مجازفة ،
أصلحها بها أو أخلص منها .
مكبث : كلاكما يعلم
أن بانكوو كان عدوكما .
قاتل2 : صدقت ، سيدي .
مكبث : وهو عدوي أيضاً . وعلى مقربة دامية مني
حتى لتطعنني كل دقيقة من كينونته
في حشاشتي : ومع أن بوسعي
أن أكنسه عن ناظري بقوة سافرة ،

وآمر إرادتي بالمصادقة عليها ، فإن علي ألا أفعل ذلك ،
من أجل أصدقاء معينين هم أصدقاء لي وله معاً ،
لا يمكنني التخلي عن حبهم ، بل سأبكي سقوطه
وأنا الذي صرعته : ومن هنا
فإني أطلب ودكما ومساعدتكما ،
حاجباً الأمر عن أعين العموم
لأسباب خطيرة شتى .

قاتل2: لسوف نؤدي يا مولاي
ما تأمروننا به .

قاتل1: حتى ولو أن حياتنا . . .

مكبث: الحيوية تتوهج من خلالكما . في غضون الساعة هذه ، على الأكثر ،
سأشير عليكما أين تزرعان نفسيكما ،
وأعلمكما بالساعة المثلى ،
بل باللحظة عينها ، لأنها يجب أن تفعل الليلة ،
وعلى مبعدة ما من القصر ، فالمحسوب دائماً
أنني بحاجة إلى ما يبرئني :
ولكي لا تبقى في العملية عاهة أو عيب ،
فإن ابنه فليانس ، الذي يرافقه ،
والذي يهمني غيابه
بقدر غياب أبيه ، يجب أن يلقى معه مصير

تلك الساعة السوداء . . . قررا على إنفراد .
سآتيكما بعد قليل .
قاتل2 : لقد قررنا يامولاي
مكبث : سأدعوكما حالا. إنتظرا في الداخل .

(يخرج القاتلان)

خُتم الأمر! وإذا كانت روحك الطائرة يا بانكوو
ستلقى السماء ، فعليها بالبحث عنها هذه الليلة!

(يخرج)

المشهد الثاني

فورس . . . غرفة أخرى

(تدخل ليدي مكبث وخادم)

ليدي مكبث: هل غادر بانكوو البلاط ؟
خادم: نعم، سيدتي، وسيعود الليلة ثانية،
ليدي مكبث: قل للملك أنني في إنتظار فراغه
لبضع كلمات معه .
خادم: سأفعل، سيدتي .

(يخرج)

ليدي مكبث: حيثما تتحقق منا الأمنية ولا يتحقق الرضا،
نَكُنْ لا شيئاً كسبنا، وأنفقنا كل شيء :
انه لأسلم لنا أن نكون ما نحطم
من أن نقوم بتحطيم الآخرين في فرح مليء بالريب .

(يدخل مكبث)

مالي أراك يا مولاي تعزل نفسك وحيداً
جاعلاً من أبأس الخيالات رفاقاً لك،
محتضناً تلك الخواطر التي كان عليها أن تموت

مع الذين تتردد هي عنهم؟ كل ما استعصى على العلاج
يجب أن ينأى عن الفكر: ما صار قد صار.
مكبث : لقد جرحنا الأفعى، ولم نقتلها .
لسوف تلتئم، وتكون ما كانت، بينما يبقى
حقدنا المسكين في خطر من نابها الأصلي .
ولكن ألا فلينقصمْ هيكل الأشياء،
ولتضطرب هذه الدنيا والآخرة،
قبل أن نقتات طعامنا خوفاً، وننامَ
في كرب من هذه الأحلام الرهيبة
التي تزلزلناكل ليلة . خير لنا أن نكون مع الموتى
الذين، كسبا لسلامنا، أرسلناهم لسلام أبدي،
من أن نرقد على عذاب النفس
في اختبال لا يقر. دنكن في قبره .
إنه بعد نوبات حمّى الحياة في نومة عميقة .
الخيانة فعلت اسوأ فعلها: لا الفولاذ، ولا السم،
لا الحقد الأهلي ولا الجيش الأجنبي
بقادر أن يمسهُ بعد!
ليدي مكبث : هيا، مولاي الكريم،
لتنبسط أسارير وجهك المكفهرة،
وكن مشرقاً ضحوكاً بين ضيوفك الليلة .
مكبث : سأكون، يا حبيبتي . وأرجو أن تكوني كذلك أنت أيضاً .

وجهي همّك نحو بانكوو:
هبيه الصدارة، عيناً ولساناً معاً.
نحن لن نسلم ما دمنا
نُكره على غسل شرفنا بسيول النفاق هذه،
وجعل وجوهنا أقنعة لقلوبنا،
لتخفي حقيقتها.
ليدي مكبث: يجب أن تكف عن ذلك!
مكبث: آه، مليء بالعقارب ذهني، زوجتي العزيزة!
أنت تعلمين أن بانكوو وابنه فليانس في قيد الحياة.
ليدي مكبث: ولكنّ عَقْدَ الحياة فيهما ليس بالأبدي.
مكبث: ثمة عزاء بعد. مهاجمتهما ممكنة.
فامرحي... قبل أن ينطلق الوطواط في طيرانه
بين الأروقة، وقبل أن تدعو «هكاته» السوداء
خنفساء الحراشف لتقرع بطنينها الناعس
جرس الليل المتثائب، ستُفعل
فعلة مخيفة النبرة.
ليدي مكبث: وما هي؟
مكبث: كوني بريئة من العلم بها، فرختي الحبيبة،
إلى أن تهتفي لها. تعال يا ليل، يامُغمِضَ العيون، واعصب
العينَ الحنون من النهار الشفيق
وبيدك الخفية الدامية

إلغ، ومزِّق قطعاً، ذلك العَقْدَ العظيم[6]
الذي يبقيني في شحوب!
أخذ الضوء يكثف. والغراب يطلق الجناح نحو غابة العقبان.
طيات النهار جعلت تتهدّل وتتناعس،
وعملاء الليل السود راحوا ينشطون للفريسة.
أتعجبين لكلماتي؟ هدئي روعك،
كل ما بالشر يبدأ، إنما بالشر يقوى.
إذن، أرجوك، هيا معي.

(يخرجان)

المشهد الثالث

فورس . . . حديقة فيها
طريق يؤدي إلى القصر

(يدخل ثلاثة قتلة)

قاتل 1: ولكن من أمرك بالإنضمام إلينا؟
قاتل3: مكبث[7].
قاتل2: لا حاجة بنا إلى الريبة فيه، ما دام يعين لنا
وظيفتنا، ومهمتنا،
وفق التعليمات الدقيقة.
قاتل1: إذن: قف معنا.
ما زال الغرب يومض بخيوط من نهار:
والمسافر المتأخر يُعَجِّل من سيره الآن،
ليبلغ الخان مبكراً، وقريباً أخذ يدنو
موضوع كميننا.
قاتل3: أصغيا! أسمع خيلاً.
بانكوو: (من الداخل) أعطونا ضياء، يا قوم!
قاتل2: إذن أنه هو. أما الآخرون
المدرجون في قائمة المدعوين

فقد سبق أن وصلوا القصر.

قاتل 1 : خيله طليقة .

قاتل 3: لحوالي الميل . ولكن ذلك من دأبه ،
كغيره من الرجال ، فهم من هنا حتى بوابة القصر
يسيرون على القدم .

(يدخل بانكوو وفليانس ومعه مشعل)

قاتل 2 : ضياء! ضياء!

قاتل 3: إنه هو!

قاتل 1: تهيأوا!

بانكوو: ستمطر الليلة .

قاتل 1 : ولتنهمر!

(القاتل الأول يطفىء المشعل ، بينما يهجم الآخران على بانكوو)

بانكوو: آه خيانة! أهرب يا فليانس ، أهرب ، أهرب !
لعلك تنتقم . أيها العبد!

(يموت بانكوو، ويهرب فليانس)

قاتل 3: من أطفأ المشعل؟

قاتل 1: ألم تكن هي الطريقة؟

قاتل 3 : واحد وقع فقط . الإبن هرب .

قاتل 2: لقد أضعنا النصف الأفضل من مهمتنا .

قاتل 1 : آ، لنذهب
ونخبر عن مدى ما أُنجز.	(يخرجون)

المشهد الرابع
قاعة فخمة في القصر... وليمة مهيأة

(يدخل مكبث، ليدي مكبث،

روص، لينوكس، لوردات، ومرافقون)

مكبث: إنكم تعرفون مراتبكم، فاجلسوا . . . بدءاً

ومنتهى، من قرارة قلبي أرحب بكم .

لوردات: شكراً لجلالتكم .

مكبث: ونحن سنخالط الحفل

لنقوم بدور رب البيت المتواضع .

ربة البيت تلزم عرشها . ولكن إذ يحين الأوان

سنطلب إليها الترحيب بكم .

ليدي مكبث: أعلنها عني، سيدي، لصحبنا جميعاً

لأن قلبي يتكلم – إنهم هنا على الرحب والسعة .

(يدخل القاتل الأول، عند الباب)

مكبث: أنظري، إنهم يقابلونك بالشكر من قلوبهم .

الجانبان متساويان كلاهما: هنا سأجلس أنا في الوسط .

كونوا أحراراً في المرح . . . لحظة، وسنشرب نخباً

لكل من على المائدة

(يذهب إلى الباب)

على وجهك دم.
قاتل: إذن فهو دم بانكوو
مكبث: عليك من الخارج، ولا فيه من الداخل!
هل أجهزت عليه؟
قاتل: مولاي، قُطع عنقَه.
أنا الذي قطعته.
مكبث: إنك أبرع من قطع العنق.
ولكنْ بارعٌ أيضاً من فعل ذاك بفليانس.
فإن كنت أنت، فإنك الذي لا يضاهى.
قاتل: مولاي صاحب الجلالة... فليانس هرب.
مكبث: إذن عادت نوبتي من جديد: وإلا كنت في أفضل حال،
سليماً كالرخام، ثابتا كالصخر،
حراً طليقاً كالهواء المحيط بي.
أما الآن، فإني محشور، محصور، مُحْتبس، تكَبلني
لَجَوجُ المخاوف والشكوك. ولكن بانكوو سليم؟
قاتل: نعم، مولايِ الكريم، سليم مقيم في خندق،
وفي رأسه حفرت عشرون طعنة
أصغرُها موتٌ للطبيعة.
مكبث: أشكر لك ذلك.

هناك ترقد الأفعى الكبرى. أما الأُفيعى التي هربت
فمن شيمتها أن تولد السم مع الزمن،
وإن تكن الآن بلا أنياب. أخرج، وغداً
نتباحث معاً ثانية.

(يخرج القاتل)

ليدي مكبث: مولاي صاحبَ الجلالة،
إنك لا تجود بالبشاشة: وما الوليمة إلا بيع وشراء
إن لم تؤكد مرةً بعد مرة، وهي جارية،
بأنك بالترحاب تقيمها، خير ما يأكل المرء، في بيته.
أما خارج البيت، فتوابلُ الطعام الإحتفاء
واللقاءُ بدونه لا طعم له.
مكبث: مُذَكرتي العذبة!
هنيئاً مريئاً أيها الصحب،
وصحةً للجميع!
لينوكس: هلا تفضلتم بالجلوس جلالتكم؟
مكبث: لكان فخرُ بلادنا الآن تحت هذا السقف
لو أن شخص بانكوو الكريم حاضر بيننا.

(يدخل شبح بانكوو، ويجلس في مكان مكبث)

وأنا شديد العتبى عليه لعدم لطفه،
أكثر مني عطفاً لطارىء ربما قد حل به.
روص: غيابه، يا سيدي،

يوقع اللوم على وعده. هلا آنستمونا
جلالتكم بالجلوس معنا؟
مكبث: المائدة ملأى.
لينوكس: (مشيراً إلى الكرسي الذي جلس فيه بانكوو)
هنا مكان مخصص، سيدي.
مكبث: أين؟
لينوكس: هنا، مولاي الكريم، ما الذي يثيركم؟
مكبث: من منكم فعل هذا(8)؟
لوردات: ما هو، يا مولاي؟
مكبث: لن تقدر أن تقول، أنا الذي فعلتها. لا تهز لي
بخصلاتك الدامية.
روص: أيها السادة، إنهضوا: جلالته متوعك.
ليدي مكبث: اجلسوا، أيها الصحب الكرام. كثيراً ما يكون مولاي هكذا،
منذ شبابه: أرجوكم، أبقوا في مقاعدكم.
تدوم النوبة برهة، وبسرعة الخاطر
يعود ثانية إلى صحته. أن تركزوا عليه،
تسيئوا إليه وتطيلوا معاناته.
كلوا، ولا تنظروا إليه. - أرجل أنت؟
مكبث: نعم، رجل جسور، يجرأ على النظر
إلى ما قد يرعب الشيطان.
ليدي مكبث: أوه! كلام هائل!

إن هذا إلا رسم من خوفك :
إنه الخنجر المسلول في الفضاء الذي ، قلت ،
انه اقتادك إلى دنكن . أوه ! هذه الإنتفاضات والجَفَلات
زيفٌ إزاء الخوف الحقيقي ، وهي قد تليق
بحكاية امرأة قرب نار الشتاء ،
ترويها عن جدتها . يا للعيب !
لماذا تشنّج قسماتِ وجهك هكذا؟ حاصلُ الأمر
إنك إنما تنظر إلى مقعد .
مكبث: أرجوك ، أنظري هناك !
عايني ، أبصري ، ماذا تقولين؟
وما همني؟ إن تهزّ رأسك ، تكلم أيضاً !
إن كان لا بد للنواويس والقبور أن تعيد
الذين ندفُنهم إلينا ، فلتكن أضرحتنا
حواصلَ الحدآت[9] .

(يختفي الشبح)

ليدي مكبث : ماذا ! أفقدت رجولتك حُمقاً؟
مكبث: إن كنت واقفاً هنا ، فقد رأيته .
ليدي مكبث : خسئت ! عيب !
مكبث: لقد سُفك الدم قبل اليوم ، في العصور الغابرة ،
قبل أن تُبرىء الشرائع الإنسانية المجتمع
ومنذ ذلك الحين أيضاً اقتُرفت جرائم

أرعب من أن تسمعها أُذُن: لقد جاء زمن
كان المرء فيه، إذا انسفح مخه، يموت،
وفي ذلك نهاية له. غير أنهم اليوم يقومون ثانية
وفي رؤوسهم عشرون جرحاً قاتلاً.
ويدفعوننا عن مقاعدنا... وهذا أغرب حتى من جريمة
كهذه.
ليدي مكبث: مولاي الكريم،
صحبك الأشراف يتوقعونك.
مكبث: والله نسيت.
لا تأخذنّكم الخواطر بي، صحبي الكرام.
إن بي علةً غريبة، هي لا شيء
للذين يعرفونني. أعطني خمراً: املأ الكأس.
أني أشرب نخب فرح الذين على مائدتي كلها،
ونخب صديقنا العزيز بانكوو، الذي نفتقده.
يا ليته كان هنا!

(يدخل الشبح ثانية)

لكم جميعاً، وله، نحن في ظمأ،
وليشرب الكل للكل!
لوردات: واجباتنا، وعهد علينا!
مكبث: إذهب إغرب عن بصري! فلتُخْفك الأرض!
عظامك لا نخاع فيها، ودمك جامد.

لا إدراك في تينك العينين
اللتين تحملق بهما . . .
ليدي مكبث: اعتبروا هذا، أيها الشيوخ الأفاضل،
أمراً معتاداً، ليس إلا.
ولو أنه يفسد متعة الساعة.
مكبث: ما يجسر امرؤ عليه، أجسر عليه أنا:
أُدْنُ دُنُوَّ الدب الروسي الخشن،
أو الكركدن المسلح، أو النسر الهرقاني(10)
اتخذ لك أي شكل إلا ذاك، فلن تصيب
أعصابي الراسخة رعدة واحدة: أو، عد إلى الحياة،
واطلب نزالي في الصحراء بسيفك،
فإن حويت عندها رعْدَة، أعلنْ أنني
دمية طفلة . . . عني بك، أيها الظل المريع!
أيها الهزء الوهمي، عني بك!

(يختفي الشبح)

أف، هكذا . . . الآن وقد تلاشى،
فإني رجل من جديد . . . أرجوكم، استكينوا.
ليدي مكبث: طردت المرح، وفضضت الإجتماع
بالعجيب من سوء السيطرة والنظام.
مكبث: أيمكن أن توجد أشياء كهذه
تعبر بنا كسحابة صيف،

دون أن تُذهلنا؟ انك تجعلينني أندهش
حتى لطبعي أنا ،
عندما أبصر الآن أن بوسعك رؤية مشاهد كهذه ،
وتحتفظين بياقوت خديك الطبيعي ،
بينما يَبْيَضُّ ياقوت خديَّ فزعاً .
روص: أية مشاهد ، يا مولاي؟
ليدي مكبث : أرجوكم ، لا تتكلموا . انه يتطور من سيء إلى أسوأ ،
والسؤال يغضبه . . . في الحال ، ليلة سعيدة .
لا تتمسكوا بأصول مغادرتكم ،
بل اذهبوا في الحال .
لينوكس: ليلة سعيدة ، وعافى الله جلالته!
ليدي مكبث : ليلة سعيدة لكم جميعاً!

(يخرج اللوردات والمرافقون)

مكبث: لا بد لمصرعه من دم ، كما يقولون . الدم يطلب الدم :
لقد سمعنا أن الحجارة تتحرك ، والأشجار تنطلق ،
وأن العرافة ، والإستدلال بالعلامات ، يكشفان
عن طريق العقاعق ، والحدآت ، والغربان ،
أعمق القتلة سراً وتكتماً . ما هزيع الليل؟
ليدي مكبث : يكاد يصارع الفجر.
مكبث: ماذا تقولين في مكدف ، وهو يتمنع بشخصه
على أمرنا العظيم؟

ليدي مكبث: هل طلبته، يا سيدي؟
مكبث: سمعت ذلك صدفة. ولكنني سأطلبه.
ليس ثمة واحد منهم إلا وجعلت في منزله
خادماً مأجوراً لي. سأذهب غداً
(ومبكراً سأذهب) إلى أخوات القدر:
لسوف أستنطقهن المزيد. فقد عزمت الآن على
معرفة أسوأ الأمور بأسوأ الوسائل، ولصالحي
سيعنو كل سبب... لقد خطوتُ في الدم
بعيداً، فحتى لو لم أخض المزيد
لكان النكوص مرهقاً كما المضي.
في رأسي أمور غريبة ستنتقل إلى يدي،
لا بد من فعلها قبل أن ينظر فيها أحد.
ليدي مكبث: بك حاجة للنوم، مِلْحِ كل طبيعة.
مكبث: هيا بنا إلى النوم. ما توهيم نفسي الغريبُ
إلا فزعُ المستجدّ الذي تعوزه شدةُ المراس:
ما زلنا بعدُ فتيين في الفعل.

(يخرجان)

المشهد الخامس[11]

القفراء . . . رعد .

(تدخل الساحرات الثلاث ، ويلتقين بهكاته) .

الساحرة 1 : هه ، ما الأمر يا هكاته؟ تبدين مغضبة .

هكاته : أَلَسْتُ معذورةً ، وأنتن الشمطاوات
المتجرئات الوقحات؟ كيف جسرتن
على التعاطي والتعامل مع مكبث
بالألغاز وقضايا الموت
وأنا ، سيدةُ رُقاكم ،
والمبتكرة السرية لكل أذاكم ،
لم أُدْعِ قط إلى القيام بدوري
أو إبراز الروعة في فنكن وفني؟
والأسوأ أن ما فعلتن كله
كان لابن ضال عنيد ،
حقود حنيق ، كغيره
ليس يهوى إلا لمآربه ، دونكن .
أصلحن أمركن الآن : هيا

وفي وهدة آكرون[12]
قابلنني في الصباح. انه هناك
سيأتي ليسأل عن مصيره.
هيئن الأواني والرُّقى
ولوازم السحر وغيرها.
اني في الهواء لراحلة، وسأقضي الليلة
لغاية مدمرة وقاتلة.
فعلةٌ كبرى لا بد تقضى قبل الظهيرة...
عَلِقَتْ على الركن من القمر
قطرةٌ من بخار عميقة الأثر[13]
سألقفها قبل أن تدرك الأرض:
فإذا قُطِّرت بسحريّ الحيل
استحضرت عفاريت ملأى بالألاعيب
تجرّه بعنيف خداعها
إلى الحيرة والتخبط.
سيزدري القدر ويستخف بالموت،
ولسوف يعلو بآماله
على الحكمة، والنعمة، والفزع.
وكلكن يعلم أن الغلو بالثقة
هو العدو الأكبر للبشر.

(أغنية من الداخل: «تعالي، تعالي...»)

سمعاً! يدعونني . . . جنيتي الصغيرة، أنظرن!
جلست في سحابة غمام، بانتظاري . . .

(تخرج)[14]

المشهد السادس
مكان ما من اسكوتلندة

(يدخل لينوكس ولورد آخر)

لينوكس: ما قلتُهُ سابقاً ينسجم مع أفكارك،
ولها أن تسترسل في التأويل. كل ما أقول هو
أن الأمور قد صُرفت على نحو غريب. دنكن الطيب
عطف عليه مكبث: وإذا هو والله يموت.
وبانكوو الشجاع تأخر في دربه،
وهذا، لك أن تقول (إن شئت) إن فليانس قتله،
لأن فليانس قد هرب. على الرجال ألا يتأخروا في الدروب.
ومن له إلا أن يفكر بوحشية أن
يقتل مالكولم ودونالبين
أباهما الطيب؟ يا للحقيقة اللعينة!
لشد ما أحزنت مكبث! ألم يذهب على الفور،
في غضبة موالية، ويمزق المجرمين الاثنين
وقد استعبدهما الشراب، واسترقّهما النوم؟
ألم يكن ذاك نبلاً منه؟ بلى، وحكمة أيضاً.

لأن ما من فؤاد حي إلا وكان سيغضب
لو سمع الرجلين ينكران . ولذا فإني أقول
إنه دبر الأمور كلها خير تدبير. وإني لأحسب
لو أنه تمكن من وضع ولدي دنكن خلف رتاجه
(لا سمح الله بذلك !) ، لوجدا
ما معنى أن يقتل المرء أباه . وهكذا فليانس .
ولكن كفى ! فمكدف من صريح كلماته ، ولأنه أخفق
في حضور وليمة المغتصب الطاغية ، سمعت
أنه يعيش مغضوباً عليه . هل تعلم ، سيدي ،
أين يقيم؟
لورد: ان ابن دنكن الذي
يمنع عنه هذا الطاغية حق ميلاده
يقيم في البلاط الإنكليزي ، ويلقى
من الملك التقي إدوارد كل حسنى
فلا ينال حقد الدهر
من علو منزلته . . . هناك يمم مكدف وجهه
ليرجو الملك الورع ، نيابة عنه ،
أن يستنخي أمير نورثمبرلند ، والمحارب سيوارد .
عسى أننا بمساعدة هؤلاء (وببركته تعالى
تأييداً للعملية) نعود لموائدنا بالطعام ،
ولليالينا بالنوم ،

وندفع عن ولائمنا ومآدبنا الخناجر الدامية ،
ونقوم بولائنا مخلصين ، ونتلقى التكريم أحراراً ،
مما نحن في توق إليه . . . وهذا النبأ
قد أثار حفيظة الملك جداً ، حتى
راح يستعد لمحاولة حربية
لينوكس: هل أرسل في طلب مكدف؟
لورد: أجل ، وإذ رد باقتضاب حازم: «سيدي ، أرفض»
أدار الرسول المكفهر ظهره ،
وهمهم ، كأنه يقول : «ستندم على الزمن الذي
جشمني هذا الجواب . »
لينوكس: وذاك أغلب الظن
سيوصيه بالحذر، والبقاء بعيداً
ما تمكنه حكمته . ألا ليت ملاكاً طاهراً
يطير إلى بلاط إنكلترة ، ويكشف
عن رسالة مكدف قبل وصوله ، لعل بركة عاجلة
تنزل قريباً على هذا البلد الذي يشقى
تحت قبضته اللعينة!
لورد: سأشفعه بصلواتي .

(يخرجان)

هوامش:

(1) في كتاب المؤرخ هولنشيد، الذي اقتبس عنه شكسبير المسرحية، نجد أن بانكوو هو شريك مكبث في مقتل دنكن. غير أن بانكوو كان سلف الملك جيمزالأول، الذي اعتلى عرش انكلترا واسكوتلندة، موحدتين، قبل كتابة المسرحية ببضع سنوات، فكان على شكسبير أن يعامل سلف الملك باحترام، ولأسباب درامية صرفة كان المستحسن أن يجعل مكبث وبانكوو شخصيتين متقابلتين متضادتين، ولا يعطي مكبث وزوجته أي شريك، ومع ذلك فإن كلام بانكوو هنا يوحي بأنه ضالع في الجريمة لأنه، بسبب من طموحه، أبقى سراً أمر الساحرات مع مكبث ولم يفضح ما جرى بينهما.

(2) أي: أن يكون المرء ملكاً بالاسم ليس بشيء، إنما الشيء هو أن يكون ملكا وهو آمن.

(3) أي روحه الخالدة سلمها للشيطان.

(4) يبدو من سياق الحوار هنا أن «القاتلين» في الأصل اثنان من الضباط عوقبا يوماً على سوء تصرفهما.

(5) الإشارة إلى أنجيل متى، 4، 44: «أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى الذين يكرهونكم، وصلوا من أجل الذين يؤذونكم ويضطهدونكم.»

(6) أي العقد الذي بموجبه يمتلك بانكوو وابنه فليانس الحياة من الطبيعة.

(7) مكبث، كأي طاغية، لا يثق في أحد، فيرسل قاتلاً ثالثاً ليتجسس على الرجلين اللذين إختارهما لتنفيذ جريمته.

(8) أي: من منكم قتل بانكوو؟

(9) أي، لكيما تمنع الأجساد من العودة من القبور، علينا أن نطعمها للحدآت.

(10) نسبة إلى هرقانيا، جنوب شرقي بحر قزوين.

(11) هذا المشهد، في الأرجح، مقحم على النص الشكسبيري، وهو من الإضافات التي كانت تستهدف إمتاع الجمهور بما تهيئه من فرصة للفرجة، والغناء، والرقص. والمعتقد أن المشاهد التي تظهر فيها هكاته في هذه المسرحية، أقحمها أفراد من الإدارة المسؤولة عن الفرقة التي كان شكسبير يكتب لها مسرحياته.

(12) سر في الجحيم.

(13) كان القدامى يعتقدون أن هذه قطرة من زبد يسقطها القمر على أعشاب أو أجسام معينة بمفعول السحر القوي.

(14) كانت هكاته ترفع في «عربة مسرحية» تعلو بها البكرات، ثم تخفيها الستائر الفضفاضة.

الفصل الرابع

المشهد الأول
منزل في فورس

(في الوسط قدر كبيرة تغلي. رعد.

تدخل الساحرات الثلاث).

ساحرة 1: ثلاثاً ماءت القطة المخططة.

ساحرة 2: ثلاثاً، ومرةً أنّ الخنزير.

ساحرة 3: البوم يصيح: آن الأوان، آن الأوان[1].

ساحرة 1: دوروا حول القدْر دوروا

وارموا الحشى المسموم فيها. –

هاتي علجومة قد رقدت تحت الحَجَر

واحداً وثلاثين يوماً بلياليها

تتصفَّدُ بالزعاف، واجعليها

في الحلّة المسحورة – فيها

ستغور الآن حالاً وتمورُ.

معاً: يا كدْحُ، يا ويلُ، يا ثُبورُ،

لهلبي يا نارنا، قِدْرُنا سوف تفورُ.

ساحرة 2: شَرْحةٌ من أفعى آسِنة

في الحلة فوّروها ،
صوفُ خشّافٍ ،
عينُ زحّافٍ
عوّروها ،
واصبعٌ من ضفدع آمنة ،
لسان كلب ،
ومن حَلْق ثعبانٍ شطيرة
وزُباني من دودة حسيرة ،
ومن عَظاةٍ رِجْلُها تلك الكبيرة ،
وجناحُ بويمةٍ من السواهي
لرُقْيةٍ تدهو الدواهي
في حساء من جَهَنَّمَ يرغو ويثورُ
معاً : يا كدحُ ، يا ويلُ ، يا ثبورُ ،
لهلبي يا نارنا ، قِدْرنا سوف تفورُ .
ساحرة 3 : حراشفُ تنينٍ هذهِ ،
وأنيابُ ذيب ،
ومومياءُ سَاحرةٍ كالقنطريب ،
ومن قِرْشةٍ ضارية
بأجاجها جارية
حوصلةٌ مع المعدة .
وجذورُ شوكران

اجتُثَّت في الظلام ،
مرارةُ مِعْزَى ، عساليجُ طقوس
إنتزعناها معاً عند الخسوف ،
كبدُ كافر يهودي
وشفتا تتريٍّ
وأنفُ تُركيٍّ أفندي
وأصبع طفلٍ خنيقٍ بالولادة
وضعتْهُ في خندقٍ أُمُّهُ القوحادة –
هيا كثّفي الطبخة ، أنضجيها !
وأمعاءُ نمرٍ أضيفيها
لعناصر قدرنا وهي تمورُ. . .
معاً: يا كدْحُ ، يا ويلُ ، يا ثبور،
لهلبي يا نارنا ، قدرنا سوف تفور.
ساحرة2 : بدم السعدان آنا برّدوها :
الرقيةُ صارت . . هَوِّدوها . . .

(تدخل هكاته ، والساحرات الثلاث الأخريات) (2).

هكاته: آه ، أحسنتن ! أنا أثني عليكن ،
الربح ربحي ، وربحكن ،
عُدْنَ للقدر وغَنّينَ ،
دُرْنَ حولها في حَلَقة ،
صِحْنَ كالجن وغنينَ

يَتِمَّ السحرُ في أشيائكن.

(موسيقى، وأغنية «أرواحنا السوداء هيا، إلخ».

تخرج هكاته والساحرات الثلاث الأخريات)

ساحرة 2: في إبهامي وَخَزٌ - إنه لدليلٍ
على شيءٍ قادم، ملؤه شرٌّ وبيلُ. -
إفتحي يا أقفال
لكل من يقرع!

(يدخل مكبث)

مكبث: ما بالكن يا شُمْطَ الخَفاءِ والسوادِ وجُنَّةِ الليل!
ما الذي تفعلن؟

الساحرات معاً: فعلاً لا يُسمَّى.

مكبث: أستحلفكن بالذي تحترفنه[3]
كيفما يكن سبيلكن لمعرفته، أجبنني:
حتى وإن تطلقن الرياح، وتجعلنها تقارع[4]
الكنائس، حتى وإن تحطم الأمواجُ الراغية
السفن وتبتلعها،
حتى وإن تُضْربْ حبةُ القمح في السنبلة، وتقتلعِ الأشجار،
وتتهاوَ القلاع على رؤوس قاطنيها،
حتى وإن تَحْنِ القصورُ والأهرام
رؤوسها على أسسها، وتتمازجْ
خزائنُ بذور الطبيعة كلها في خليط كبير،[5]

إلى أن يتخم الدمار بالدمار، أجبنني
عما سأسأل.
ساحرة 1: تكلم.
ساحرة 2: أطلب.
ساحرة 3: سنجيب.
ساحرة 1: وقل إن كنت تؤثر السماع من أفواهنا
أو أسيادنا؟
مكبث: أدعينهم! اجعلنني أرهم بعيني.
الساحرة 1: صبوا دم خنزيرة قد لهمت
صغارها التسعة،
وألقوا في اللهيب
شحماً أفرزته
مشنقة القتلة.
الساحرات معاً: عالياً أو سافلاً، تقدم
واكشف بارعاً عن نفسك ومهمتك.

(رعد. الطيف الأول: رأس مسلح)(6)

مكبث: قل لي: قوة مجهولة، (7)
الساحرة1: يعلم ما بفكرك:
إسمع ما يقول، وشيئاً أنت لا تقل.
طيف 1: مكبث! مكبث! مكبث! من مكدف خذ الحذر،
احذر أمير فايف. - اصرفوني. - كفى... (8)

(ينزل)

مكبث: مهما تكن، فشكراً لتنبيهك الطيب لي.
لقد أصبت في تخمين ما أخشاه. – ولكن، كلمة أخرى. . .
ساحرة1: يرفض الأوامر. هنا آخر
أشد فعلاً من الأول.

(رعد)

الطيف الثاني: طفل دام.
طيف 2: مكبث! مكبث! مكبث! –
مكبث: لو كانت لي آذان ثلاث، لأصغيت لك.
طيف2: كن دموياً، جسوراً، جازماً: واسخر
من قوة الإنسان، فما من وليد لامرأة
سيؤذي مكبث.

(ينزل)

مكبث: إذن، عش يا مكدف: فيم خشيتي منك؟
ولكني سأجعل الحِرْزَ حرزين،
واستكتب القَدَر تعهداً: لا، لن تعيش[9]،
لكيما أقول للخوف الشاحب القلب أنه يكذب،
وأنام رغم جَلْجَلة الرعود.

(رعد)

الطيف الثالث: طفل متوّج في يده شجرة.
ما هذا الذي

ينبجس وكأنه نسل الملوك،
ويلبس على جبينه الطفلي
دائرة السؤدد وقمته؟
الساحرات معاً: أصْغِ ولا تتكلم إليه.
طيف3: كن هَصوراً، متكبراً، ولا يهمنّك
من يتشكى، من يتذمر، أو أين يلتقي المتآمرون:
مكبث لن يُقهر أبداً حتى
تزحف عليه غابة بيرنام العظيمة
إلى تلعة دنسينان العالية.

(ينزل)

مكبث: وذلك لن يكون.
من يستطيع زحزحة الغاب، أو أمر الشجرة
بأن تقلع جذرها المشدود بالتراب؟ يا نذائر عذبة وطيبة!
أيها الموتى المتمردون أبداً لن تقوموا، حتى تتحرك
غابة بيرنام! ومكبث رفيعَ المقام سيحيا
أجَلَ الطبيعة، واهباً أنفاسه
للزمن وما اعتاد الناس من موت. – ولكن قلبي
يخفق لمعرفة أمر واحد: أخبرني (إن كان لفنكن
أن يعلم)، هل ستحكم ذرية بانكوو أبداً
في هذه المملكة؟
معاً: معرفة المزيد لا تطلبْ!

مكبث : بل أصرّ! إن تحرمنني هذا
ألا حلّت بكن لعنة أبدية! أعلمنـني –
لماذا تغور تلك القدر؟ ما هذه الموسيقى؟

(مزامير)

ساحرة1 : عرض!
ساحرة 2 : عرض!
ساحرة 3 : عرض!
معاً : إعرضوا لعينيه ، وقلبَهُ افجعوا ،
كالظلال تعالوا ، وكالظلال ارجعوا .

(عرض يتقدم فيه ثمانية ملوك ، آخرهم يحمل مرآة بيده ، يتبعهم بانكوو .)

مكبث : ما أشبهك ببانكوو! فلتسقط!
تاجك يسفع مقلتي : وشعرك
أيها الجبين الآخر المطوق بالذهب ، كالأول . –
والثالث كسابقه . – يا أقذر الشمطاوات!
فيم تُرينني هذا؟ ورابع؟ – يا عينيّ ، إنتفضا!
ماذا! أسيمتد الخط حتى يوم القيامة؟
وآخرُ بَعْدُ؟ -- أسابع؟ لن أرى المزيد .
وهذا ثامن يظهر، يحمل مرآة
تريني العديد المزيد . . وبعضاً أرى
يحمل كرتين اثنتين وصوالج ثلاثة(10)
يا للمنظر الرهيب! – أرى الآن الصدق في هذا كله :

لأن بانكوو، بشعره المشعّث المدمّى، يبتسم لي،
ويشير إليهم بأنهم ذريته. . ها! أهكذا الأمر؟
ساحرة 1: أجل مولاي، هكذا الأمر كله. ولكن لماذا
يقف مكبث مبهوتاً هكذا؟
هيا بنا نشرح صدره
ونعرض له أجمل إمتاعنا.
سأسحر الهواء فيعزف،
ونرقصُ أغرب رقصاتنا،
عسى الملك العظيم هذا يقول لطفاً
إن واجباتنا كفءٌ لترحابه.

(موسيقى. ترقص الساحرات، ثم يختفين)

مكبث: أين هن؟ تلاشين؟ فلتبق هذه الساعة الذميمة
ملعونة أبداً في تقويم الزمن!
أدخل، أنت الذي في الخارج هناك!

(يدخل لينوكس)

لينوكس: ما مشيئة جلالتكم؟
مكبث: هل رأيت أخوات القدر؟
لينوكس: لا يا مولاي.
مكبث: ألم يمررن بك؟
لينوكس: قطعاً لا، يا مولاي.
مكبث: موبوء هو الهواء الذي يمتطينه،

وملعون كل من فيهن يثق! – سمعت
خبب حصان. من الذي جاء هنا؟
لينوكس: اثنان أو ثلاثة، يا مولاي، يحملون لك رسالة
بأن مكدف قد هرب إلى إنكلترة.
مكبث: هرب إلى إنكلترة؟
لينوكس: نعم، مولاي، الكريم.
مكبث: (جانبياً) أيها الزمن، إنك تستبق أفعالي الرهيبة.
الغاية الحثيثة لا يلحق أحد بها
إذا ما الفعل رافقها. منذ اللحظة هذه،
سيكون أولُ خاطر في قلبي
أولَ ما في يدي. وفي هذه الساعة بالذات
لكيما أتوّج كل فكر لي بفعل، لن أفكر إلاّ لأنفِّذ.
قلعة مكدف سأفاجئها،
وأصادر فايف، وأعطي حد السيف
زوجته، وأطفاله، وكل روح شقية
هي من صلبه. لن أتفاخر كالأحمق...
هذا الفعل سأفعله، قبل أن يبرد العزم.
كفى مشاهد! – أين هم هؤلاء السادة؟
هيا، خذني إليهم.

(يخرجان)

المشهد الثاني
فايف . . . غرفة في قلعة مكدف

(تدخل ليدي مكدف، وابنها، وروص)

ليدي مكدف: ما الذي فعل مما يستوجب هربه من البلد؟
روص: عليك بالصبر، سيدتي.
ليدي مكدف: هو لم يصبر قط:
كان هربه جنوناً. عندما لا تجعل منا أفعالنا
خونة، فإن مخاوفنا تجعلنا كذلك.
روص: أنت لا تدرين
أخوفه أم حكمته هي الدافع.
ليدي مكدف: حكمته! أن يترك زوجته، أن يترك أطفاله،
وقصره، وكل ما يملك، في مكان
يهرب هو منه؟ إنه لا يحبنا.
فهو تعوزه اللمسة الطبيعية. فالبغاث المسكين،[11]
أصغر العصافير كلها، حين تكون
فراخه في العش، يقارع البوم.
الكل هو الخوف، واللاشيء هو الحب[12].

وما أقلّ الحكمةَ حين يكون الهرب
خارجاً على كل عقل.
روص: ياابنة عمي العزيزة،
أرجوك، اضبطي نفسك. أما زوجك،
فإنه نبيل، وحكيم، ومدرك، ويعرف جيداً
نوبات المواسم. لا أجرأ على قول المزيد:
غير أن الزمان قاس عندما نكون خونة
ونحن لا نعلم، عندما نمسك بالإشاعة
مما نخاف، ونحن لا نعلم ما نخاف،
بل على بحر هائج عنيف نطفو
في كل اتجاه، ونتحرك - إسمحي لي بالذهاب:
لن أطيل غيابي، بل سأعود ثانية.
الأمور، في أسوأ الأحوال، ستكف، أو تصعد
إلى ما كانت عليه من قبل. -ابنة عمي الجميلة،
بركاتُ الله عليك!
ليدي مكدف: (مشيرة إلى ابنها) حله أب، ولكنه بغير أب.
روص: شديد الحماقة أنا، و إذا أطلت المكوث
فإنني سأشين نفسي، وأحرجك. (13)
أستأذنك في الحال...

(يخرج)

ليدي مكدف: ولدي، أبوك مات:

فما الذي ستفعل الآن؟ كيف تعيش؟

الابن: كما تعيش العصافير.

ليدي مكدف: ماذا، أعلى الديدان والذباب؟

الابن: أعني بما أحصل عليه، مثلها.

ليدي مكدف: أيها العصفور المسكين! لن تخشى الشبكة، أوالدبق،

لا الفخ، ولا المصيدة.

الابن: ولِمَ أخشاها يا أماه؟

إنها لا توضع للعصافير المسكينة.

وأبي لم يمت، رغم كل ما تقولين.

ليدي مكدف: بلى، لقد مات. ما الذي ستفعل بلا أب؟

الابن: بل ما الذي ستفعلين أنت بلا زوج؟

ليدي مكدف: بوسعي أن أشتري عشرين زوجاً في أي سوق.

الابن: إذن تشتريهم لتبيعهم من جديد.

ليدي مكدف: تتكلم بكل ذكائك.

وهو حقاً ذكاء كاف لمن في سنك.

الابن: هل كان أبي خائناً، يا أماه.

ليدي مكدف: أجل.

الابن: من هو الخائن؟

ليدي مكدف: هو الذي يقسم ويكذب.

الابن: وهل كل من يفعل ذلك خائن؟

ليدي مكدف: كل من يفعل ذلك خائن ويجب أن يشنق.

الابن: وهل يجب أن يشنق كل الذين يقسمون ويكذبون؟
ليدي مكدف: كل واحد منهم.
الابن: ومن يجب أن يشنقهم؟
ليدي مكدف: الرجال الشرفاء.
الابن: إذن فالكذابون والمقسمون حمقى. لأن هناك من الكذابين والمقسمين ما يكفي للتغلب على الشرفاء، وشنقهم.
ليدي مكدف: آه، كان الله في عونك، يا قردي المسكين! ما الذي ستفعل بلا أب؟
الابن: لو كان قد مات، لبكيت أنت عليه. وإذا لم تبكي عليه، فإن ذلك دليل طيب على أنني قريباً سأحظى بأب جديد.
ليدي مكدف: ثرثاري المسكين، ما أعذب كلامك!

(يدخل رسول)

رسول: السلام عليك، أيتها السيدة الحسناء! أنا غير معروف لديك، ولو أن منزلتك النبيلة معروفة تماماً لدي.
أخشى أن خطراً ما يدنو حثيثاً منك.
فإن تأخذي بنصيحة رجل متواضع،
لا تتواجدي هنا. إرحلي، مع صغارك.
أحسب أنني مغال في الوحشية، إذ أرعبك هكذا.
أما أن أفعل ما هو أسوأ فهو القسوة الشنيعة،
وهي التي تكاد تلم بك. حفظتك السماء!
لا أجرأ على البقاء أكثر.

(يخرج)

ليدي مكدف: أين أهرب؟

لم أسيء إلى أحد، ولكنني أذكر الآن

أنني في هذا العالم الأرضي حيث الإساءة

كثيراً ما تُمتدح، وفعل الخير يعتبر أحياناً

حماقة خطرة. فيم إذن، وا أسفاه!

أدفع عني دفاع المرأة

إذ أقول لم أسيء إلى أحد؟

ما هذه الوجوه

(يدخل قتلة).

قاتل: أين زوجك؟

ليدي مكدف: أرجو، ألا يكون في مكان خلا من القدسية

فيستطيع رجل مثلك أن يلقاه

قاتل: إنه خائن.

الابن: تكذب، يا نذلاً غليظ الشعر!

قاتل: هاك، يا بيضة!

(يطعنه)

يا فرخ الخيانة!

الابن: قتلني، أماه!

أرجوك، اهربي!

(يموت) (تخرج ليدي مكدف وهي تصيح «قتلة!» والقتلة يلحقون بها.)

المشهد الثالث[14]

انكلترة . . . غرفة في قصر الملك

(يدخل مالكولم ومكدف .)

مالكولم : لنبحث عن ظل بائس مهجور، وهناك
فلنُفرغْ بكاءً ما في الصدر الحزين منا .
مكدف : بل أحرى بنا
أن نقبض السيف القاتل بشدة ، وككرام الرجال
نصمد في الدفاع عن مسقط رأسنا الجريح . في كل صباح جديد
تنوح أرامل جديدات ، ويزعق أيتام جدد ، وويلات جديدة
تصفع وجه السماء ، فترجع السماءُ
كأنها تشعر مع اسكوتلندة ، صارخةً
ألفاظ حزنٍ مماثلة .
مالكولم : ما أصدّقُ ، سأندبه .
وما أعرف ، سأصدّقه . وما أستطيع تقويمه
حين أجد الزمن المؤاتي ، سأقومه .
ما حدثتني به ، قد يكون كما قلت ، ربما .

هذا الطاغية الذي مجرد اسمه يَبْثُرُ اللسان منا،
كان يُحسب يوماً شريفاً: لقد أحببته أنت جداً،
وهو لم يَمَسَّكَ بعد. أنا في مقتبل العمر، ولعل ثمة شيئاً
قد تستحقه منه عن طريقي، والحكمة هي
أن تضحي بحمل بريء، ضعيف، مسكين،
لترضية إله غضوب.
مكدف: أنا لست بخائن.
مالكولم: ولكن مكبث خائن.
والشيمة الكريمة الفاضلة قد تنثني
بأمر ملكي. غير أنني أستميحك المغفرة:
ما أنت عليه لن تستطيع أفكاري أن تحوله.
الملائكة ما زالت تشعّ، ولو أن أشدها إشعاعاً قد سقط[15]
فلئن تلبس الدَّمائمُ سيماء الجمال
فلا بد للجميل أن يبدو جميلاً[16]
مكدف: لقد ضيعت آمالي.
مالكولم: ربما حيث وجدت أنا شكوكي:
لماذا غادرت بغير حماية زوجتك وولدك
(وفيهما أعز الدوافع وأقوى روابط الحب)
دونما وداع؟ - أرجوك،
لا تجعل من شُبهاتي لوثةً لشرفك،
بل مأمناً لي أنا: قد تكون صادقاً حقاً

مهما ظننت .
مكدف : انزف ، انزف ، أيها الوطن المسكين!
أيها الطغيان الكبير، وطد أُسُسَك ،
لأن الفضيلة لا تجرأ على كبحك ! تمتع بمغانم ظلمك ،
فحقك قد ثبت ! وداعاً ، يا مولاي .
لن أكون الوغد الذي تظن
حتى لو أُعطيتُ كلَّ ما في قبضة الطاغية من مكان ،
والشرقَ الغنيَّ إضافة إليه .
مالكولم : لا تنجرح كرامتك .
إني لا أتحدث عن خوف مطلق منك .
أعتقد أن بلدنا ينوء تحت النير،
انه يبكي ، انه ينزف . وفي كل يوم جديد
يضاف جرح عميق إلى جروحه . وأعتقد كذلك
أن ثمة ايدياً سترتفع دفاعاً عن حقي .
وهنا يعرض علي ملك إنكلترة الكريم
بضعة آلاف من الرجال . ولكن ، رغم هذا كله ،
عندما أطأ رأس الطاغية بقدمي ،
أو أرفعه بسيفي ، فإن بلدي المسكين
سيبتلى برذائل أكثر مما سبق ،
وتزداد معاناته ، وبطرق شتى أكثر من أي وقت مضى ،
على يد الذي سيخلفه .

مكدف: ومن سيكون؟
مالكولم: إياي أعني، وفي نفسي أعرف أن
جزئيات الرذيلة كلها قد طُعِّمت،
فإذا ما تفتحت، فإن مكبث على سواده
سيبدو نقياً كالثلج، وسترى فيه
الدولة البائسة حَمَلا، حين يقاس
بسوءاتي التي لا حدود لها.(17)
مكدف: في جحافل جهنم الرهيبة نفسها
لن يـجيء شيطان أشد لعنة
بشروره ليبز مكبث.
مالكولم: اسلم جدلاً بأنه دموي،
شهواني، جشع، غدار، مخادع،
عجول، حقود، فيه خلة من كل خطيئة
يمكن أن تسمى. أما أنا فلا قرار، لا قرار،
لفجوري: لا زوجاتكم ولا بناتكم،
لاعذاراكم، ولا ثيباتكم، بقادرات أن يملأن
بئر شبقي. ورغبتي
لسوف تتخطى كل عائق عفيف
يحول دون شهوتي. فالأفضل أن يحكم مكبث
من أن يحكم رجل مثلي.
مكدف: الإفراط الذي لا يَـحُد،

طغيان في طبيعة المرء، وهو كثيراً ما سبَّبَ
فراغَ العرش السعيد قبل أوانه،
وسقوط العديد من الملوك. ومع ذلك، لا تخشَ
أن تأخذ لنفسك ما هو حقك:
لك أن تتمتع في الخفاء بملذاتك بوفر عريض،
وتبدو مع ذلك بارداً - وتخادع الزمن.
ولدينا ما يكفي من نساء راضيات... يستحيل
أن يكون فيك ذلك العقاب الذي يلتهم العديد
ممن سيكرسون أنفسهم للمجد حين يجدونك ميالاً لالتهامهم.
مالكولم: وإلى هذا، ثمة يتنامى
في مزاجي السيء التركيب جداً
جشعٌ لا يشبع، بحيث أنني، لو كنت ملكاً،
لقضيت على النبلاء طمعاً في أراضيهم،
ولطمعتُ في مجوهرات هذا، ودار ذاك،
فيغدو حصولي على المزيد مشهياً
لاستزادة نهمي، فأختلق
الخصام دونما حق مع ذوي الطيبة والولاء،
مدمراً إياهم من أجل أموالهم.
مكدف: هذا الجشع
أعمق بعداً، وينمو بجُذرٍ أشدَّ دماراً،
من شبق كصيف عابر(18). ولقد كان دوماً

هو السيف الذي قتل ملوكنا. ومع ذلك، لا تخف.
في اسكوتلنده من الوفرة ما يفي بشهوتك
حتى من محض أملاكك أنت. وهذه كلها محمولة
ان هي وازنتها حَسَنات أُخرى
مالكولم: ولكن لا حسنات لي: فالحسنات القمينة بالمِلِك،
كالعدالة، والصدق، والاعتدال، والإتزان،
والكرم، والمثابرة، والرحمة، والتواضع،
والحنو، والصبر، والشجاعة، والجلد
لا مذاق فيّ لها. غير أنني أعج
بتقاسيم كل جريمة،
أؤدي كلا منها بطرق عديدة... بل انني، لو كان لي،
السلطان،
لصببت حليب الوفاق العذب في الجحيم،
وقذفت سلام الكون إلى الشَغَب، وفصمت
كل وحدة على الأرض.
مكدف: وابلداه! واسكتلنده!
مالكولم: أيصلح رجل كهذا للحكم؟ تكلم.
أنا كما وصفت.
مكدف: أيصلح للحكم؟
لا، ليس يصلح حتى للحياة. – يا أمة شقية!
متى، وقد استبد بك طاغية لا حق له، صولجانه الدم،

متى سترين أيام صفائك مرة أخرى،
ما دام خليفةُ عرشك الأحقُّ
يقف متهماً نفسه طالباً الحجْر عليها،
ويُشَنِّعُ مَحْتدَه؟ كان أبوك
ملكاً قديساً: والملكة التي حملتك
كانت تموت كل يوم تعيشه
على ركبتيها أكثر منها على قدميها.
الوداع!
هذه الشرور التي تعددها بحق نفسك
هي التي نفتني من اسكوتلنده، آه يا صدري،
هنا ينتهي أملك!
مالكولم: مكدف، لوعتك النبيلة هذه،
وليدة الأمانة، محت من نفسي
كل ريبة سوداء، وصالحت بين أفكاري
وبين صدقك وشرفك. فالشيطاني مكبث
حاول بالعديد من هذه المكائد أن يكسبني
ليوقعني في قبضته، والحكمة الرصينة تصدني
عن العجلة المغالية في التصديق. ولكن ألا حكم الله
في عليائه بيني وبينك! فإني في هذه اللحظة بالذات
أجعل نفسي رهن توجيهك،
وأنقض ذَمي لنفسي، إني هنا أنكر

اللوثات والسيئات التي نسبتها إلى نفسي،
فهي غريبة عن طبعي، فأنا حتى الآن
لم تعرفني إمرأة، لم أحنث بيمين قط،
أكاد لا أطمع حتى في ما هو ملكُ يدي،
ولم أنقض يوماً عهدي لأحد: إني لن أخون
الشيطان لزميله، وسروري بالصدق
لا يقل عن سروري بالحياة. وأول ما نطقت زوراً
كان هذا الذي اتهمت به نفسي... أما الذي هو فعلاً أنا
فهو لك ولبلدي المسكين أن يأمره:
وإلى هناك، في الواقع، قبل قدومك هنا،
يستعد للتوجه شيخنا سيوارد،
على رأس عشرة آلاف محارب كامل الأهبة
والآن، سنذهب معاً، ألا جعل الله فرصة النجاح
بحجم صراعنا المشروع. لماذا أنت صامت؟
مكدف: ما أصعب التوفيق
بين أمور كهذه أفرحتني وغاظتني معاً!

(يدخل طبيب)

مالكولم: حسناً. المزيد قريباً.
(للطبيب) هل الملك قادم، أرجوك؟[19]
طبيب: أجل، سيدي. هناك جماعة من التعساء
ينتظرون منه الشفاء. داؤهم قد أعيا

أعظم محاولات الطب، غير أنهم، حين يلمسهم
وقد حبا الله يده بالقدسية
يبرأون في الحال.
مالكولم: شكراً، أيها الطبيب.

(يخرج الطبيب)

مكدف: ما المرض الذي يعنيه؟
مالكولم: انه يسمى «بالسقام»:
عملٌ معجز حقاً لهذا الملك الصالح
شاهدته منذ مكوثي هنا في انكلترة
يقوم به. كيف يضرع إلى السماء،
ذلك أمر هو أعلم به. غير أن أناساً غريبي العلل،
كلهم أورام وقروح ترثي لها العين،
وتيأس منها الجراحة، يُبْرِئُهم،
بأن يقلّدهم ديناراً ذهباً حول العنق
يشفعه بالصلوات والأدعية. ويقال
انه سيورث الملوك الذين يخلفونه
بركة الشفاء هذه. وإلى هذه القدرة الغريبة
فإنه يملك موهبة سماوية للنبوة،
وثمة بركات شتى تحيط بعرشه
وتفصح عن إمتلائه بنعمة الله.

(يدخل روص)

مكدف: أنظر من القادم هنا
مالكولم: انه مواطني. ولكنني لا أعرفه
مكدف: ابن عمي الكريم، مرحباً بك هنا.
مالكولم: الآن عرفته! ألا عَجّل الله بإزالة
الموانع التي تجعل منا غرباء!
روص: مولاي، آمين
مكدف: هل اسكوتلندة على ما كانت عليه؟
روص: أسفي على البلد المسكين!
يكاد يفزع من معرفة نفسه. ليس لنا
أن ندعوه أرضنا الأم، بل قبرنا، حيث لا شيء
أبداً يبتسم، إلا الذي لا يعرف شيئاً.
حيث الحسرات، والحشرجات، والزعقات التي تمزق الهواء،
تنطلق، لا تلاحظ. حيث عنيف الحزن يبدو
وكأنه بلاء مبتذل: فناقوس الموتى
يكاد لا يسأل أحد لمن يُقرع، وحياة الطيبين
تقضي قبل الأزاهير التي في قبعاتهم، [20]
إذ هم يموتون قبل أن يأخذهم المرض.
مكدف: يا للوصف،
أدَقّ، وأصدق، من أن يُحتمل!
مالكولم: وما أحدثُ الفواجع؟
روص: إذا رويتَ الفاجعة بعد ساعة، استسخفوك،

فكل دقيقة حبلى بجديدة

مكدف: كيف حال زوجتي؟

روص: والله، لا بأس

مكدف: وأولادي جميعاً؟

روص: لا بأس، أيضاً

مكدف: لم يقتحم الطاغية عليهم سلامهم؟

روص: لا، فقد كانوا في سلام عندما غادرتهم.

مكدف: لا تتباخل في كلامك. كيف الأمور؟

روص: عندما جئت هنا لأنقل النبأ الذي
حملته عبئاً ثقيلاً، جرت شائعة
تقول إن العديد من كرام الناس قد أعلنوا العصيان.
وقد كان الشاهد عليها، لكي أصدقها،
أني رأيت جيش الطاغية يتحرك.
ساعة العون هي الآن. (لمالكولم) عينك في اسكوتلندة
لسوف تخلق الجند، وتجعل نساءنا يحاربن
لكي يخلعن عنهن آلامهن المرعبة

مالكولم: فليكن عزاؤهم
أننا قادمون هناك. ملك انكلترة الكريم
أعارنا سيوارد الباسل، وعشرة آلاف رجل.
ولن يعلن العالم المسيحي
عن جندي أفضل أو أكثر مراساً

روص: ليتني أستطيع الإجابة على
هذا العزاء بعزاء مماثل! ولكنّ بي كلماتٍ
تودلو تنطلق عويلاً في الفضاء القفر
حيث لن يمسك بها سمع إنسان
مكدف: ما مفادها؟
القضية العامة؟ أم حزن خاص
موئله صدر واحد؟
روص: ما من نفس شريفة
إلا ولها فيه حصة من أسى، ولو أن معظمه
يخصك أنت.
مكدف: إن يَخُصَّني أنا،
فلا تَحْجُبه عني. أفض به إليّ بسرعة.
روص: لا تدع أذنيك تحتقران لساني إلى الأبد
لأنه سيسمعهما أفجع صوت
سمعتاه أبداً.
مكدف: هه! حزرته!
روص: قلعتك فوجئت، وزوجتك وأطفالك
بوحشية ذُبحوا: أما أن أروي كيف،
فإنه يعني أن أضيف إلى مصرع هؤلاء الظباء
مصرعك أنت.
مالكولم: يا رحمة السماء!

ماذا يا رجل! لا تنزل قبعتك على جبهتك:
هب الحزن كلمات. فالفجيعة التي لا تنطق
إنما تهامس القلب الفائض، وتأمره بأن يتحطم.
مكدف: وأولادي أيضاً؟
روص: زوجتك، وأولادك، وخدمك، وكل من
عثروا عليهم
مكدف: وأنا غائب!
زوجتي قُتلت أيضاً؟
روص: كما قلت.
مالكولم: لك العزاء...
لنجعل من إنتقامنا العظيم دواءً
يشفي هذا الحزن القاتل.
مكدف: لا أولاد له. أطفالي الجميلون كلهم؟
هل قلت كلهم؟ يا حدأة الجحيم! كلهم؟
ماذا، أفراخي الجميلون كلهم، وأمهم،
بانقضاضة عاتية واحدة؟
مالكولم: قارعها كرجل.
مكدف: سأفعل.
ولكنني أشعر أيضاً كرجل.
وهل لي إلا أن أتذكر ما كان لي
ما كان أثمن ما في الحياة لي. هل أبصرت السماء ذلك،

ورفضت أن تدفع عنهم؟ أيها الخاطيء مكدف!
مصرعهم جميعاً من أجلك. أنا اللاشيء
لا لآثامهم، بل لآثامي أنا،
وقعت المجزرة على أرواحهم: أراحتهم السماء الآن!
مالكولم: ليكن هذا حَجَر المِسَن لسيفك. دع الحزن
ينقلب إلى غضب. لا تثلُم القلبَ، بل هِجْ غضبه.
مكدف: آه، لكان بوسعي أن ألعب دور المرأة بعيني
ودور المتبجح بلساني. ولكن، أيتها السماء الخيرة(21)
اختصري كل تأخير! جيئيني
بهذا الابليس السكوتلندي وجهاً لوجه معي،
ضعيه في مدى السيف مني، فإذا نجا
سامحته السماء هو أيضاً!
مالكولم: هذه نقمة الرجال.
هيا بنا إلى الملك، جيشنا جاهز.
ما بنا حاجة إلا للإستئذان.
مكبث: حان قطافه، والقوى العُلْوية
ترتدي سلاحها.
تقبّل من البشْر ما تستطيع
طويلٌ هو الليل الذي لن يطلع النهار عليه.

(يخرجون)

هوامش :

(1) ثمة إشارات إلى نعيب البوم قبل مصرع كل من دنكن ، وبانكو، وليدي مكدف .

(2) هذا المقطع أيضاً في الأرجح مقحم على النص الشكسبيري ، ليس للساحرات الثلاث «الأخريات» من ضرورة هنا ، اللهم إلا لزيادة عدد المعميات في نهايته . من عادة المخرجين أن يهملوا هؤلاء الساحرات الإضافيات . . ويستأنف النص الشكسبيري في قول الساحرة 2 التالي

(3) أي السحر الأسود ، أو السحر الحرام .

(4) كان ثمة من يعتقد أن الزوابع والثلوج والبروق والرعود تنطلق من السماء لا بأمر من الله ، بل بحيل من السحرة!

(5) وبذا تنتهي البذور إلى العقم أو إلى إنتاج كل ما هو وحشي ودغل . يروق لمكبث أن يرى خراب العالم إلى الأبد إذا لم يتحقق له ما يريد!

(6) يقول ولسون نايت عن الأطياف الثلاثة التي تظهر هنا بالتوالي ، أن الترتيب الذي تظهر فيه مهم لأن الرموز تتكامل بمعانيها : «الدمار العنيف» وهو نفسه يدمر، آلام الميلاد الدامي الذي يجهد لإيجاد قوة تصحح وضعاً مبتلى بالشر، الولادة القادمة الرائعة متوجة بالملكية . » الرأس يرمز إلى رأس مكبث مقطوعا ، والطفل الدامي يرمز إلى مكدف وقد انتزع قبل أوانه من رحم أمه ، والطفل الأخير يرمز إلى مالكولم الذي أمر جنوده بقطع الأغصان وحملها أمامهم في زحفهم على قلعة مكبث .

(7) الرأس المسلح هو رأس مكبث . لاحظ المفارقة في قول مكبث .

(8) لأنه في عذاب .

(9) مكبث لا يعلم أن مكدف ليس في عداد من هم وليدون لامرأة ، فيطمئن إلى أن مكدف لن يؤذيه . ولكنه سيجعل الحرز حرزين ، بأن يقتل مكدف ، فيجعل القدّر بذلك يتعهد بأن أحداً لن يؤذيه ، فيكون إطمئنانه مزدوجاً .

(10) تشير الكرتان إلى التتويج المزدوج الذي حظي به الملك جيمز الأول ، عند توحيد اسكوتلندة وانكلترة ، في «سكون» (باسكوتلندة) ووستمنستر (بلندن) ، عام 1603 . أما الصوالج الثلاثة فتشير إلى الصولجانين المستعملين في التتويج الإنكليزي ، والصولجان المستعمل في التتويج الاسكوتلندي .

(11) في الأصل: «الصعو» ، وهو طائر صغير جداً .

(12) قارن ما جاء في «رسالة القديس يوحنا الأولى» 4، 18 : « لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تنفي الخوف إلى خارج، لأن الخوف له عذاب، والخائف غير كامل في المحبة .» .

(13) أي بالبكاء .

(14) يقول نايتس : «ارتياب مالكولم، واستمراره طويلاً في امتحان مكدف، يؤكدان تزعزع الثقة الذي انتشر عن الشر المركزي في المسرحية. ولكن الغرض الرئيسي من هذا المشهد قد لا يبين واضحاً إذا لم ندرك أنه يؤدي وظيفة الكورس، إذ في الحوار بين الشخصين يتم النص الصريح على تفاقم الشر الذي سببه مكبث . . »

(15) ابليس رئيس الملائكة سقط، حين تمرد على الله .

(16) يريد أن يقول «مظهرك» الفاضل ليس دليلاً على أنك خائن . لأن الفضيلة لا بد لها أن تبدو في مظهرها الفاضل، رغم أن الشر الدميم قد يزيّف مظهره بسيماء الجمال . فالشيطان الذي كان يشع قد سقط، ولكن الملائكة ما زالت على إشعاعها . »

(17) هنا يسترسل مالكولم فينسب إلى نفسه كل الشرور التي هي، بالطبع، شرور الطاغية، والتي يجعلها شكسبير نقيض الصفات التي يجب أن يتحلى بها الحاكم العادل .

(18) مع «الشتاء» من عمر المرء، يتلاشى الشبق، أما الجشع فيبقى .

(19) يرى البعض أن هذا المقطع (من دخول الطبيب حتى دخول روص) أقحمه شكسبير، على الأرجح، إرضاءً للملك جيمز الأول، ولو أن قدسية الملك هنا، درامياً، تقابل شرانية مكبث. وتهيىء الهدوء الذي سيتبعه الخبر الفاجع الذي يأتي به روص . يذكر المؤرخ هولنشيد أنه كان من المعتقد أن الملك «إدوارد المعترف» فيه شيء من روح النبوة، وقدرة على شفاء المصابين بمرض يسمى «سقام الملك»، وأن بعض هذه القدرة أورثها خلفاءه من ملوك انكلترة .

(20) جزء من الزي الاسكوتلندي التقليدي، قبعة فيها زهرة جبلية .

(21) كان في عهد شكسبير قانون يمنع الممثلين من إساءة إستعمال اسم الجلالة، أو اسم المسيح، أو الروح القدس، كما يمنعهم من ذكر هذه الأسماء بصحبة ما يوحي بالتفكه أو الإثم، الكلمة الشكسبيرية هنا، على الأرجح، هي «الله» في الأصل، غير أن الممثلين يستبدلونها بكلمة السماء، خوفاً من عقاب القانون، كانت الغرامة عشرة جنيهات عن كل مرة يقع فيها ذكر الله في مثل الحالات المنصوص عليها .

الفصل الخامس

المشهد الأول

دنسينان . . . غرفة في القلعة

(يدخل طبيب علاج وسيدة وصيفة)

طبيب: لقد سهرت ليلتين معك، ولا أستطيع أن أتبين أي صدق فيما أخبرتني. متى كانت آخر مرة مشت فيها؟

سيدة: منذ أن ذهب جلالته إلى الميدان، رأيتها تنهض من فراشها، تلقي بمنامتها على جسمها[1]، تفتح خزانتها، تخرج ورقة، تطويها[2]، تكتب عليها، تقرأها، وبعد ذلك تختمها، ثم تعود ثانية إلى الفراش: هذا كله وهي في نوم عميق جداً.

طبيب: انه لخلل كبير في البدن، أن يتلقى فائدة النوم، وفي الوقت نفسه يؤدي أفعال اليقظة! في هذا الإضطراب السباتي، فيما عدا مشيها والحركات الفعلية الأخرى، ما الذي في أي وقت سمعتها تقول؟

سيدة: أمور يا سيدي لن أخبر عنها.

طبيب: لك أن تخبريني أنا، بل من الضروري جداً أن تفعلي.

سيدة: لا أنت، ولا غيرك، دون أن يكون لدي شاهدٌ يثبت ما أقول.

(تدخل ليدي مكبث، بيدها شمعة)

أنظر! ها هي مقبلة. هذا هو غرارها بالضبط. وهي وحق
حياتي نائمة نوماً عميقاً راقبها. أخف نفسك.

طبيب: من أين لها ذلك النور؟

سيدة: إنه موجود بقربها. فهي تجعل نوراً بجانبها باستمرار، انه أمر منها.

طبيب: أترين، عيناها مفتوحتان.

سيدة: نعم، ولكن حسهما مغلق.

طبيب: ما الذي تفعله الآن؟ أنظري كيف تفرك يديها.

سيدة: من عادتها أن تفعل هذا، وتبدو أنها تغسل يديها. وجدتها أحياناً تفعل هذا لربع ساعة.

ليدي مكبث: ما زالت هنا بقعة.

طبيب: اسمعي! إنها تتكلم. سأدون ما يبدر عنها، لأدعم ذاكرتي دعماً أقوى

ليدي مكبث: زولي، أيتها البقعة اللعينة! أقول، زولي! واحدة، أثنتان[3]:
هه، إذن حان الوقت لفعلها، جهنم مظلمة، عيب، مولاي،
عيب! أجندي ومذعور؟ لِمَ نخشى من يعرفها، حين لن
يكون ثمة من يستدعي سلطتنا للحساب؟ ولكن من كان
يظن أن هذا الشيخ فيه هذا الدم الكثير؟

طبيب: هل انتبهت لذلك؟

ليدي مكبث: أمير فايف كانت له زوجة: أين هي الآن؟ ماذا، ألن تنظف

أبداً هاتان اليدان؟ كفى، يا مولاي، كفى: إنك تفسد كل شيء بانتفاضك هذا.

طبيب: واه! علمت ما يجب ألا تعلميه[4]!

سيدة: لقد نطقت ما يجب ألا تنطق، أنا واثقة. والله اعلم بما هي تعلم.

ليدي مكبث: هنا ما زالت رائحة الدم: عطور بلاد العرب كلها(5) لن تطيّب هذه اليد الصغيرة. آه! آه! آه!

طبيب: يا لها من تنهدة! القلب مشحون ومثقل.

سيدة: لا أريد قلباً كهذا في صدري، ولو أُعطيت رفعة الجسم كله.

طبيب: طيب، طيب، طيب

سيدة: نرجو الله أن الأمر كذلك، سيدي.

طبيب: هذا المرض لا يدركه فني: ومع ذلك فقد عرفت أناساً يمشون في نومهم، ماتوا طاهرين في فراشهم.

ليدي مكبث: اغسل يديك، البس منامتك، لا تبدُ شاحباً هكذا. أقولها لك ثانية، بانكوو قد دُفن: لن يستطيع الخروج من قبره.

طبيب: أحتى هكذا؟

ليدي مكبث: إلى الفراش، إلى الفراش: هناك قرع على الباب، تعال، تعال، تعال، تعال، أعطني يدك. ما صنع لا يمكن أن ينقَض صُنعُه. إلى الفراش، إلى الفراش، إلى الفراش.

(تخرج)

طبيب: هل ستذهب الآن إلى فراشها؟

سيدة: مباشرة.

طبيب: يدور بين الناس تهامس ذميم. الأفعال الشاذة
إنما تولد الشواذ من الهموم: والأذهان إذا وُبئت
أطلقت لوسائدها الصماء أسرارها.
إن بها حاجة إلى الكاهن أكثر منها إلى الطبيب.
ألا غفر الله لنا جميعاً! أعتني بها.
أبعدي عنها كل وسائل الأذى،
وأبقيها دوماً تحت ناظريك. تصبحين على خير.
ذهني شوشته، وأدهشت بصري
أفكّر، ولكن لا أجرأ على الكلام

سيدة: تصبح على خير، أيها الطبيب الكريم.

المشهد الثاني

الريف قرب دنسينان

(يدخل، مع الطبول والبيارق، منتيث، كاثنيس، آنغس، لينوكس، وجنود)

منتيث: الجيش الانكليزي قريب، يقوده قُدُماً مالكولم،
وخاله سيوارد، ومكدف الشهم.
الإنتقام يشتعل فيهم، لأن قضاياهم العزيزة
تثير حتى أشباه الموتى
إلى حومة الدم والنفير المحموم.

آنغس: سيكون أفضل لقائنا بهم قرب غابة بيرنام:
إنهم في ذلك الطريق قادمون

كاثنيس: من يعلم أيرافق دونالبين أخاه؟

لينوكس: لا شك ياسيدي أنه لا يرافقه. عندي قائمة
بأسماء السادة كلهم: هناك ابن سيوارد،
وفتية عديدون لم يخشنوا بعد، يعلنون الآن
أول رجولتهم.

منتيث: وما الذي يفعله الطاغية؟

كاثنيس: لقد عزز تحصين دنسينان العظيمة.

البعض يقول أنه قد جُنّ، والبعض ممن هم أقل كراهية له،
يسمي ذلك هوجاً شجاعاً. ولكن المؤكد
هو أنه عاجز عن حصر أمره المتفاقم
ضمن نطاق السيطرة
أنغس: انه يشعر الآن
أن جرائمه الخفية لاصقة بيديه.
في كل دقيقة ثورة تَعيبُ عليه نكثَه العهد.
والذين يأمرهم لا يتحركون سوى بالأمر
لا عن حب. إنه يشعر الآن أن لقبه
فضفاض عليه، كرداء عملاق
على لص قزم
منتيث: ومن إذن يلوم
أحاسيسه المعتقلة إن هي ثارت وانتفضت
لأنها في دخيلته، وكل ما في دخيلته
يشجب نفسه؟
كاثنيس: حسناً. فلنبدأ الزحف،
لنعطي الولاء حيث يستحق الولاء.
لنلتق بطبيب الأمة المريضة،
ونسكب معه تطهيراً وشفاء للوطن
كل قطرة فينا
لينوكس: أو ما يكفي

لسقي زهرة الشفاء الملكية ، وإغراق الدغل .
ولنتّجه بزحفنا صوب بيرنام .

(يخرجون في مسيرة)

المشهد الثالث

دنسينان . . . غرفة في القلعة

(يدخل مكبث ، وطبيب ، ومرافقون)

مكبث: لا تأتني بأي تقرير بعد . فليهربوا جميعاً[6]

إلى أن تنتقل بيرنام إلى دنسينان ،

لن يخالجني الفزع . ومن هذا الصبي مالكولم؟

ألم يولد من امرأة؟ الأرواح التي تعرف

عقابيل البشر كلها قالت لي جهراً :

«لا تخف يا مكبث . ما من رجل ولدته امرأة

سيتغلب يوماً عليك . » إذن ، فاهربوا يا أمراء خونة ،

وخالطوا الأبيقوريين الإنكليز[7]

فلا العقل الذي يحكمني ، ولا القلب الذي أحمل ،

سيذوي شكا ، أو يرتعد هلعاً

(يدخل خادم)

سَخطَك الشيطانُ عبداً أسود ، يا وغداً حليبيَّ الوجه!

من أين لك سحنة الأوزة هذه؟

خادم: هناك عشرة آلاف

مكبث : أوزة ، يا نذل؟

خادم : جندي ، يا سيدي

مكبث : إذهب ، وخز وجهك ، وموِّه خوفك بالأحمر ،

يا ولدا زنبقي الكبد[8] . أي جنود ، يا مهرج؟

موتاً لروحك ! خَدّاك بلون الخام

يلقنان الفزع . أي جنود ، يا وجهاً من لبن؟

خادم : الجيش الإنكليزي ، لطفاً

مكبث : أغرب بوجهك عني !

(يخرج الخادم)

سيتون ! يبتئس قلبي

عندما أرى سيتون ! هذه الواقعةُ

سوف تبهجني أبداً ، أو تُطيح بِي الآن .

حسبي من العمر ما رأيت : طريق حياتي

يهبط بي إلى الذبول ، إلى إصفرار أوراق الشجر .

وما ينبغي أن يقترن بالشيخوخة

من تكريم ، وحب ، وطاعة ، والأصدقاء زرافات ،

عليّ ألا أتوقعه ، بل أتوقع عوضاً عنه

اللعنات ، لا جهوريةً ، بل عميقة ، والتكريم شفهياً ، والنفس

مما يودّ القلبُ المسكين لو ينكره ، ولا يجرأ

سيتون !

(يدخل سيتون)

سيتون: ماذا ترغبون جلالتكم؟
مكبث: هل من جديد؟
سيتون: كل ما جاء في الأخبار، يا مولاي، قد تأكد
مكبث: سأقاتل، إلى أن يُجرّد لحمي عن عظمي
أعطني درعي
سيتون: لم يحن الوقت له بعد
مكبث: سألبسه
أرسلوا المزيد من الفرسان، أمشطوا القطر كله.
أشنقوا كل من يتحدث عن الخوف. إعطني درعي
كيف حال مريضتك، يا طبيب(9)؟
طبيب: مولاي، إنها ليست مريضة
بقدر ما هي مضطربة بالأخيلة المنهالة عليها،
والتي تحجب عنها الراحة.
مكبث: إشفها من ذلك.
أما بوسعك أن تداوي ذهناً عليلاً،
أن تقتلع من الذاكرة حزناً مجذّراً،
أن تمحو الهموم المدونة في الدماغ،
وبترياق نسيانيّ عذب
تنظفُ الصدر المكتظ من ذلك الحشو الخطر
الذي ينوء بوقره القلب؟
طبيب: في حالة كهذه على المريض

أن يداوي نفسه .

مكبث: ارم الدواء للكلاب . إني أرفضه .

تعال ، ألبسني درعي . أعطني صولجاني

سيتون ، أصدر الأوامر – يا طبيب ، الأمراء يهربون مني .

هيا ، يا رجل ، أسرع . إن يكن في مقدورك يا طبيب ،

أن تفحص أورام بلادي ، وتشخّصَ علّتها ،

وتطهّرها عودة إلى عنفوان الصحة ،

أهْتِفْ لك حتى الصدى الذي

سيهتف من جديد . اسحبها يا رجل

أي راونْدٍ ، أي سَنا(10)، أي عُقّار مُسهل ،

بوسعه إخراج هؤلاء الإنكليز من هنا؟ هل سمعت بهم؟

طبيب: نعم يا مولاي . إستعدادك الملكي

يجعلنا نسمع ببعض الأمور.

مكبث: جيء به خلفي(11)

لن أخاف الموت والتهلكة

حتى تأتي غابة بيرنام إلى دنسينان .

(يخرج)

طبيب : (جانبياً) لو كنت بعيداً وعلى مدى السلامة من دنسينان

لما أجتذبني هنا مغنمٌ مرة أخرى .

(يخرج الطبيب وسيتون)

المشهد الرابع

الريف قرب دنسينان . . . غابة في مدى البصر

(يدخل مع الطبول والبيارق، مالكولم، الشيخ سيوارد وابنه، مكدف، منتيث، كاثنيس، آنغس، لينوكس، روص، وجنود، في مسيرة)

مالكولم: يا أولاد العم، أرجو أن قد دنت الأيام
التي ستكون فيها حُجُراتُنا آمنة سالمة.

منتيث: لا نشكّ في ذلك قطعاً.

سيوارد: أية غابة هذه التي أمامنا؟

منتيث: غابة بيرنام.

مالكولم: ليقطع كل جندي له غصناً،
ويحمله أمامه: بهذا سنغطي
على عدد جيشنا، ونجعل المستطلعين
يخطئون في تقريرهم عنا.

جندي: سننفذ الأمر

سيوارد: لا نعلم إلا أن الطاغية الواثق من نفسه
ما زال مقيماً في دنسينان، وسيسمح لنا

بحصارها.

مالكولم: هذا أمله الأكبر

لأن الكبار والصغار، حيثما وجدوا

فرصة للخروج، تمردوا عليه،

ولا يخدمه إلاّ المغلوبون على أمرهم،

والذين قلوبهم غائبة كذلك.

مكدف: لنترك حكمنا الصحيح

إلى أن تبين النتيجة الفعلية، وَلْنَتَحَلَّ

بالجندية المُجِدَّة.

سيوارد: قريب هو الوقت الذي

سيعلمنا، بعد النهاية الفاصلة،

ما نقول ألنا هذا اليوم أم علينا.

فالتكهنات لا تروى إلا آمالاً غير مؤكدة،

أما النتيجة المؤكدة فلن تحسمها إلا الضربات.

وباتجاهها فلندفع الحرب!

(يخرجون، في مسيرة)

المشهد الخامس
دنسينان . . . داخل القلعة

(يدخل، مع الطبول والبيارق، مكبث، سيتون، وجنود)

مكبث: علقوا راياتنا على الأسوار الخارجية.
ما زالت الصيحة هي: «أنهم قادمون»! قوة قلعتنا
ستضحك هزءاً من الحصار. فليبقوا هنا
إلى أن تلتهمهم المجاعة والحمى
لو لم يمدوا بقوات هي قواتنا
لقابلناهم بالتحدي، لحية للحية،
ورددناهم مهزومين إلى بيوتهم. ما هذا الصوت؟

(صراخ نساء من الداخل)

سيتون: انه صراخ النساء، مولاي الكريم.

(يخرج)

مكبث: لقد كدت أنسى طعم المخاوف.
مَرَّ بي زمنٌ كانت حواسي فيه تجمد
إن أنا سمعت زعقة في الليل، وكانت فروة رأسي
عند سماعي قصةً مرعبة تُثار وتتحرك،

كأن فيها حياة. لقد أُطْعِمتُ ألواناً من الرعب حتى شبعت:
والهول الذي تعوّدته أفكاري القاتلة
لن يستطيع أن يُجفلني بعد، مرة واحدة.
يدخل سيتون ثانية
فيم كانت الصرخة تلك؟
سيتون: الملكة، يا مولاي، قد ماتت.
مكبث: لكان حرياً أن تموت فيها بعد: [12]
ولكان ثمة وقت لكلمة كهذه[13]
غداً، وغداً، وغداً،
وكل غد يزحف بهذه الخطى الحقيرة يوماً إثر يَوم،
حتى المقطع الأخير من الزمن المكتوب،
وكل آماسنا قد أنارت للحمقى المساكين
الطريق إلى الموت والتراب. ألا انطفئي يا شمعة وجيزة!
ما الحياة إلا ظل يمشي، ممثل مسكين
يتبختر ويستشيط ساعته على المسرح،
ثم لا يسمعه أحد: إنها حكاية
يحكيها معتوه، ملؤها الصخب والعنف،
ولا تعني أي شيء.

(يدخل رسول)

جئتَ لتُعمل لسانك. قِصّتَك، بسرعة!
رسول: مولاي الكريم،

عليّ أن أخبر بما رأيت ،
ولكنني لا أعرف كيف أخبر.
مكبث: طيب ، تكلم ، يا رجل .
رسول: فيما كنت أقوم بحراستي على التل ،
أرسلت بصري إلى بيرنام ، وفي الحال خُيّل إليّ
أن الغابة بدأت تتحرك .
مكبث: كذاب ، وعبد!
رسول: سلّط عليّ غضبك ، إن لم يكن الأمر كذلك .
لك أن تراها قادمة على مدى أميال ثلاثة .
أقول انها أجمة تتحرّك .
مكبث: إن كنت كاذباً فيما تقول
ستعلق حياً على أقرب شجرةٍ ،
إلى أن ينكمش جلدك جوعاً . وإن كنت صادقاً ،
لن يهمني لو أنت فعلت بي ذلك . –
إني لأجرّ عنان العزم[14] ، وأبدأ
أشك في كلام الشيطان بلسانين
إذ يكذب كالصدق : «لا تخف ، حتى تأتي
غابة بيرنام إلى دنسينان . » – وها غابة بيرنام
تأتي صوب دنسينان . – تسلحوا ، تسلحوا ، واخرجوا!
فإذا بدا هذا الذي يؤيده ،
لا مهرب ثمة من هنا ، لا ولا مكوث كذلك .

بدأت أسأم الشمس،
وأود لو أن هيكل الكون الآن يتحطّم . .
اقرعوا جرس الإنذار! - يا ريح هبي، ويا مخلعة أقبلي!
لنموتن، في الأقل، والعدة على ظهورنا.

(يخرجون)

المشهد السادس

دنسينان . . . سهل أمام القلعة

(يدخل، مع الطبول والبيارق، مالكولم، الشيخ سيوارد،

مكدف، إلخ، وأفراد جيشهم وهم يحملون الأغصان.)

مالكولم: والآن، كفى قرباً. ألقوا عنكم سُتُرُكُم الشجرية،

وابرزوا كما أنتم. - خالي العزيز، أنت

مع ابنك النبيل، ابن خالي،

ستقود قلب جيشنا الأول: ونحن ومكدف الكريم

سنأخذ على عواتقنا فعل ما تبقى،

حسب خطتنا.

سيوارد: أستودعكم الله. -

لنلقَ جيش الطاغية الليلة،

ولننهزم إن نحن لم نحسن القتال!

مكدف: لتنطق أبواقنا كلها! مدّوها جميعاً بالنّفس -

هذه الرسل الصاخبة بالردى والدم!

المشهد السابع
دنسينان . . . موقع آخر من السهل

(يدخل مكبث)

مكبث: لقد أوثقوني بخشبة: فلا أستطيع الهرب،
وعليّ كالدب أن أقاتل حتى نهاية الجولة[15].
من ذاك الذي لم تلده إمرأة؟ رجل كذاك
عليّ أن أهاب، دون سواه.

(يدخل سيوارد الابن)

سيواردالابن: ما اسمك؟
مكبث: سترتعب إن سمعته.
سيوارد: أبداً، حتى لو دعوت نفسك باسمٍ ألهبَ
من أي اسم في الجحيم.
مكبث: اسمي مكبث.
سيوارد: ليس للشيطان نفسه أن ينطق اسماً
أكرهَ منه لأذني.
مكبث: لا، ولا أرعبَ منه.
سيوارد: تكذب، أيها الطاغية المقيت: وبسيفي

سأبرهن على أكذوبتك .

(يتقاتلان ، ويسقط سيوارد الابن قتيلا)

مكبث : لقد ولدتك إمرأة . –
غير أن السيوفَ ابسمُ لها ، والسلاحَ أضحك منه هزءاً ، إذا
أشهرها رجل هو وليد امرأة .

(يخرج نفير. يدخل مكدف)

مكدف : الجلبة أسمعها من هناك . – أيها الطاغية ، أرنا وجهك .
إن أنت قُتلت بضربة من غير سيفي
لن تبارحني أبداً أشباح زوجتي وأولادي .
لا أقدر أن أضرب المشاة البائسين ، الذين أُجِّروا
لحمل رماحهم : أما أنت ، يا مكبث ،
أو أنني سأغمد سيفي عاطلاً ثانية ،
لم تنل ضربةٌ من شفرته .
لا بد أنك هناك . . .
هذه الضوضاء الكبيرة تنبىء
عن شخص كبير . دعيني يا ربة الحظ ألقاه !
وأكثَر من ذلك لن ألتمس .

(يخرج يدخل مالكولم والشيخ سيوارد)

سيوارد: من هنا ، يا مولاي . – القلعة استسلمت بغير عنف .
جماعة الطاغية على الجانبين تقاتل .
والأمراء النبلاء يبدون بسالة في الحرب .

يكاد اليومُ يعلن بنفسه أنه لك،

ولم يبق إلا القليل.

مالكولم: لقد التقينا أعداء

يضربون معنا.

سيوارد: سيدي، أدخل القلعة.

(يخرجان. نفير)

المشهد الثامن
موقع آخر من ساحة القتال

(يدخل مكبث)

مكبث: لماذا علي أن ألعب دور الأحمق الروماني، وأموت[16]
على سيفي أنا؟ ما دمت أرى أحياء، فإن الجروح
تبدو أليق بهم.

(يدخل مكدف)

مكدف: استدر، يا كلب الجحيم، استدر!
مكبث: من دون الرجال جميعهم تجنبتك أنت:
ولكن عد، فإن نفسي مثقلة جداً
بدماء أهلك.
مكدف: لا كلمات عندي:
إنما صوتي بسيفي، يا نذلا دموياً
تعجز الألفاظ عن وصفك!

(يتقاتلان)

مكبث: أنت تضيع جهدك:
إن كان بوسعك أن تطبعِ بسيفك الماضي

هواءَ لا يُقطع، استطعت نزفَ دمي.
إهوِ بشفرتك على هاماتٍ تنجرح،
أما أنا فأحمل حياة مسحورة، لن تستسلم
لرجل ولدته امرأة.
مكدف: فلتيأسْ من سحرك،
ودع الملاك الذي رحت تخدمه(17)
يخبرك بأن مكدف من رحم أمه
انتُزع قبل أوانه.
مكبث: ملعون ذلك اللسان الذي يخبرني بهذا،
لأنه زعزع العنصر الاسمى فيّ كإنسان[18].
ولا يُصَدِّقَنَّ أحد بعد اليوم هذه الشياطين المشعوذة،
التي تخاطبنا بمعنيين اثنين معاً،
تحفظ كلمة الوعد للأذن منّا،
وتنقضها لرجائنا. لن أقاتلك.
مكدف: إذن سلم نفسك يا جبان،
وعش عُرْضَةً ومَشْهَدَةً للعصر:
ولسوف نعلق رسمك على السارية،
كما نفعل بالنادر من الوحوش، وتحته نكتب:
«تفرَّجوا هنا على الطاغية.»
مكبث: لن أسلم نفسي
لأقبِّل الأرض أمام قدمي الصبي مالكولم،

وتقذفني الدهماء بلعناتها .
رغم أن غابة بيرنام قد جاءت إلى دنسينان ،
وأنت غريمي الذي لم تلده إمرأة ،
فإني سأحاول المحاولة الأخيرة : قُدّامَ جسمي
ها أنا أقذف ترسي الحربي : تهيأ ، مكدف !
وليكن ملعوناً من يصيح أولاً : «قف ، كفى !»

(يخرجان وهما يتقاتلان . نفير يتكرر . يدخلان ثانية وهما يتقاتلان ، ويقع مكبث صريعاً .)

المشهد التاسع
داخل القلعة

(تـراجـع . تغيـر. يدخـل ، مع الطبول والبيارق ،

مالكولم ، الشيخ سيوارد ، روص ، أمراء ، وجنود .)

مالكولم: ليت من تفتقد من أصدقاء يصلون سالمين

سيوارد: لا بد للبعض من مِضِيٍّ . ولكن من هؤلاء الذين أرى أمامي ،

لي أن أقول أن يوماً عظيماً كهذا رخيصاً اشتريناه ،

مالكولم: مكدف مفقود ، وابنك النبيل .

روص: ابنك ، يا مولاي ، دفع دَيْن كل جندي :

لقد عرف من العمر ما بلغ به الرجولة وحسب ،

وما كاد يُثبت أن به بأسَ الرجال

في الموقع الذي قاتل فيه ولم يتزحزح عنه ،

حتى مات ميتة الرجال .

سيوارد: أمات إذن؟

روص: نعم ، وجيء به من الميدان . دافعُك للحزن

يجب ألاّ يقاس بقدره ، لأنه حينئذ

لن تكون له من نهاية.

سيوارد: هل كانت جروجه في مُقَدَّمِهِ؟

روص: نعم، على الجبين.

سيوارد: إذن جنديُّ الله هو!

لو كان لي بنون بعدد شعرات رأسي،

لما تمنيت لهم ميتة أجمل.

فليكن هذا الناقوس الذي يقرع له.

مالكولم: إنه أهل لحداد أكثر،

وهذا ما سأرتّبه له.

سيوارد: لا، إنه ليس أهلاً لحداد أكثر.

يقولون إنه رحل رحيلاً لائقاً وسدد ما عليه:

إذن كان الله معه! – هنا عزاء جديد يُقبل.

(يدخل مكدف، حاملاً رأس مكبث).

مكدف: سلاماً أيها الملك! لأنك الآن ملك.

أنظر إلى رأس المغتصب اللعين: لقد تحرر الزمن!

أراك محاطاً بلآلىء مملكتك، (19)

وهم ينطقون تحيتي في صدورهم:

إني أطلب الآن أصواتهم جهورية مع صوتي، –

سلاماً، يا ملك اسكوتلندة!

الكل: سلاماً، يا ملك اسكوتلندة!

(نفير)

مالكولم: لن ننفق كثيراً من الوقت
قبل أن نكافئكم جميعاً على حبكم ،
ونكون قد أدينا حقكم علينا . . أمرائي وأقربائي ،
كلكم منذ هذه اللحظة ايرلات – أول من تكرم اسكوتلندة
بلقب كهذا . وما تبقّى علينا فعلُه ،
مما سنزرعه من جديد في الأيام القادمة –
كدعوة أصدقائنا المنفيين إلى الوطن ،
الهاربين من الطغيان اليقظ وأحابيله ،
والعثور على المؤيدين القساة
لهذا الجزار الصريع ، ومَلِكَتِهِ الشيطانية
التي يُظَنّ أنها قضت على حياتها
بيدها العاتية هي ، – هذا ، وغيره من الضرورات
التي تلح علينا ، سنقوم به ، بنعمة الله ،
كما ينبغي قدراً ، وزماناً ، ومكاناً .
إذن فالشكر لكم جميعاً معاً ، ولكل واحد منكم[20] ،
وندعوكم جميعاً لحضور تتويجنا في مدينة «سكون» .

(نفير. يخرجون) .

إنتهت

هوامش :

(1) في المسرحية أكثر من إشارة تدل على أن مكبث وزوجته يناماں في الفراش عاريين. ويبدو أنها كانت عادة شائعة.

(2) أي تطوي الحاشية منها لتحدث فيها هامشاً.

(3) ليدي مكبث تتخيل أنها تسمع الساعة تدق.

(4) هذه الكلمات ليست موجهة للسيدة الوصيفة.

(5) كانت بلاد العرب في الآداب الغربية، منذ عهد الإغريق، تعتبر بلاد البخور، وبالتالي بلاد الطيب والعطور.

(6) يقصد الأمراء.

(7) يقول المؤرخ هولنشيد: «لم يكن الاسكوتلنديون فيما مضى يعرفون أو يفهمون الأطعمة الفاخرة أو التخمة المعربدة.. هذه الكماليات دخلت القطر مع الإنكليز..».

(8) الكبد الزنبقية البياض من إشارات الجبن.

(9) في النص يدخل الطبيب في بداية هذا المشهد. ولكن الأفضل تأخير دخوله حتى هذه النقطة، لأن ليس له ما يفعله أو يقوله في القسم الأول من المشهد.

(10) نباتان لهما مفعول المسهل.

(11) يقصد بذلك بعضاً من سلاحه.

(12) العبارة في الأصل توحي على الأقل بمعنيين اثنين: «كان لا بد لها أن تموت يوماً ما»، و «كان الأفضل لو تأجل موتها إلى ساعة أفضل من هذه، لو عاشت حتى تلك الساعة لكان ثمة وقت أشد ملاءمة لكلمة كهذه.» تعدد المعاني في العبارة الواحدة من ميزات شعر شكسبير.

(13) أي: «الملكة قد ماتت.»

(14) أي: «ما عدت قادراً على ترك العنان على الغارب لثقتي وعزيمتي..».

(15) كان من ألعاب الناس في عهد شكسبير لعبة «تعذيب الدب»، وذلك بأن يوثق دب بسارية، ويعطى بعض المجال بطول من الحبل الذي يربطه بالسارية، وتطلق

عليه الكلاب. فيدور ويدور بالحبل حول السارية إلى أن ينتهي مجاله. وكانت اللعبة في «جولات» - كالملاكمة أو المصارعة اليوم.

(16) أمثال كاتو، وبرونس، وأنطونيو. كان الروماني إذا أدرك أنه قد هزم، يلقي بنفسه على سيفه، وينتحر.

(17) يقصد ملاك الشر، كمقابل لملاك الخير.

(18) أي روحه، أو عقله.

(19) كأنه تاج، ونبلاءه المحيطين به اللآلىء المحيطة بالتاج.

(20) هذه العبارة يوجهها الممثل عادة إلى جمهور المشاهدين.

الفهرس

العاصفة

أشخاص المسرحية

آلونزو، ملك نابولي	Alonso
سباستيان، أخوه	Sebastian
بروسبيرو، دوق ميلانو الشرعي	Prospero
أنطونيو، أخوه، دوق ميلانو المغتصب	Antonio
فرديناند، ابن ملك نابولي	Ferdinand
غونزالو، مستشار شيخ أمين	Gonzalo
أدريان وفرانسسكو، سيدان	Adrian and Francisco
كاليبان، عبد وحشي وممسوخ	Caliban
ترينكولو، مهرّج	Trinculo
ستيفانو، خادم سكّير	Stephano
ربّان سفينة	Ship Master
ملاّح	Boatswain
بحّارة	Mariners
ميراندا، ابنة بروسبيرو	Miranda
آرييل، روح من هواء	Ariel

إيريس	أرواح	Iris
سيريس		Ceres
جونو		Juno
حوريات		Nymphs
حصادون		Reapers

مشهد المسرحية: جزيرة غير آهلة.

الفصل الأول

المشهد الأول

(تسمع أصوات عاصفة مع رعد وبرق. يرى الوسط
من سفينة تنهال عليها الأمواج العالية، يدخل ربان
سفينة، وملاّح.)

ربان: (من ظهر السفينة الأعلى): ملاّح!

ملاّح: (من وسطها): نعم، سيدي: كيف أنت؟

ربان: بخير تكلم إلى البحارة - عليكم بها، بسرعة، وإلاّ جنحنا إلى الصخر. تحرّك، تحرّك!

(يعود إلى الدفة تسمع صافرة الربان. يسرع البحارة بالمجيء)

ملاّح: هلمّوا يا أعزّاء القلب! همتكم، همتكم، يا أحباب! بسرعة... بسرعة... أطووا الشراع الأعلى... انتبهوا إلى صافرة الربان.. (للزوبعة) هبّي وانفخي حتى تفجّري قصباتك - إن كان لديك من مزيد!

(يأتي إلى ظهر السفينة الونزو، سباستيان، أنطونيو، فرديناند، غونزالو، وآخرون)

الونزو: خذ الحذر يا ملاّح، يا ابن الحلال... أين الربان؟ تصرفوا كالرجال.

ملاّح: أرجوكم، أبقوا في الأسفل.

أنطونيو : أين الرّبان، يا ملاّح؟

ملاّح: ألا تسمعونه؟ إنكم تفسدون شغلنا. لا تبارحوا قمراتكم : فأنتم تعينون الزوبعة.

غونزالو: لا يا رجل، كن صبوراً.

ملاّح: عندما يصبر البحر... هيّا! ماذا يهمّ هذه الهادرات من اسم الملك؟ إلى القمرات. . . بلا كلام! لا تزعجونا!

غونزالو: طيب، ولكن تذكّر من الراكب لديك.

ملاّح: لا أحد أحبّه أكثر من نفسي... أنت وزير ـ فإن يكن بوسعك أن تأمر هذه العناصر بالصمت، وتحقق الهدوء لهذه الساعة، لن نمّس حبلاً آخر. استعمل سلطتك... وإذا عجزت، فأحمد الله على أنك بقيت حياً حتى الآن، وهيىء نفسك في قمرتك لسوء ما قد يقع الساعة، إن وقع. . . همتكم، يا أحباب. . . قلت لكم، لا تقفوا في طريقنا. . .

(يركض إلى الأمام)

غونزالو:(يقطع كلامه عندما تغوص السفينة فجاة): هذا الفتى أجد فيه طمأنينة عظيمة. . . يخيّل إليّ أن الغرق لم يكتب عليه، فالذي ينمّ عنه وجهه هو المشنقة بالضبط. أيها القدر الطيب، أصرّ على شنقه، واجعل حبل مصيره حبلنا، لأن حبلنا نحن قليل الجدوى... إن لم يكن قد ولد ليشنق، فإن قضيتنا بائسة.

(يعود الملاّح، ويتراجع رجال البلاط أمامه نحو قمراتهم.)

ملاّح: أخفضوا السارية العليا. . بسرعة. . أوطأ، أوطأ! حوّلوها للمسار البحري

(تسمع صرخة من الأسفل) قاتل الله هذا الصراخ . . صراخهم يعلو على الزوبعة، أو شغلنا .

(يعود سباستيان، أنطونيو، غونزالو)

أمرة أخرى؟ ماذا تفعلون هنا؟ انعطّل، ونغرق؟ هل في نيتكم الغوص في البحر؟

سباستيان: ألا أكل الزهري حنجرتك، أيها الكلب النابح، الكافر، اللئيم!

ملاّح: إذن تعال واشتغل أنت .

أنطونيو: إخرس، يا جرو، إخرس، يا ابن الزانية، يا صانع العياط السليط، نحن أقلّ خوفاً من الغرق منك أنت .

غونزالو: إني أضمنه ضد الغرق، حتى ولو لم تكن السفينة أقوى من قشرة جوزة، وتحر كمومس نازفة .

ملاّح: (صارخاً):حولوها عكس الريح! اجعلوها بمسارين نحو البحر ثانية![1]

(يائساً) دعوها وشأنها!

(تضرب السفينة الصخر. كرات نارية تلتهب على القلوع من المقدّمة حتى المؤخرة. يدخل البحارة مبلّلين .)

بحارة: لقد ضاع كل شيء! إلى الصلاة! إلى الصلاة! لقد ضاع كل شيء!

ملاّح: (يسحب زجاجة من ثيابه) : وأفواهنا، هل عليها أن تبقى باردة؟

غونزالو: الملك والأمير يصليّان. فلنساعدهم لأن أمرنا أمرهم .

سباستيان: لقد نفد صبري .

أنطونيو: ما أفقدنا حياتنا خديعة إلا السكارى - هذا الوغد الواسع الشدقين - ألا بقيت غريقاً والبحر في مد وجزر عليك عشر مرات![2]

غونزالو: لن يكون موته إلا شنقاً، حتى ولو أقسمت كل قطرة ماء على عكس ذلك، وفغرت فاهاً عريضاً لتلتهمه!

(ضوضاء في الأسفل)

رحمتك يا رب!

سفينتنا تنشقّ! وداعاً، زوجتي وأولادي! وداعاً، أخي!

سفينتنا تنشقّ، تنشقّ!

أنطونيو: فلنغرق جميعاً مع الملك.

سباستيان: لنذهب لوداعه.

غونزالو: إني لأعطي الآن ألف فرسخ من البحر لقاء فدان واحد من أرض قاحلة... سبخاء، ملأى بعوسج، بتنوّب أسمر، أي شيء. لتكن مشيئتك يا إلهي، ولكن بودي لو أموت موت الجفاف!

(ينطلق على الظهر جمهرة من الناس، متجهين نحو جانب السفينة، في وهج الكرات النارية. فجأة، تنطفىء الكرات. صرخة عالية من أصوات عديدة.)

المشهد الثاني

(الجزيرة. سفح أخضر فيه طريق تنحدر خلال أجمة من أشجار الليمون باتجاه صخور عالية، في واجهتها مدخل كهف كبير، له ستارة. ميراندا، تتطلع نحو البحر. بروسبيرو يجيء من الكهف، لابساً عباءة ساحر، وحاملاً عصا.)

ميراندا: (ملتفتة): إن كنت بفنك، أبتاه،
قد أثرت هذا الهدير في المياه الهوجاء، فسكّنها.
لكأن السماء ستنهمر قاراً نَتناً
لولا أن البحر، إذ يرقى إلى خد السماء،
يكتسح النار ويخمدها... أوه! لقد قاسيت
مع أولئك الذين رأيتهم يقاسون: مركب جميل
(لا بد فيه مخلوق نبيل ما!)
هوت به المياه حطاماً.
لقد ضرب الصياح قلبي ضربات مدوية.
والأرواح المسكينة قد هلكت.
لو كنت إلهاً ذا سطوة،

لأغرقت البحر في الأرض، فلا
يبتلع السفينة، كما فعل،
بكل من تحمل من أرواح.
بروسبيرو: تمالكي نفسك.
وكفاك دهشة: وقولي لقلبك المشفق:
ما حل بأحد أذى.
ميراندا: يا ويلي!
بروسبيرو: أي أذى.
ما فعلت شيئاً إلا إهتماماً بك،
بك أنت، يا غاليتي، أنت يا ابنتي، أنت التي
لا تعرفين من أنت، ولا تعرفين من أين أنا أتيت،
أو أنني أفضل بكثير
من بروسبيرو، سيد كهف جدّ فقير،
وأبيك الذي ليس يفضله بشيء.
ميراندا: (وعيناها باتجاه البحر ثانية): ما خطر ببالي يوماً
أن أعرف أكثر من ذلك.
بروسبيرو: حان الوقت.
لأن أخبرك بالمزيد. أعطيني يدك
وانزعي عباءتي السحرية عني... هكذا،

(يضع عباءته جانباً)

استقرّ يا فني هناك. وأنت جففي عينيك واطمئني

من أن مشهد الحطام الرهيب؛ الذي
هزّ فيك فضيلة الرحمة نفسها،
دبّرته، بما تهيأ لي من فني،
تدبيراً أميناً بحيث لم يصب أحد بلوثة
لا ولم تهلك حتى شعرة واحدة
لمخلوق في المركب الذي
سمعت منه صراخاً، ورأيته يغرق، اجلسي،
لأن عليك الآن أن تعلمي المزيد.
ميراندا: كثيراً ما
بدأت تخبرني من أنا، ثم أمسكت،
وتركتني أسأل عبثاً،
لتنتهي إلى قولك: «كفى، لم يحن الوقت».
بروسبيرو: حانت الساعة الآن،
بل إن اللحظة هذه تهيب بك
بأن تفتحي أذنيك، وتطيعي، وتنتهي.

(يجلس على مقعد من صخر، قرب ميراندا)

هل بوسعك أن تذكري
زمناً قبل مجيئنا إلى هذا الكهف؟
لا أحسب أن بوسعك ذلك، لأنك أيامئذ
لم تتخطي سن الثالثة.
ميراندا: بل بوسعي ولا شك، يا سيدي.

بروسبيرو: كيف؟ بأي بيت، أو شخص، آخر؟
حدثيني عن صورة أي شيء
بقي عالقاً في ذاكرتك.
ميراندا: شيء بعيد...
أشبه بالحلم منه بمؤكد
تجزم به ذاكرتي. ألم يكن لديّ
ذات يوم أربع، أو خمس، نساء يعنين بي؟
بروسبيرو: بلى، وأكثر يا ميراندا. ولكن كيف
بقي هذا حياً في ذهنك؟ ما الذي غير ذلك ترين
في المظلم من هاوية الزمان وغابره؟
إن كنت تذكرين شيئاً قبل مجيئك هنا،
فلعلك تذكرين كيف جئت هنا.
ميراندا: ولكنني لا أذكر ذلك.
بروسبيرو: قبل اثنتي عشرة سنة، ميراندا، قبل اثنتي عشرة سنة،
كان أبوك دوق ميلانو.
وأميراً ذا سلطان.
ميراندا: سيدي، ألست أنت أبي؟
بروسبيرو: كانت أمك رائعة من روائع الفضيلة،
وقد قالت أنك ابنتي، وكان أبوك
دوق ميلانو، ووارثته الوحيدة
أميرة، لا ولد دونها.

ميراندا: يا للسماء!
أي خيانة إذن أتت بنا هنا؟
أم كان خيراً مجيئنا؟
بروسبيرو: هذا وذاك معاً، يا ابنتي.
خيانةٌ، كما قلت. أُلقي بنا من هناك،
وخيراً أُسعفنا إلى هنا.
ميراندا: آه إن قلبي ليدمى
إذ أفكر بما سببت لك من متاعب
لا تحفظها ذاكرتي. أرجوك، أبي -
بروسبيرو: إن أخي، عمّك، المدعو أنطونيو -
إنتبهي إليّ رجاء، كيف أن أخا
يخون هكذا - هذا الذي كنت، بعدك،
أحبه أكثر من العالم كله، إليه
أوكلت إدارة دولتي، إذ كانت حينئذ
بين الدويلات كلها هي الأولى،
وبروسبيرو الدوق الأول، مشهوراً
بعلوّ القدر والمكانة - وفي الآداب والفنون
ليس من يضاهيه. ولما كانت هذه هي همّي كله
ألقيت بمهامّ الحكم على أخي،
وأضحيت غريباً عن شؤون دولتي، إذ انهمكت
وانتشيت بدراساتي الباطنية. أما عمك الغادر -

أمنتبهة أنت إلي؟

[ميراندا : تماما، يا أبي :

بروسبيرو: ما أن تعلم جيدا كيف يقبل الا لتماسات

وكيف يرفض، من يرفع من مكانته

من ينزله كالنفاية، حتى أعاد

صنع من صنعتهم بنفسي، أعني غيّرهم

أو شكلهم من جديد، فصارت بيده

مفاتيح الموظف والوظيفة، وجعل

كل قلب في الدولة يعزف ما

تطرب له أذنه. فصار بذلك

اللبلاب الذي أخفى جذعي الأميرى

وامتص ما فيه من خضرتي. ـ أنت

لا تصغين الي!

ميراندا : بلى، يا سيدي، اني أفعل ذلك!

بروسبيرو: أرجوك، اصغي الي!

اني كنت، وقد فاتتني الغايات الدنيوية،

أعيش في عزلة، أهذب عقلي،

وأشغل نفسي بما يتجاوز ثناء الشعب،

فأثار هذا في أخي الغادر نزوة

ذميمة. واذا الثقة التي وضعتها فيه،

مثل أب فاضل، تبعث في نفسه،

على العكس، من الكذب ما يضاهي حجم
ثقتي فيه التي لم يكن لها حد،
وكانت بلا قيد. وحين أصبح سيدا،
لم يتحكم في مداخيلي وعائداتي فحسب،
وانما تحكم في كل ما تقتضيه سلطتي أيضا،
مثل واحد يفرض على ذاكرته، بكثرة
الحديث عنه، حتى الحقيقة، وَغْداً من
هذا النوع، وينتهي الى الايمان بكذبته،
ويعتقد بأنه كان دوقا فعلا، وذلك
عن طريق الوكالة والتصرف ظاهريا
في الملكية بكل ما لها من امتيازات، وبذلك
تنامى طموحه ـ]
أتسمعين؟
ميراندا: حكايتك تشفي الصمم يا سيدي.
بروسبيرو: ولكي لا يبقى ثمة حاجز بين هذا الدور الذي يلعبه
وبين الذي يلعبه عنه، لا بد له من أن يكون
سيد ميلانو المطلق – وأنا المسكين،
حسبي مكتبتي دوقية لي، فظنني
عاجزاً عن سلطاتي الزمنية، ويتآمر
(لشدة ما يتعطش للحكم) مع ملك نابولي
ويقدّم له جزية سنوية، مع الولاء،

ويخضع تتويجه لتاج الملك، و يحني
رأس الدوقية التي لم تنحن يوماً لأحد
بأشنع الذل. أسفي عليك يا ميلانو المسكينة!
ميراندا: يا للسماء...
بروسبيرو: تأملي الشروط، والنتيجة، ثم خبّريني،
هل هذا أخ شقيق؟
ميراندا: لكان إثماً مني
لو أنني أسأت الظن بجدتي.
كرام الأرحام قد تلد لئام الأبناء.
بروسبيرو: والآن، الشروط...
لما كان ملك نابولي هذا عدواً
لدوداً لي، فإنه يصغي إلى طلب أخي:
وهو أنه، لقاء ما يشترّط عليه
من ولاء، ومن جزية لا أعلم مقدارها،
يعد باقتلاعي في الحال، أنا ومن لي،
من الدوقية، ويجعل ميلانو الجميلة
هبة لأخي بكل مراسيم النبل. وعندها،
في منتصف ليلة قُدّرت للغرض،
وقد جمع أنطونيو جيشاً من الخونة، فتح
أبواب ميلانو، وفي عزّ الظلام
طردني الموكلون بالأمر من مدينتي -

أنا، وأنت، وأنت تبكين.

ميراندا: (ودموعها تتساقط من جديد): يا حسرتي.

أنا التي لا أذكر كيف بكيت ساعتئذ،

سأبكي من جديد. انه لأمر

يعتصر عينيّ.

بروسبيرو: اسمعي بعضاً آخر،

ثم آتي بك إلى ما نحن الآن فيه.

ولولاه، لكانت هذه القصة

غير واردة بالمرة.

ميراندا: لماذا لم يقضوا علينا

في تلك الساعة؟

بروسبيرو: حسناً سألت، يا بنيّة.

حكايتي تثير هذا السؤال. لم يجرؤوا، يا عزيزتي،

لما يكنّه شعبي لي من عميق الحب. ولكنهم

بألوان جميلة موّهوا الدميم من غاياتهم.

(يتردد، ثم يستأنف كلامه سريعا)

وباختصار، أسرعوا بنا إلى مركب

واقلعوا معنا لبضعة فراسخ في البحر، حيث هيأوا

زورقاً لم يبق منه إلا هيكل متفسّخ، لا حبال

ولا أشرعة، ولا قلوع، ولا سواري، حتى الجرذان

كانت بالغريزة قد هجرته. وهناك قذفوا بنا

نصرخ للبحر، فيزأر لنا، نتنهد
للرياح، فتشفق برد التنهدات علينا
فتظلمنا بحُبها.
ميراندا: وا أسفاه. لشد ما
سببت لك من هَمّ عندها!
بروسبيرو: آه، ملاكاً
كنت يحفظني. رحت تبتسمين
وقد أُلهمتِ صبراً من السماء،
في حين رحت أنا أزيّن البحر بمالح الدمع
وأئن تحت وقري ـ مما مدّني
بمعدة صامدة، لأتحمل
ما قد يلي.
ميراندا: وكيف بلغنا البر؟
بروسبيرو: بتدبير من الله.
كان لدينا بعض من طعام، وبعض من ماء عذب،
أعطانا كليهما نبيل من نابولي يدعى غونزالو
لطيب قلبه، إذ عيّن عندئذ
مسؤولاً عن هذه الخطة، وأعطانا كذلك
أردية فاخرة، وثياباً، ومواد، وضروريات
أفادتنا كثيراً فيما بعد. وكرماً منه،
إذ كان يعلم بحبي لكتبي، زودني

بمجلدات من مكتبتي أجلّها

أكثر من دوقيتي .

ميراندا : ليتني أرى ذلك الرجل!

بروسبيرو: تيقظي الآن ،

ولا تتحركي ، واسمعي آخر أحزاننا البحرية .

(يرتدي عباءته ثانياً)

هنا في هذه الجزيرة وصلنا ، وهنا

جعلتُني معلّمك وأفدتك أكثر

مما بوسع السوى من الأمراء أن يستفيدوا ،

فهم إنما لديهم مزيد من الوقت للساعات البواطل ،

وأساتذة لا يحرصون .

ميراندا: لتشكر لك السماء ذلك! (تقبّله)

والآن ، أرجوك يا أبتي -

فما زال الأمر معتملاً في نفسي - ما الذي حدا بك

إلى إثارة زوبعة البحر هذه؟

بروسبيرو: اعلمي من ذلك هذا وحسب :

بصدفة هي أغرب الصدف ، أتت ربة الدهر السخيّة -

وقد أضحت الآن خليلتي العزيزة - بأعدائي

على هذا الشاطىء . وبعلمي المسبق بالأمور

أجد أن سَمْتي يعتمد على

نجم مليء بالسعد ، إن لم أطلب

فعله الآن، إن أهملته، فإن حظي
سينتكس إلى الأبد: وهنا كفاك أسئلة.
انك تجنحين إلى النوم.

(بحركة من يده، تغمض عينيها وتنام في الحال)

نعاس طيب،
استسلمي له . . . اعلم أن لا حيلة لك به.

(يرسم دائرة سحرية على العشب)

هلمّ، هلمّ إليّ، يا خادمي. إني الآن مستعد.
اقترب، يا آرييل . . . (يرفع عصاه). هلمّ!

(يظهر آرييل من فوق)

آرييل: سلاماً، مولاي العظيم وسيدي الرصين، سلاما.
جئت ألبّي أطيب ما تشاء: لأطير، إن شئت،
أو أسبح، أن أغوص في النار، أو أركب
الغيوم الجعداء. (يهبط أرضا ويغني) مر أشدّ أمرك
آرييل وكل ما يتصف به.
بروسبيرو: أيها الروح،
هل أقمت العاصفة كما أمرتك بالضبط؟
آرييل: بالحرف الواحد.
صعدت إلى سفينة الملك: وأدهشتهم باللهب،
في الجؤجؤ مرة، في الوسط مرة،
في الظهر، في كل قمرة. وأَنْشَقُّ أحياناً

وألتهب في مواضع شتى. في السارية العليا،
في القلوع، في دقل المقدّم، أشتعل على حدة
ثم تلتقي الشعلات وتتحد. صواعق جوبيتر، رسل
تصف الرعد الرهيب، لم تكن أشد آنيّةً
أو أسرع من لمح البصر. وبدا كأن النار والقصف
في الهدير اللاهب يحاصران نبتون بجبروته
وفي أمواجه الجريئات يرسلان القشعريرة،
أجل، ويرجفان صولجانه الثلاثي المخيف.
بروسبيرو: يا روحي الجميل،
من له من الثبات ورباطة الجأش، فلا يُمسّ عقله
بهذا الصخب؟
آرييل: لم تبق نفس
ما أحست بحميّ الجنون، وأتت بلعبة ما
من ألاعيب اليأس. كلهم، عدا البحارة،
تركوا المركب وقذفوا بأنفسهم في زبد الماء الأجاج،
وإذ راح ابن الملك فرديناند يشتعل معي –
وشعره منتصب انتصاب الأقصاب، لا الشَّعر –
فكان أول من قفز، صائحاً: «جهنّم خويت،
وكل الشياطين هنا!»
بروسبيرو: هكذا أردتكَ أيها الروح.
ولكن ذلك كان على مقربة من الساحل؟

آرييل: قريباً جداً منه، يا سيدي.

بروسبيرو: (قلقا): ولكنهم، آرييل، لم يصابوا بأذى؟

آرييل: شعرة واحدة لم تُصب.

وثيابهم الواقية لم تصبها لوثة واحدة،

بل خرجت أنضر من ذي قبل. وكما أمرتني،

فرّقتهم جماعات في أنحاء الجزيرة.

وابن الملك أتيت به البر بمفرده،

وقد تركته يبرّد الهواء بالحسرات،

في ركن منزو من الجزيرة، جالساً،

وذراعاه في عقدة حزينة، هكذا. (يقلّده)

بروسبيرو: والبحارة من سفينة الملك،

أخبرني، كيف دبّرت أمرهم،

وبقية رجال الأسطول؟

آرييل: سفينة الملك

آمنةٌ في المرفأ، في الخليج العميق، حيث

استدعيتني مرة في منتصف الليل لأحضر الندى

من جزر برمودا العاصفة أبدا - هناك خبأتها

وقد قبع البحارة جميعهم في العنابر

وبرُقْية أضيفت إلى ما عانوه من جهد

تركتُهم نائمين. أما بقية السفن،

التي كنت شتّتُّها، فقد اجتمعت من جديد

وهي الآن طافية على البحر المتوسط

متجهة، وكلها أسى، نحو وطنها في نابولي،

وهي تظن أنها رأت سفينة الملك تتحطم

وشخصَهُ العظيم يهلك.

بروسبيرو: آرييل، مَهَمَّتُك

أنجزتها بدقة. ولكن ثمة المزيد من عمل.

ما الساعة الآن؟

آرييل: بعد الظهيرة.

بروسبيرو: (ناظراً إلى الشمس): بساعتين على الأقل... علينا كلينا أن ننفق الوقت بين الآن والسادسة بأكبر جدوى.

آرييل: (متمرداً) أمزيداً من الجهد؟ بما أنك تفرض عليّ الواجبات، فلأذكرك بما وعدتَ

ولم تنجز.

بروسبيرو: ما بك الآن؟ أصابك النكد؟

ما الذي تقدر أن تطالب به؟

آرييل: حريتي.

بروسبيرو: قبل أن تنتهي المدة؟ كفى! (يرفع عصاه)

آرييل: أرجوك

أن تتذكر أنني خدمتك أفضل خدمة،

لم أكذب عليك، لم أرتكب خطأ، وخدمت

دونما شكوى أو تذمر. وأنت وعدت

بأن تخفف عني سنةً كاملة .

بروسبيرو: أنسيت

من أي عذاب حررتك؟

آرييل : كلا .

بروسبيرو: لا بل نسيت ، فاستكثرت على نفسك أن تطأ نزيز

اليّم الأجاج ،

وتركض على ريح الشمال العاتية ،

وتقوم بمهام لي في عروق الأرض

عندما يغشاها الصقيع

آرييل : لا، لا، يا سيدي .

بروسبيرو: تكذب ، أيها الحقود . أنسيت

الساحرة القبيحة سايكوراكس ، التي انحنت طوقاً

شيخوخةً وغيْرة؟ أنسيتها؟

آرييل : كلا ياسيدي .

بروسبيرو: بل نسيتَها . أين كان مولدها؟ قل لي .

تكلم .

آرييل : سيدي، في الجزائر.

بروسبيرو: آ، صحيح؟ لا بدّ لي

مرة كل شهر أن أسرد من جديد ما الذي كنت ،

وهو ما تنساه . . . هذه الساحرة اللعينة ، سايكوراكس ،

لكثرة سيئاتها ومريع فعالها السحرية التي

لا تتحمّلها إذن بشرية، كما تعلم،
نُفيت من الجزائر. ولشيء واحد صَنَعَتْهُ
أحجموا عن قتلها. أليس هذا صحيحاً؟
آريل: بلى، يا سيدي.
بروسبيرو: هذه الشمطاء الضامرة جيء بها هنا وهي حبلى،
وهنا غادرها البحارة. وأنت، يا عبدي،
كما أخبرتني بنفسك، كنت يومئذ خادمها،
ولأنك روح أرقّ من أن
تنفذّ أوامرها الأرضية الكريهة،
رفضت طلباتها الكبيرة، فاستشاط فيها
غضب لا يعرف القرار، و بعون
من خدامها الأقوى منك، حبستك
في صنوبرة مشقوقة – وفي هذا الشقّ
بقيت حبيساً معذّباً
لاثنتي عشرة سنة، ماتت بعدها،
وتركتك هناك، حيث رحت ترسل الأنّات
سراعاً كضربات النواعير. وهذه الجزيرة أيامئذ
لم يشرفها كائن بشري، فيما عدا الولد الذي
خلّفته هنا، هذا الجرو النَّمِش، وليدَ الشمطاء.
آريل: نعم، كاليبان، ابنها.
بروسبيرو: كما قلت، هذا الغبي، كاليبان

الذي جعلتُه الآن في خدمتي. إنك أعلم
بالعذاب الذي وجدتك فيه. لقد كانت أنّاتك
تجعل الذئاب تولول، وتخترق صدور
الدببة الساخطة أبداً. كان ذاك عذاباً
يحلّ بمن أنزلت عليه اللعنة، وهي التي
عجزت عن رفعها سايكوراكس.
عندما جئت، وسمعتك، كان فني هو الذي
فتح الصنوبرة، وأخرجك منها.

آرييل: إني يا أستاذي لأشكرك.

بروسبيرو: إن تذمّرت، لأفلقنّ سنديانة
وأمسمرنّك في أحشائها العقداء، حتى
تعيط لاثني عشر شتاء بكاملها.

آرييل: عفوك، أستاذي.
سأستجيب للأمر
وأغفرت طائعاً.

بروسبيرو: افعل ذاك، وبعد يومين
أطلق سراحك.

آرييل: أنت أستاذي النبيل!
ماذا أفعل؟ قل لي. ماذا أفعل؟

بروسبيرو: اذهب واجعل من نفسك حورية من حور البحر،
على ألا تُرى إلا منك ومني، خفياً

عن كل حدقة سوانا. اذهب وتقمص هذا الشكل،
وعد وأنت فيه. هيا، اذهب،
بخفة ونشاط.

(يختفي آريل. ينحني بروسبيرو على ميراندا)

استيقظي، حبيبة القلب، استيقظي. هنيئاً نمت.
استيقظي.
ميراندا: غرابة قصتك
غيبتني عن نفسي.
بروسبيرو: تنشطي. وهيا بنا
لنزور عبدي كاليبان، هذا الذي
لا يجيبنا أبداً بجواب كريم.

(يقتربان من تجويف في الصخرة)

ميراندا: إنه نذل يا سيدي
لا أحب النظر إليه.
بروسبيرو: ولكن، مهما يكن،
لا غنى لنا عنه. إنه يهيء نارنا،
ويحضر حطبنا، ويقوم بمهامّ
تفيدنا. (منادياً) كاليبان! يا عبد! اسمع.
أنت، يا تراب! انطق!
كاليبان: (من التجويف): هناك حطب كاف في الداخل.
بروسبيرو: تعال هنا. ثمة أشغال أخرى لك.

هيا، يا سلحفاة، هيا.

(يعود آرييل في شكل حورية ماء)

يا طيفاً بديعاً، يا جميلي آرييل،
اقترب لأهمس في أذنك.

(يهمس له)

آرييل: سمعاً وطاعة يا مولاي. (يختفي)

بروسبيرو: (لكاليان): أنت يا عبداً كله سم، يا نطفة الشيطان في أمك الخبيثة، تعال هنا!

(يخرج كاليان من تجويفة الصخر، وهو يمضغ)

كاليان: ألا فلينزل عليكما كليكما.
أخبث ما جمعت أمي من ندى
بريشة غراب من مستنقع مسموم!
ألا هبت عليكما ريح جنوبية غربية
وكستكما بثوراً من الرأس حتى القدم!

بروسبيرو: لكلامك هذا، ثق أنك الليلة ستصيبك التشنجات،
ولسوف تَقْفِصُ نَخَزاتُ الجانبين أنفاسَك، والعفاريتُ
طيلة الليل المديد ستنشط
وتُعمل فيك فنونَها. ولسوف تُقرص قرصاً
بكثافة قرص العسل، وكل قرصة أشد لسعاً
من النحل الذي يصنعه.

كاليبان: (نابحاً): أريد أن آكل غدائي.

هذه الجزيرة لي، ورثتها عن سايكوراكس والدتي،
وأنت أخذتها مني. عندما جئت أول الأمر،
مسدّتني ودللتني. كنت تعطيني
ماء فيه توت، وتعلمني كيف
أسمّي النور الأكبر، والنور الأصغر،
اللذين يشتعلان في النهار وفي الليل. عندها أحببتك
وأطلعتك على مزايا الجزيرة كلها،
على الينابيع العذبة، والحفر المالحة، على أماكن الخصب والقفر.
فلأكن ملعوناً لفعلتي تلك! ولتحلَّ عليك
رُقى سايكوراكس جميعها، سلاحف وخنافسَ وخفافيش!
لأنني كل ما لديك من رعيّة
أنا الذي كنت قبل ذلك مَلِكَ نفسي: وهنا تزربني
في هذه الصخرة الصمّاء، وتمنع عني
بقيّة الجزيرة.
بروسبيرو: أيها العبد الكذاب،
لا يجدي فيك اللطف بل الجَلْد. لقد عاملتك
على قذارتك - برعاية إنسانية، وأسكنتُك
حجرتي نفسها، إلى أن حاولت إنتهاك
شرف ابنتي.
كاليبان: ها! ها! يا ليت ذاك تحقق!
أنت منعتني - وإلا لملأت

هذه الجزيرة بنسل كاليبان.

بروسبيرو[3]: أيها العبد المقيت الذي
لا يقبل أن يُطبع فيه أيُّ خير،
لأنه مطبوع على كل شرّ. لقد شفقت عليك،
وجهدت في أن أجعلك تتكلم، وعلمتك كل ساعة
شيئاً جديداً. وأيام كنت أيها المتوحش
لا تعرف ما تعنيه، فتهذرم
كمخلوق وحشي، وَهَبْتُ مقاصدَك
كلماتٍ تفصح عنها... غير أن عِرْقَك الدنيء،
رغم تعلمّك، فيه ما ترفض طبائع الخير
أن تساكنه. ولذا فإنك
إستحقاقاً حُبست في هذه الصخرة،
ولكنت تستحق أكثر من السجن.

كاليبان: علمتني اللغة، وما جنيت منها إلا
أنني أعرف كيف اشتم. فليكرفْك الطاعون الأحمر
لتعليمك إياي لغتكم.

بروسبيرو: ولِّ، يا بزرة الشمطاء!
إإتنا بحطب، وخير لك أن تسرع
لكيما تنجز مهام أخرى. أتهز كتفيك يا حقود؟
إن أهملت، أو قمت غير طائع
بما أمرتك، لأخلعنّ بدَنَكَ بالتشنجات إياها،

واملأن عظامك أوجاعاً، فتجأر حتى

ترتجف الوحوش لولولتك.

كاليبان: (مذعوراً) لا، أرجوك...

(مهمهماً لنفسه) عليّ بالطاعة - ففي فنه من القوة

ما بوسعه التحكّم بإله أمي سيتيبوس،

وإخضاعه تابعاً له.

بروسبيرو: هيا إذن، يا عبد، انصرف!

(ينسل كاليبان خارجاً. ينسحب بروسبيرو وميراندا إلى داخل الكهف. تسمع موسيقى، ويدخل آرييل غير مرئي [4]، يعزف ويغنّي، يتبعه فرديناند)

أغنية آرييل:

إلى الرمال الصفراء هذي تعالوا

وامسكوا الأيدي معاً

وتبادلوا الإنحناء ثم القبل -

والأمواج الهوجاء قد هجعت:

وأرقصوا رقصاً رشيقاً هنا وهناك

فتردد الحُور الحلواتُ

لكم القرار... اسمعوا!

قرار من أماكن متفرقة: باو.. واوا!

آرييل: وكلاب الحراسة تنبح:

قرار: باو.. واوا

آرييل: اصغوا واسمعوا، إن هذا

غناء الديك المتبختر إذ يصيح -

قرار: كو كو كوكو! . .

فرديناند: أين هذه الموسيقى؟ أفي الهواء، أم الأرض؟

انقطعت! لا ريب أنها في خدمة

إله ما في الجزيرة. حين جلست على الساحل

أبكي من جديد هلاك أبي،

زحفت إليّ هذه الموسيقى على الأمواه،

تخفف من غُلَوائها والتياعي

بعذب أنغامها: ومن هناك تبعتها -

بل أنها اجتذبتني. ولكنها راحت. . .

لا، ها هي تبدأ من جديد.

أغنية آرييل:

على عمق خمس قامات وأكثر

أبوك الآن راقد،

من عظامه يصنع المرجان:

هاتان لؤلؤتان كانتا بالأمس عينيه.

وما من شيء فيه يتحوّل

إلاّ وبالبحر الآن تحوّل

إلى شيء ما نفيس وغريب. . .

وحور البحر في كل ساعة

يقرعن ناقوس موته.

قرار: دنغ، دونغ.

آريل: أصغ! إني الآن أسمعهنّ –

يقرعن ناقوس موته.

فرديناند: تذكر الأغنية أبي الغريق.

ما هذا بصوت أنسيّ، لا ولا الأرض

فيها صوت مثله. أسمعه الآن فوقي . . .

بروسبيرو: (وهو يقتاد ميراندا من الكهف): إرفعي ستائر عينيك المهدّبة، وقولي ما

الذي ترين هناك.

ميراندا: ما هذا؟ أروح هائمة؟

رباه، كيف تتلفّت حولها! صدقني يا سيدي

إنها لتحمل شكلاً جميلاً . . . ولكنها مجرّد روح.

بروسبيرو: لا يا بنيّة، إنها تأكل وتنام ولها حواسّ

كالتي لدينا . . . هذا الفتى الذي ترين

كان في السفينة التي تحطمت: ولولا أن فيه شيئاً من وعثاء

الحزن – وهو سوس كلّ جمال (يلمس خدّها) –

لكان لك أن تقولي إنه

شخص وسيم: لقد فقد رفاقه

وهام يبحث عنهم.

ميراندا: (تتقدم، تحت سحر أبيها): لكان لي أن أقول إنه

مخلوق إلهي – لأني ما شاهدت يوماً

شيئاً طبيعياً بهذا النبل.

بروسبيرو: (متوقفاً): أرى أن الأمر يسير
كما تشاء له. . . نفسي. . . أيها الروح، أيها الروح الجميل،
سأعتقك بعد يومين، جزاء لك على هذا.
فرديناند: (إذ تجابهه ميراندا): لا شك أنك الآلهة
التي جعلت هذه الأنغام في خدمتها. أرجو أن تخبريني
إن كنت تقيمين في هذه الجزيرة
وأن تتلطفي فترشديني
كيف ينبغي عليّ أن أتصرف هنا. . . وسؤالي الأول،
وإن يكن آخر ما أنطق، هو - أيتها الأعجوبة -
هل أنت فتاة، أم لا ؟
ميراندا: لست بأعجوبة، سيدي،
بل أنا فتاة دونما ريب.
فرديناند: لغتي؟ يا للسماء!
إنى خير القوم الذين يتكلمون هذه اللغة،
لو كنت فقط حيث يتكلمونها.
بروسبيرو: (متقدماً) خيرهم؟ كيف؟
ماذا يكون من أمرك لو سمعك ملك نابولي؟
فرديناند: ما أنا فيه بالضبط، أنا الذي أدهشني
سماعك تتكلمين عن نابولي. . . إنه يسمعني،
ولأنه يسمعني، أذرف الدمع. . . أنا ملك نابولي،
وبهاتين العينين، اللتين لم تعرفا الجزر منذئذ، رأيت

والدي الملك تتحطم به السفينة .

ميراندا : واحسرتاه !

فرديناند: أي والله ، وأفراد حاشيته كلهم - وما دوق ميلانو

وابنه الجميل إلا اثنان منهم .

بروسبيرو : (لنفسه): لدوق ميلانو

وابنته الأجمل بكثير أن يسيطرا عليك

لو كان الوقت هذا ملائماً . . . عند أول وهلة

تبادلا النظرات . . . أيها الرهيف آرييل

سأعتقك من أجل هذا . . . (بصرامة) كلمة ، سيدي المحترم ،

أخشى أنك أنت نفسك قد أسأت في أمر ما . كلمة .

ميراندا : لماذا يتكلم أبي بهذه الخشونة؟ هذا

هو ثالث رجل رأيته أبدًا - وأول رجل

تنهدت أبداً من أجله . فلتدفع الشفقة بأبي

إلى الميل باتجاهي .

فرديناند: إن كنت عذراء

ولم ينطلق حبك لأحد ، لأجعلنك

ملكة نابولي .

بروسبيرو: مهلاً ، يا سيد . كلمة واحدة أخرى . . .

كلاهما الآن تحت رحمة الآخر ، ولكن هذا الأمر السريع

يجب أن أصعّبه ، لئلا يستخف الجائزة

كسبُها السهل . . . كلمة أخرى ، وآمرك

بالإنتباه إلي: إنك هنا تغتصب

الاسم الذي هو ليس ملكاً لك - وتضع نفسك

في هذه الجزيرة كجاسوس، لكيما تأخذها

مني أنا، سيدها.

فرديناند: لا، قسماً برجولتي.

ميراندا: ما من شرّ يستطيع السكنى في هيكل كهذا.

فإن يكن للنفس الشريرة بيت حسن كهذا،

فإن الأشياء الخيّرة ستكافح للسكنى معها.

بروسبيرو: (آمراً فرديناند): اتبعني!

(لميراندا) لا تدافعي عنه، إنه خائن. (لفرديناند) تعال، سأغل عنقك إلى قدميك،

وستشرب ماء البحر. ولسوف يكون طعامُك

رَخَويّاتِ الجداول الجارية، والجذورَ الذابلة، والقشور

التي كانت تحتضن البلوط. اتبعني.

فرديناند: كلا!

سأقاوم ضيافة كهذه أو أرى

قوة أعظم في عدوي.

(يستلّ سيفه، فيمنعه السحر عن الحركة)

ميراندا: أبتاه،

لا تكن قاسياً جداً في تجربته، لأنه

وديع، وغير مخيف.

بروسبيرو: ما هذا؟

أقدَمي تعلّمني؟ أغمد سيفك يا خائن،

يا من تتظاهر، ولكنك تجبن عن الضرب. ضميرك

ملكه عليك الجرم: تعال من حارستك،

لأني أقدر على نزع سلاحك بهذه العصا،

واسقاطه من يدك. (يقع سيف فرديناند من يده)

ميراندا: (تشد عباءة أبيها): أتوسل إليك يا أبي.

بروسبيرو: ابتعدي. لا تتشبثي بثيابي.

ميراندا: أشفق عليه يا سيدي.

وأنا أكفله.

بروسبيرو: اسكتي. كلمة أخرى واحدة منك

ستجعلني أعنفُك، إن لم أكرهك. ماذا،

أتحامين عن خائن! (تبكي) هس!

تحسبين أن ليس ثمة أشكال أخرى مثله

لأنك لم تري سواه وكاليبان... أيتها البلهاء،

ما هذا إلا كاليبان لو قيس بالآخرين،

وهم قياساً به ملائكة.

ميراندا: عواطفي إذن

جد متواضعة: إني لا أطمح

إلى رؤية رجل أوسم.

بروسبيرو: (لفرديناند): هيا، أطِعْ!

عادت أعصابك إلى طفولتها،
ولم تبقَ فيها أية قوة.
فرديناند: تماماً.
حيويتي مقيّدة كلها، كما في حلم.
فقداني أبي، والخَوَر الذي أستشعره،
وغرق أصدقائي جميعاً، بل وتهديدات هذا الرجل
الذي أخضعني له، كلها خفيفة عليّ
إن أنا أتيح لي خلال سجني أن أرى مرة في اليوم
هذه الفتاة: ولتنطلق الحرية في
أرجاء الأرض الأخرى كلها - وحسبي منطلقاً
سجنٌ كهذا.
بروسبيرو: نجحت!.. (لفرديناند) تعال! (لآريل) أحسنت فعلاً يا جميلي آرييل...
(لفرديناند) اتبعني.
(لآريل) اسمع ما أريد منك أيضاً أن تفعل.
ميراندا: اطمئن،
إن أبي أحسن طبعاً، يا سيدي،
مما يبدو في كلامه. وما بدر منه الآن
ليس من عادته.
بروسبيرو: (لآريل): ستكون طليقاً
كرياح الجبال. ولكن نفّذ بدقة
وتفصيل ما أمرتك به.

آرييل: بالحرف الواحد. (يخرج)

بروسبيرو: (ملتفتاً لفرديناند ثانية): هيا، اتبعني. (لميراندا) لا تدافعي عنه!

(يدخلون الكهف)

هوامش:

(1) السفينة، بانجرافها نحو الشاطيء بفعل العاصفة، يخشى الملاّح ارتطامها بالصخر وتحطمها عليه. وارشاداته البحرية تعني أن يحاول البحارة، بطيّ الأشرعة وإنزال السواري، توجيهها نحو الساحل جانبياً، لا رأسياً.

(2) عند إلقاء القبض على القراصنة، كانت العادة أن يشنقوا عند حافة الجزر، ويمدّ البحر ويجزر عليهم ثلاث مرات قبل أن تنزل جثثهم.

(3) في نسخة «الفوليو» حيث نشرت «العاصفة» لأول مرة، يرد هنا اسم ميراندا كقائلة العبارة اللاحقة. غير أن معظم المحققين يفضلون عزوها إلى بروسبيرو، ولو أننا سنجد في المشهد الثاني من الفصل الثاني أن كاليبان يشير إلى أن ميراندا كانت تعلّمه، وتعليم كاليبان هو فحوى هذه العبارة.

(4) يُفترض في المشاهد أن يتصور أن آرييل، ولو أنه يُرى على المسرح، غير مرئي بالنسبة إلى الأشخاص الآخرين. كان من عادات المسرح الإليزابيثي في مثل هذه الأحوال أن يرتدي الممثل وشاحاً كتب عليه «غير مرئي».

[ ] ما بين المعقوفين من ترجمة الاستاذ ابو العيد دودو مقدّم المسرحية، لأن هذا الجزء ساقط من الطبعة الى اعتمدنا عليها.

الفصل الثاني

المشهد الأول

(فضاء في غابة، في جزء آخر من الجزيرة.

الملك الونزو مضطجع على الأرض الخضراء، ووجهه مدفون بالعشب، وقد وقف حوله غونزالو، أدريان، فرانسيسكو، وآخرون. على طرف منهم سباستيان وانطونيو يتحدثان معاً، ساخرين.)

غونزالو: أرجوك يا سيد أن تنشرح. لديك سبب،
كما لدينا جميعاً، للفرح. لأن نجاتنا
أكثر بكثير من خسارتنا. أما شَجَنُنا القليل
فأمر شائع – كل يوم نرى زوجة ملاح،
وربابنة سفينة ما، ومَنْ في السفينة نفسها،
ولديهم موضوع لمثل هذا الشجن. ولولا المعجزة –
أعني خلاصنا... قلائل بين الملايين
يستطيعون الحديث مثلنا. إذن، سيدي الكريم،
بالحكمة وازن بين حزننا وعزائنا.

الونزو: (دون أن يرفع رأسه): كفى، رجاء.

سباستيان: يتلقّى العزاء كالحساء البارد.

أنطونيو: والزائر العائد لن يكفّ عنه.

سباستيان: أنظر أنه ينصب ساعة قريحته، وبعد قليل ستدق.

غونزالو: سيدي –

سباستيان: واحدة. . . عد.

غونزالو: إذاً ما المرء تأسّى لكل فاجعة تنوبه،

جاء لذي الأسى –

سباستيان: (بصوت عال) دينار[1].

غونزالو: (ملتفتاً إليه): دوار[1] من ألم، أجل. لقد نطقت بأصدق ممّا قصدت.

سباستيان: لقد أخذتها بأحكم مما عَنيت.

غونزالو: (للملك ثانية): ولذلك، يا مولاي –

أنطونيو: الله، ما أسرفه إنفاقاً بلسانه!

الونزو: أرجوك، كفى.

غونزالو: طيّب. انتهيت. ولكن –

سباستيان: لا بد له من كلام.

أنطونيو: فلنراهن، من – هو أم أدريان –

سيصيح أولاً؟

سباستيان: الدّيك العجوز.

أنطونيو: الدّيك الفرخ.

سباستيان: موافق. رهانك؟

أنطونيو: ضحكة!

سباستيان: صار!

أدريان: قد تبدو الجزيرة مهجورة -

أنطونيو: ها، ها، ها!

سباستيان: إذن، قبضت رهانك.

أدريان: لا تصلح للسكنى، وتكاد لا يبلغها إنسان -

سباستيان: ولكن -

أدريان: ولكن -

أنطونيو: كانت ظاهرة جداً.

أدريان: لا بد أن أجواءها لطيفة، رهيفة، خفيفة.

أنطونيو: لطيفة فتاة رهيفة.

سباستيان: نعم، وخفيفة كما تفضل عالمنا الكبير

أدر يان: أنفاس الهواء علينا هنا عذبة زكيّة.

سباستيان: كأنّ له رئتين، متفسختين.

أنطونيو: أو كأنه معطّر بالأسَن.

غونزالو: هنا كل ما هو مفيد للحياة.

أنطونيو: حقا، إلاّ وسائل الحياة.

سباستيان: لا وسائل، أو أقلّها.

غونزالو: ما أينع العشب! ما أنضره! ما أخضره!

أنطونيو: والله الأرض صفراء.

سباستيان: بعينٍ فيها خضراء.

أنطونيو: لا يفوته شيء.

سباستيان: أبداً، يخطىء الحقيقة فقط، كليا.

غونزالو: إنما الأمر النادر الغريب، الذي يكاد لا يصدّق -

سباستيان: نادر وغريب عن حق.

غونزالو: - أن - ثيابنا، بعد أن نُقعت في البحر، بقيت
رغم ذلك على نضارتها ولمعتها، كأنما
هي صُبغت من جديد، لا لُوّثت بالماء المالح.

أنطونيو: لو تسنّى لأحد جيوبه أن يتكلم، لكذبه.

سباستيان: نعم، أو لامتلأ كذباً بقوله.

غونزالو: يخيّل إليّ أن ثيابنا الآن قشيبة كما كانت
ساعة ارتديناها أولاً في أفريقيا، في
زفاف ابنة الملك، الحسناء كلاريبل
على ملك تونس.

سباستيان: زفاف حلو، ما لقينا في عودتنا
منه إلاّ الهناء.

أدريان: لم تحظ تونس يوماً بسيدة مثلها ملكةً عليهم.

غونزالو: منذ عهد الأرملة ديدونه[2].

أنطونيو: أرملة؟ قاتلها الله. من أين جاءت تلك الأرملة؟
الأرملة ديدونه!

سباستيان: كيف لو أنه قال «الأرمل إينياس» أيضاً؟
عجيب، كيف تفهم الكلام!

أدريان: أقلت «الأرملة ديدونه» تجعلني أعيد النظر
في ذلك. فقد كانت ملكة قرطاجة، لا تونس.
غونزالو: تونس اليوم، يا سيدي، كانت قرطاجة.
أدريان: قرطاجة؟
غونزالو: أؤكد لك: قرطاجة.
أنطونيو: كلمته أقوى من القيثارة العجائبية.
سباستيان: لقد أنهض الأسوار، والمنازل أيضاً.(3)
أنطونيو: أي أمر مستحيل سيجعله الآن سهلاً؟
سباستيان: أظن أنه سيحمل هذه الجزيرة في جيبه ويأخذها
إلى البيت ليعطيها ابنه عوضاً عن تفاحة.
أنطونيو: ويزرع بذورها في البحر ويستنبت جزراً أخرى.
غونزالو: نعم.
أنطونيو: آ، أخيراً...
غونزالو: سيدي، كنا نقول إن ثيابنا تبدو الآن
قشيبة كما كانت حين كنا في تونس،
في زفاف ابنتكم، التي هي الآن ملكة.
أنطونيو: وأعزّ من أتى هناك.
سباستيان: سوى، أرجوك، الأرملة ديدونة.
أنطونيو: آه يا ديدونه، يا أرملة يا ديدونه!
غونزالو: أليس معطفي يا سيدي قشيباً كما كان
أول يوم لبسته؟ أقصد، نوعاً ما...

أنطونيو: أجاد صيدها، «نوعاً ما» تلك.

غونزالو: عندما لبسته في زفاف ابنتكم

الونزو: (رافعاً رأسه، وجالساً): إنك لتقحم هذه الكلمات في أذني،

ضدّ رغبتي... ليتني لم أزوّج قط

ابنتي هناك. لأننا بعودتنا من هناك

فقدت ابني، كما فقدتها هي أيضاً، في تقديري.

فلبعدها القصيّ عن إيطاليا،

لن أراها ثانية أبداً. آه يا وريثي

في نابولي وميلانو، أيّ سمك غريب

قد جعلك طعاماً له؟

فرانسيسكو: ربما كان حياً، يا مولاي.

رأيته يضرب الأمواج تحته،

ويركب غواربها... وطأ الماء،

ملقياً عنه بعداوته، وبصدره تلقىّ

عالي العوارم التي تقابله: وأبقى رأسه الجريء

فوق الأمواج المقتتلة، وبذراعيه السليمين

راح يضرب بقوة، مجذّفاً نفسه

إلى الشاطىء... الذي طأطأ فوق قاعدته المتآكلة بالموج،

كأنه ينحني لإنقاذه. لا أشك

في أنه بلغ البرّ حيّاً.

الونزو: لا، لا، لقد راح.

سباستيان: (بصوت عال): مولاي، إنك السبب في هذه الخسارة العظيمة،
لأنك رفضت أن تبارك قارتنا الأوروبية بابنتك،
وآثرت أن تسلّم قيادها لأفريقي -
حيث ستبقى، على الأقل، منفية عن عينك التي
تجد الآن داعياً لإرواء حزنها بالدمع.
الونزو: أرجوك، كفى.
سباستيان: كلنا ركعنا أمامك، وتوسلنا إليك
ألاّ تفعل ذلك: والحسناء المسكينة نفسها،
وازنت بين الإعراض والطاعة،
أي الكفتين ينبغي لها أن ترجّح... أخشى أننا
فقدنا ابنك، إلى الأبد. وفي ميلانو ونابولي
من الأرامل، بسبب هذا الأمر،
أكثر مما لدينا من رجال يعزّونهن.
إن الخطأ خطؤك.
الونزو: وأعزّ من خسرته خسارتي.
غونزالو: مولاي سباستيان،
الصدق الذي تقوله يفتقر إلى الكياسة
وإلى الوقت الملائم لقوله. إنك تفرك القرصة
حين ينبغي أن تأتيها بالمرهم.
سباستيان: وليكن.
أنطونيو: كأبرع جرّاح.

غونزالو: مولاي الكريم، طقسنا كلنا يكفهّر
عندما تغيم نفسك.
سباستيان: يزبئر؟
أنطونيو: يزبئر جداً.
غونزالو: لو مُنِحتُ مزارعةَ هذه الجزيرة يا مولاي
أنطونيو: لزرعها ببذر العلّيق.
سباستيان: أو الحمّاض، أو الخبازة.
غونزالو: وكنتُ ملكاً عليها، ما الذي لكنت أفعله؟
سباستيان: لبقي بعيداً عن السكر، لانعدام الخمر
غونزالو: لكنت في الدولة الفاضلة أصنع
كل شيء بضدّه: فلا أسمح
بأي ضرب من تجارة، أو أي إسم لقاضٍ،
لن يعرف أحد الكتابة، أو الشراء، أو الفقر،
أو استخدام الغير، لا ولا العقود، أو الميراث،
أو حدود الأرض، أو الحراثة، أو الكروم.
ولا استخدام المعدن، أو الحبوب، أو الخمر، أو الزيت:
ليس ثمة من حرفة لأحد، والكل عاطل بلا عمل:
والنساء كذلك، ولكنهن بريئات عفيفات.
ولا سيادة –
سباستيان: ولكنه يريد أن يكون ملكاً عليها.
أنطونيو: ختام دولته الفاضلة ينسى إستهلالها.

غونزالو: وكل شيء في الطبيعة ينتج
دونما عرق أو جهد. لن يكون عندي
خيانة، أو جريمة، أو سيف، أو رمح، أو سكين،
أو بندقية، أو الحاجة إلى أية آلة.
إنما الطبيعة هي التي تولّد،
من تلقائها، الوفر والسخاء والكثرة،
لإطعام قومي الأبرياء.
سباستيان: الا زواج بين رعاياه؟
أنطونيو: أبداً، يا رجل، الكل عاطل، البغايا والأوغاد...
غونزالو: ولأحكمَن حكم الكمال يا سيدي،
فأبزّ العصر الذهبي، و-
سباستيان: (بصوت عال): رعى الله جلالته!
أنطونيو: عاش غونزالو!
غونزالو: أتسمعني يا سيدي؟
الونزو: أرجوك، كفى. انك لا تقول شيئاً لي.
غونزالو: إني أصدّق جلالتكم، وما قلت ما قلت إلا لأهيىء
فرصة لهذين السيدين، اللذين يتمتعان
برئات حسّاسة خفيفة، فيضحكان،
دائماً على لا شيء.
أنطونيو: عليك أنت كنا نضحك.
غونزالو: وأنا، في هذا الضرب من التهريج،

لا شيء لكما. فاستمرا، واضحكا على لا شيء.

أنطونيو: يا للضربة الهائلة!

سباستيان: لولا أنها وقعت على وجهها.

غونزالو: إنكما سيّدان من معدن رائع: بوسعكما أن ترفعا

القمر من فَلَكه - لو أنه يبقى فيه

لخمسة أسابيع دون أن يتغيّرا

(يظهر آريل في الأعلى، وهو يعزف موسيقى مهيبة)

سباستيان: نفعل ذلك، ثم نذهب لصيد الخفافيش في الظلام.

(غونزالو يشيح بوجهه عنهما).

أنطونيو: سيدي العزيز، لا تغضب.

غونزالو: لا، وحياتك. أنا لا أجازف بحكمي على الأمور بهذا الضعف...

(يضطجع) هلاّ أضحكتماني حتى أنام،

لأنني مثقل بالنعاس.

أنطونيو: إذهب ونم، واسمعنا.

(ينامون كلهم، إلا الونزو، وسباستيان، وأنطونيو)

الونزو: ماذا، أبهذه السرعة ناموا جميعاً؟ ليت عينيّ

إذ تَنْغلقان، تُغلقان معهما على أفكاري...

إني أجد أنهما تميلان إلى فعل ذلك.

سباستيان: أرجو يا سيدي

ألاّ تمنع عنهما ذلك الميل الثقيل.

فالنوم قلّما يزور الحزن. فإن زاره

كان مواسياً.

أنطونيو: نحن كلانا، يا مولاي،

سنحرس شخصكم، وفيما تنالون راحتكم،

ونسهر على سلامتكم.

الونزو: شكراً... نعاس ثقيل عجيب.

(ينام الونزو، ويختفي آرييل)

سباستيان: ما أغرب النعاس الذي سيطر عليهم!

أنطونيو: إنها مزيّة المناخ.

سباستيان: لماذا إذن لا يغمض أجفاننا؟ لا أجد

إنني أريد النوم.

أنطونيو: ولا أنا. حيويتي كلها خفة.

سقطوا جميعاً معاً، كأنهم على اتفاق.

وقعوا - كما بصاعقة... (يهمس، مشيراً إلى النائمين) ماذا لو...

يا عزيزي سباستيان. آه، ماذا لو؟ كفى!

ولكن، يخيّل إليّ أنني أرى في وجهك

ما ينبغي لك أن تكون. الفرصة تحثّك،

ومخيّلتي الجامحة ترى تاجاً

يحطّ على رأسك.

سباستيان: ماذا! أيقظان أنت؟

أنطونيو: ألا تسمعني أتكلم؟

سباستيان: أسمعك، إنها ولا ريب

لغة النوم، وأنت تتكلم
عن نوم فيك. ما الذي قلته؟
راحة غريبة هذه، أن ينام المرء
وعيناه مفتوحتان على سعتهما، يقف، يتكلم، يتحرك،
ولكنه في نوم عميق.
أنطونيو: سباستيان النبيل،
إنك تدع حظك ينام، بل يموت، تُغمض
وأنت يقظان.
سباستيان: بل أنت تغطّ بوضوح،
وفي غطيطك معنى.
أنطونيو: إني أكثر جدية مما ألفت، وأنت عليك
أن تكون كذلك أيضاً، إذا أصغيت إليّ. و إذا فعلت،
فإنك ستضطرب.
سباستيان: حسناً: إنني الماء الراكد بين المدّ والجزر.
أنطونيو: سأعلّمك كيف تتحرك.
سباستيان: علّمني: فالجزر
هو ما يلقّنني الخمول الوراثي.
أنطونيو: آه، ليتك تعلم كيف أنك تهوى الغاية
وأنت تسخر منها هكذا. كيف أنك، كلّما عرّيتها،
زدت في إلباسها. أن الذين في الجَزْر،
إنما في الأغلب يبلغون القرار

من جرّاء خوفهم، أو خمولهم .
سباستيان: استمر، أرجوك .
فالزمّ في عينيك وخدّك يعلن
أمراً خطيراً عنك، وولادة
مخاضها ولا ريب عسير عليك .
أنطونيو: (مشيراً إلى غونزالو): هاك، سيدي .
لئن يكن هذا النبيل الضعيف الذاكرة، هذا
الذي ستكون ذكراه أيضاً ضعيفة
حين يوارى التراب، لئن يكن هنا قد كاد يقنعنا –
فهو روح الإقناع بالذات، لولا
أن الإقناع حرفته – بأن ابن الملك حي يرزق،
فإن من المستحيل أن يكون غير غريق،
كما أن من المستحيل أن هذا النائم هنا يسبح .
سباستيان: لا أمل لي
في أنه غير غريق .
أنطونيو: ومن الـ «لا أمل» هذه
ما أعظم أملك! فاللاأمل، على هذا النحو،
هو نحو آخر لأمل رفيع، بحيث أن
الطموح نفسه لا يقوى على إرسال نظرة إلى ما هو أبعد
دون أن يرفع شعلة إكتشاف هناك . . . أتسلّم معي
أن فرديناند قد غرق؟

سباستيان: مات.

أنطونيو: إذن، قل لي،

من الوارث التالي لعرش نابولي؟

سباستيان: كلاريبل.

أنطونيو: هذه التي هي ملكة تونس، هذه التي تقيم

على مسافة عشرة فراسخ أبعد مما يستطيع أن يرحل

إنسان في حياته، هذه التي من نابولي

لن تبلغها رسالة، إلا إذا كانت الشمس هي البريد.

فالرجل الذي في القمر بطيء السفر - ريثما الذقون الوليدة

تخشن وتريد الحلاقة. هذه التي، بسببها،

التهمنا البحر جميعاً، وإن لفظ البعض منا ثانية،

وفي هذا المصير إشارة لنا بأن نقوم بفعل

كان ما قد مضى توطئةً له، وما سيأتي

إنما هو رهن بمشيئتك ومشيئتي.

سباستيان: ما هذا الكلام؟ ماذا تقول؟

صحيح أن ابنة أخي هي ملكة تونس،

وأنها لذلك وريثة عرش نابولي - وبين المكانين

شيء من مسافة.

أنطونيو: مسافة يبدو أن كل بوصة فيها

تصيح: «اني لكلاريبل تلك

أن تقيسنا عودة إلى نابولي؟ إبقَيْ في تونس،

وليستيقظ سباستيان!» أترى، لكأن الموت
هو الذي قد أمسك بهم. ولن يكونوا أسوأ
مما هم عليه الآن. هناك من بوسعه أن يحكم نابولي،
وهناك أيضا من هو نائم. ونبلاء بوسعهم أن يهذروا
باستفاضة وعن غير ما ضرورة
كغونزالو هذا. أنا بالذات بوسعي أن أصبح
غراباً، بنعيق كنعيقه. آه لو أنك تحمل
الخواطر التي أحملها! ما أروع هذا النوم
خدمة لتقدّمك! أتفهمني؟
سباستيان: أظن أنني أفهمك.
أنطونيو: وكيف تصنع لك قناعتُك
ما أنت محظوظ به؟
سباستيان: أذكر
إنك اغتصبت مكان أخيك بروسبيرو.
أنطونيو: صدقت.
وانظر ما أحسن ما تستقر عليّ أرديتي،
فتلائمني أكثر من ذي قبل بكثير. كان خدّام أخي
أيامئذ أقراني، أما الآن فهم رجالي.
سباستيان: ولكن، ضميرك؟
أنطونيو: أجل، سيدي، أين هو؟ لو كان قرحة في قدمي،
لألجأني إلى خُفّي. غير أني لا أشعر

بهذا الاله في صدري. لو حال عشرون ضميراً
دوني ودون ميلانو، لكانت كالسكّر
تذوب قبل أن تزعجني . . . هنا يضطجع أخوك،
وهو لا يفضل الأرض التي يضطجع عليها.
لو كان ما يبدو أنه الآن. (يخفض صوته) أي ميتا –
وباستطاعتي بهذه الشفرة الطيّعة (مشيراً إلى خنجره) –
بثلاث بوصات منها –
أن ألقيه في فراشه إلى الأبد . . . بينما أنت، فاعلاً كذلك،
ترسل إلي نومة أبدية هذه اللقمة العتيقة
(مشيراً إلى غونزالو)، صاحبنا أبا الحكمة والرويّة هذا،
فلا ينتقد نهجَنا. أما البقية
فسيلتقطون العبرة، كما تلحس القطة الحليب –
ويديرون الساعة كما نريد لأي أمر
نقول أن لحظته مؤاتية.
سباستيان: قضيتك، أيها الصديق العزيز،
ستكون سابقتي. فكما حصلت على ميلانو
سأحصل على نابولي . . . استلَّ سيفك. ضربةٌ واحدة
ستعفيك من الجزية التي تدفعها،
وأنا الملك سأحبك.
أنطونيو: فلنستلّ معا.

(يستل كل سيفه)

وعندما أرفع يدي، أرفع يدك أنت أيضاً

واهوِ بها على غونزالو.

سباستيان: آ، ولكن - كلمة.

(ينزويان ويتحدثان. موسيقى. يظهر آرييل مرة أخرى، وهما لا يريانه وينحني فوق غونزالو).

آرييل: أستاذي، بفنه، علم مسبقاً بالخطر الذي

أنت فيه، وأنت صديقه، فأرسلني

لإبقائك حيا، وإلا قُضي على خطته.

(يغني في أذن غونزالو)

إذ تغط في نومك أنت هنا

يستغلّ الوقت تآمرٌ

عيناه الآن مفتوحتان،

فإن كانت الحياة تهمّك

ألقِ بالنوم عنك، واحذر!

استيقظ، ألا استيقظ!

أنطونيو: إذن فلنضرب فجأة كلانا.

غونزالو: (مستيقظاً): فلتحفظ الملكَ الملائكةُ الكرام!

كيف أنت الآن؟ هيا، استيقظ! (هازّاً الونزو، فيستيقظ)

الونزو: (لأنطونيو وسباستيان): لماذا استلّ كلاكما سيفه؟

فيم هذا الشحوب منكما؟ ما الأمر؟

سباستيان: إذ وقفنا هنا نحرس عليك راحتك،

قبيل لحظات، سمعنا انفجار جئير أجوف
كخوار الثيران، بل كزئير الأسود - ألم يوقظك أنت؟
لقد أصاب أذني كشيء رهيب.
الونزو: لم أسمع شيئاً.
أنطونيو: كان صوتاً ترتعب له أذن الوحش،
ويزلزل الأرض... أجزم أنه كان زئيرَ
قطيعٍ كامل من الأسود.
الونزو: هل سمعته، يا غونزالو؟
غونزالو: بشرفي، يا مولاي، سمعت همهمة -
همهمة غريبة حقاً - أيقظتني.
هززتك، يا مولاي، وصحت. ولما فتحت عينيّ
وجدتهما مشهرين السلاح... كان ثمة صوت،
دونما شك. فخير لنا أن نحترس
أو نغادر هذا المكان ولنشهر سلاحنا.
الونزو: سر بنا من هذه الأرض، ولنبحث من جديد
عن ابني المسكين.
غونزالو: حفظته السماء من هذه الوحوش،
لأنني موقن أنه في الجزيرة.
الونزو: سر بنا.
آريل: (إذ تتحرك الجماعة): سأخبر سيدي بروسبيرو بما فعلت.
وأذهب يا ملك سالماً للبحث عن ولدك!

المشهد الثاني

(هضبة قفراء. الطقس يسوء. يدخل كاليبان حاملاً
حطباً. يسمع صوت الرعد.)

كاليبان: ألا حلّ ببروسبيرو كل ما تمتصه الشمس
من أوبئة من المستنقعات ورواكد المياه، وأنزل
داءً في كل أنملة من جسده. (برق) أرواحه تسمعني،
ولكن لا بد لي من اللعن والشتم. (يلقي بحمله منه) والاّ قرّصتني
وأرعبتني برؤى العفاريت، وقذفت في الطين بي،
ولما اقتادتني كشعلة نار في الظلام
لتضللني، لو لم يأمرها بذلك.
يطلقها عليّ لأتفه سبب -
آنا كالقرود، تكشّر لي وتبربر
ثم تعضني، وآنا كالقنافذ التي
تنطنط في دربي عند قدمي الحافيتين، وتسدّد
مناخسها حيثما تقع قدماي، وآنا
تلتفّ عليّ الأفاعي، وبألسنتها المشقوقة

تفحّ بي حتى الجنون.

(يدخل ترينكولو)

أنظر، الآن، أنظر!

هذه إحدى أرواحه قادمة - لتعذبني

لتباطئي في جلب الحطب. سأقع على وجهي

لعلها لا تنتبه إليّ.

(يقع على وجهه بحيث يخفيه ثوبه)

ترينكولو: (متعثراً في سيره، ناظراً إلى السماء): هنا لا دغل ولا شجيرة لاتقاء أي طقس أبداً. وهذه زوبعة أخرى قد بدأت، أسمعها تغني في الريح وتلك السحابة السوداء، تلك السحابة الضخمة، أشبه بسفينة خمور شنيعة توشك أن تصبّ خمورها. فإذا ارعدت، كما ارعدت من قبل، لا أعرف أين أخبىء رأسي. تلك السحابة لن تنهمر إلا كالجرادل. (يعثر بكاليبان) ما هذا هنا، إنس أم سمك؟ ميت أم حي؟ (يشمشم) سمكة، رائحته كالسمكة. رائحة سمكية قديمة جداً... نوع من الشبوط العتيق. سمكة غريبة... لو كنت الآن في انكلترا، كما كنت يوماً فيما مضى، ورسمت هذه السمكة فقط[4]، لما بقي أبله في عطلته هناك إلا ودفع قطعة فضية. هناك يُعتبر هذا الوحش رجلاً: أي وحش غريب هناك يعتبر رجلاً. إنهم لن يتكرموا بدرهم واحد لانقاذ متسول أعرج، ولكنهم ينفقون عشرة دراهم لرؤية هندي ميت. (يرفع الثوب عن كاليبان) له ساقان كالإنسان، وزعانفه كالذراعين. (يتحسس جسمه بحذر) حارّ، والله! (يتراجع) إني الآن أطلق رأيي، ولن أتمسك به بعد. هذا ليس بسمكة، بل أحد سكان

الجزيرة، ضَرَبَتْه قبل قليل صاعقة. (رعد) أف! العاصفة تهب من جديد. ليس لي إلاّ أن أزحف تحت ثوبه. (يفعل ذلك، من عند الذيل) ما من ملجأ آخر حواليّ هنا. إن البؤس ليعرّف الإنسان بالعجيب من رفاق الفراش. (يلفّ الطرف الأدنى من الثوب حوله) سأتلفلف هنا حتى تنقضي آخر هبة من العاصفة.

(يدخل ستيفانو مغنياً، وفي يده قنينة)

ستيفانو: في البحر إني لن أسافر،
سأموت في البر هنا، –
أهذا النغم المقيتُ يغنيه المرء في جنازة؟ يا الله، هنا عزائي.

(يشرب من القنينة؛ يغني)

أنا والربان، والملاّح، والبحّار،
أحببنا مول، ومغ، ومارجري، وماريان،
ولم يهتم واحد منا بـ«كيت»،
لأن في لسانها حدّة،
تصيح بالبحّار منا
«ليكرفْك الموتُ كرفاً»!
لم ترقها نكهة القار والقطران
ولكنّ للخياط أن يحك فيها ما يحكّ.
إلى البحر إذن، يا رجال.
ودعوها، ليكرفها الموت كرفاً!
هذا نغم مقيت أيضا. ولكن هنا عزائي. (يشرب)

كاليبان: لا تعذبني، آه!

ستيفانو: ما الأمر؟(متلفتا) ألدينا شياطين هنا؟ أتخدعوننا بوحوش وهنود، ها؟ أنا ما نجوت من الغرق لأخاف الآن سيقانك الأربع. فقد جاء في الأمثال: وما سار إنسان على أربع يستطيع أن يقهره. ولن يكون الأمر إلاّ هكذا معي، ما دام ستيفانو يتنفس من منخريه.

كاليبان: الروح تعذبني. . . آه!

ستيفانو: هذا وحش من وحوش الجزيرة، بأربع سيقان. وله، فيما يبدو لي، لسان... من أين له، بحق الشيطان، أن يتعلّم لغتنا؟سأسعفه قليلاً، ولو جزاء على ذلك. وإذا استطعت أن أسترده، وابقيه أليفاً، وابلغ به نابولي، فإنه هدية لأي إمبراطور وطأ يوماً جلد البقر.

كاليبان: (كاشفاً عن وجهه): لا تعذبني أرجوك. سأحضر حطبي إلى البيت أسرع من ذي قبل.

ستيفانو: أنه في نوبته الآن، وكلامه ليس من أحكم ما يقال. سأذيقه من قنينتي. فإذا لم يكن قد شرب خمراً قط من قبل، فإنها ستساعد في القضاء على نوبته. وإذا استطعت أنا أسترده، وأبقيه أليفا، لن آخذ الكثير لقاءه. ولسوف يدفع لقاءه من يأخذ، ويدفع كثيراً. (يمسكه من الكتفين)

كاليبان: ما زلتَ لا تؤذيني إلاّ قليلاً حتى الآن،
ولكنك ستؤذيني قريباً، أعرف ذلك من رجفتك،
وبروسبيرو يعمل الآن فيك سحره.

ستيفانو: هيا، هيا(يدفع القنينة في وجهه)، افتح فمك، هنا ما سيعطيك نطقاً، يا هرّ. افتح فمك، وهذا سيهزّ عنك هزتك، وحياتك، ويهزها قوياً.

(كاليان يشرب). ليس بوسعك أن تتبيّن من صديقك. إفتح شدقيك ثانية.

ترينكولو: إني أعرف ذلك الصوت. لا بد أنه -ولكنه غرق. وما هذه إلاّ شياطين. ربنا احمني!

ستيفانو: أربع سيقان وصوتان: وحش رهيف حقاً. صوته الأمامي يمتدح صديقه، وصوته الخلفي ينطق بالبذاءة والذمّ. إذا تمكن كل ما في قنينتي من خمر من استعادته، فسأسعف قشعريرته. هنا. . (كاليان يشرب) آمين. سأصب بعض الخمر في فمك الآخر.

ترينكولو: ستيفانو!

ستيفانو: أيناديني فمك الثاني؟ رحمتك يا رب! هذا شيطان، لا وحش. سأتركه أنا لا أملك ملعقة طويلة[5].

ترينكولو: ستيفانو! إن كنت أنت ستيفانو، المسني، وتحدث إليّ. لأنني أنا ترينكولو. لا تخف – صديقك – صديقك الطيب ترينكولو.

ستيفانو: إن كنت أنت ترينكولو... (يعود) اطلع! (يمسك بكاحله) سأسحبك من ساقيك الصُغرَيين. (يسحب، ثم يتوقف) إن كان لترينكولو ساقان، فهاتان هما. (يرى وجهه) إنك ترينكولو بالذات، حقاً. ما الذي جرى حتى أصبحت غائط هذا المسخ القمري[6]؟ أمن شأنه أن يغوط أمثال ترينكولو؟

ترينكولو: (وهو ينهض مزعزعاً): حسبته مقتولاً، مضروباً بالصاعقة. ولكن ألم تغرق أنت، يا ستيفانو؟ أرجو الآن انك لم تغرق. هل استنفدت الزوبعة نفسها؟ لقد اختبأت تحت ثوب المسخ القمري، لخوفي من الزوبعة. (يتحسسه بيلامة) وأنت حي ترزق ياستيفانو ؟ آه يا ستيفانو، لقد نجا اثنان من

نابولي!

ستيفانو: أرجوك، لا تقلبني بين يديك فمعدتي مضطربة.

كاليبان: هذان مخلوقان طيبان، إذا لم يكونا من الأرواح.

ذلك إله جميل، ويحمل شراباً سماوياً:

سأركع له. (يركع)

ستيفانو: كيف نجوت أنت؟ وكيف جئت هنا؟ أقسم بهذه القنينة وقل كيف جئت هنا؟ . . . أنا نجوت على برميل خمر ألقي به البحارة إلى المياه - وحق هذه القنينة التي صنعتها من جذع شجرة بيدي أنا، بعد أن انقذفت إلى الشاطىء.

كاليبان: (يتقدم): سأقسم بتلك القنينة على أنني أكون تابعاً وفياً لك، لأن شرابها ليس من هذه الأرض.

ستيفانو: (مقدماً القنينة لترينكولو): هاك. أقسم وقل لي كيف نجوت.

ترينكولو: سبحت إلى الشاطىء يا رجل، كالبطة. والله انني أستطيع السباحة كالبطة.

ستيفانو: هاك، قبّل الكتاب. . . (ترينكولو يشرب) لئن كنت تستطيع السباحة كالبطة، فقد خلقت كالأوزة. (يختطف القنينة منه).

ترينكولو: ستيفانو، هل لديك المزيد من هذا؟

ستيفانو: البرميل بكامله، يا رجل. وغرفة خموري في صخرة على الساحل، حيث خبأت نبيذي. (يرى كاليبان) ها، يا مسخ! كيف قشعريرتك الآن؟

كاليبان: ألم تهبط من السماء؟

ستيفانو: من القمر، وحياتك. (يجرع آخر ما في القنينة) كنت الرجل الذي في القمر[7]، في سالف الأوان.

كاليبان : (منحنياً بشدة): لقد رأيتك فيه، وأنا أعبدك .

سيدتي أرتني إياك أنت ، وكلبك ، وشجيرتك .

ستيفانو : تعال ، أقسم على ذلك . قبّل الكتاب . . .

سأزوده قريباً بمحتوى جديد . . . أقسم .

ترينكولو : وحق هذا الضياء الطيب ، ما هذا إلا وحش سخيف . أنا خفته؟ وحش ضعيف جداً . . . الرجل الذي في القمر! وحش مسكين ساذج يصدّق كل ما يسمعه! (يمتص كاليبان القنينة الفارغة) . حسناً تمتّص يا وحش ، أي والله .

كاليبان : سأريك كل قطعة خصيبة في الجزيرة .

وسأقبل قدمك . أرجوك ، كن إلهي .

ترينكولو : وحق هذا الضياء ، وحش سكير ، وغدار . عندما ينام اله ، سيسرق قنينته .

كاليبان : سأقبّل قدمك ، وأقسم أن أكون تابعاً لك .

ستيفانو : هلمّ إذن . إركع ، وأقسم .

(يركع كاليبان ، مدبراً لترينكولو)

ترينكولو : سأموت ضحكاً على هذا الوحش ورأسه رأس الجرو . . هذا الوحش القبيح .

ويعنّ لي أن أضربه –

ستيفانو : هلمّ ، قبّـل! (كاليبان يقبّل قدمه)

ترينكولو : – لولا أن الوحش المسكين مخمور . . . وحش كريه!

كاليبان : سأريك أفضل الينابيع ، واقطف لك الثمار البرية .

سأصيد لك السمك ، واحضر لك ما يكفيك من حطب .

إلاّ لفّ الطاعون ذاك الطاغية الذي أخدمه .
لن أحمل له حطباً بعد اليوم ، بل اتبعك أنت ،
أيها الرجل العجيب .
تيرنكولو: وحش مضحك ، حقاً ، يجعل أعجوبة من سكير مسكين!
كاليبان: أرجوك ، دعني آخذك إلى حيث التفاح يونع .
وبأظفاري الطويلة سأنبش لك عن جوز الخنزير
وأريك عش الزرياب ، وأعلمك كيف
تنصب فخاً للقرد السريع . سآخذ بك
إلى عناقيد البندق وأحضر لك أحياناً
نوارس فتية من الصخر. أتذهب معي؟
ستيفانو: أرجوك الآن ، سر بنا ، وكف عن الكلام . . . ياترينكولو، بما أن الملك ورفاقنا الآخرين قد غرقوا جميعا ، فلسوف نرث هذا المكان . (لكاليبان) هاك ، احمل قنينتي . (آخذاً بذراع ترينكولو) رفيقي ترينكولو، سنملؤها ثانية عما قريب .
كاليبان : (يغني ، وهو سكران) : وداعاً ، وداعاً ، يا سيدي . . .
ترينكولو: سكر الوحش! عاط الوحش!
كاليبان : (مغنياً) :
بعد اليوم لن أصيد
الأسماك بالسدود ،
لن أحضر الحطب
تحت الطلب

للوفود .

لن أجلف المواعين

لن أغسل الصحون –

بان، بان، كاكاليبان

سيده اليوم جديد

فابحث عن خادم جديد .

الحرية يا هو! الحرية يا هو، الحرية، الحرية يا هو!

ستيفانو: سر بنا، أيها الوحش الجميل! (يخرجون مترنحين)

هوامش :

(1) التورية في الأصل بين كلمتي (dollar) (دولار) وdolor (حزن)، لتشابه النطق بينهما .

(2) كانت ديدونة ملكة قرطاجة – تونس اليوم – وقد آوت إينياس وجماعته في طريقهم من طروادة إلى إيطاليا . كان زوجها أكارباس قد مات، وأقسمت أن تكون وفية له طيلة عمرها . غير أنها أحبت إينياس الذي أصرّ على أن يهجرها للذهاب إلى إيطاليا . وساعة رحيله في المركب أحرقت نفسها في محرقـة كبيرة على الشاطىء .

(3) كان لدي أمفيون قيثارة عزف عليها، فنهضت على أنغامها أسوار مدينة طيبة، كما يروي أوفيد في كتاب «التحولات»، ولكن غونزالو، بكلمة منه، أنهض مدينة كاملة (قرطاجة)، لا أسوارها فقط .

(4) أي يرسم السمكة على لافتة إعلاناً عن وجود مخلوق غريب ليتفرّج الناس عليه .

(5) هناك مثل إنكليزي يقول: «على الذي يتعشى مع الشيطان أن يملك ملعقة طويلة» .

(6) الكلمة المركبة في الأصل تعني «العجل القمري»، ويقصد بها المسخ الذي يسببه أحياناً اثر القمر، وهو بدر، في بعض المخلوقات .

(7) من أغاني الأطفال القديمة، أغنية تقول: «الرجل الذي في القمر، هبط قبل أوانه» .

الفصل الثالث

المشهد الأول

(أمام كهف بروسبيرو. يدخل فرديناند حاملاً حطبة.)

فرديناند: ثمة ألعاب موجعة، ولكن متعة الجهد
فيها، توازنها. ثمة ضروب من حقارة
يتحملها المرء بنبل. ومعظم أمور الفقر
تشير إلى نهايات غنية. واجبي المهين هذا
لكان ثقيلاً عليّ بقدر ما هو مقيت، ولكن
السيدة التي أخدمها تحيي الموات
وتجعل من مشاقيّ، لذائذي... آه، ان فيها
من الرقّة عشرة أضعاف قسوة والدها.
وهو مصنوع كله من خشونة. (يجلس) عليّ أن أنقل
بضعة آلاف من هذه الأحطاب، وأكدّسها،
مهدداً بأليم العقاب إن أنا لم أفعل. وسيدتي الحلوة
تبكي كلما رأتني أشتغل، وتقول: حقارة كهذه
لم يكن لها قط منفذ كهذا.. (ينهض ليستانف العمل) إني أنسى.
غير أن خواطري الحلوة هذه تجدد بي جهودي:

فأكثر الشغل أقله، حين أهوى[1]

(تأتي ميراندا من الكهف، ويقف بروسبيرو بالباب خلفها، غير مرئي).

ميراندا: يا حسرتي! أرجوك، الآن.

ألا تجهد نفسك هكذا. يا ليت الصاعقة

أحرقت هذه الأحطاب التي أُمِرْت بتكديسها!

أرجوك، ضعها عنك، واسترح. عندما تحترق هذه،

فإنها لسوف تبكي لأنها أتعبتك . . . أبي

مكبّ على دراسته. أرجوك الآن، أرح نفسك.

أنت في مأمن منه لهذه الساعات الثلاث.

فرديناند: يا أعز السيدات،

ستغيب الشمس قبل أن أنجز

ما عليّ أن أجهد في عمله.

ميراندا: إذا جلست،

فإنني سأحمل الأحطاب عنك. أرجوك ناولني تلك،

لأحملها إلى الكومة.

فرديناند: أبداً، أيتها المخلوقة النفيسة –

إني لأوثر أن أقطّع عضلاتي، وأكسر ظهري،

على أن تتحملي مهانة كهذه،

وأنا جالس عاطلاً بقربك.

ميراندا: أنها تليق بي

بقدر ما تليق بك. وأستطيع فعلها

بسهولة أكبر بكثير. لأن إرادتي طيّعة لها،
و إرادتك ضدها.
بروسبيرو: يا دودةً مسكينة، لقد عُديتِ،
وهذه الزيارة هي الدليل.
ميراندا: تبدو متعباً.
فرديناند: أبداً، يا سيدتي النبيلة، إذا رأيتك قربي ليلاً،
غدا الصباح الطريّ معي. أتوسل إليك -
لكيما أذكرك في صلواتي -
ما اسمك؟
ميراندا: ميراندا. أواه يا أبي!
لقد خالفت أمرك!
فرديناند: ميراندا المدهشة[2]،
بل من الإدهاش قمته وغايته، إنك تساوين
أنفس ما في الدنيا كلها... ما أكثر السيدات اللواتي
عاينتهن بأعمق التقدير، وما أكثر ما
استعبد أذني التواقة الشغول
تناغُم ألسنتهن: ولمزايا متباينة
أحببت نساء متباينات - ولكن مهما
أُنعمتْ إحداهن روحاً، وجدتُ فيها نقيصة
تقاتل أنبل ما فيها من حسن،
وتتغلب عليه... أما أنت، آه أنت،

يا كمالا لا يضاهى، فقد خُلقت
من أروع ما في كل مخلوق.
ميراندا: لا أعرف
واحدة من جنسي. ولا أذكر وجه امرأة
سوى وجهي أراه في مرآتي. وما رأيت أحداً
قد أسميه رجلاً، سواك أنت، يا صديقي الطيب،
ووالدي العزيز. كيف تكون التقاطيع في الخارج،
لا علم لي ولا خبرة. ولكن قسماً بعفتي (متلعثمة) -
وهي الجوهرة في صداقي - لن أرغب في
رفيق في الدنيا سواك.
وما للمخيّلة أن تصنع شكلاً،
ألآك، يماثلك. ولكنني أثرثر
ثرثرة لا تخلو من هوج، وأنسى بذلك
أوامر أبي.
فرديناند: أنا، في حالي هذه،
يا ميراندا، أمير، بل أحسب أنني ملك
(وأتمنى لو لم أكن!) وما كنت أتحمل
عبودية الأحطاب هذه أكثر مما أتحمل
ذبابة تحطّ على فمي... أصغي إلى روحي تتكلم...
ما كادت عيناي تقعان عليك حتى
طار قلبي لخدمتك، وأقام هناك

يجعلني عبداً لها، ومن أجلك
أظل هذا الحطّاب الصبور.
ميراندا: أتحبني؟
فرديناند: يا سماء، يا أرض، اشهدي على هذا الصوت،
وتوّجي ما أعترف به بنتيجة كريمة
إذا ما صدقا نطقت، و إذا ما إفكا نطقت، فاقلبي
خيرَ ما قُدِّر لي شقاءً وأذى . . . إني
أحبك، وأثمنّك، وأكرمك،
فوق الحد من كل شيء آخر في العالم.
ميراندا: ما أبلهني،
أبكي لما يفرّحني!
بروسبيرو: لقاء جميل
بين حبّين رائعين: ألا أمطرت السماء بركاتها
على ما يولد بينهما!
فرديناند: لماذا تبكين؟
ميراندا: لعدم جدارتي، لأنني لا أجرأ أن أهب
ما أشتهي عطاءه، وأجبن عن أن آخذ
ما أموت في تمنيه . . . إنه أمر طفيف،
كلما جدّ في إخفاء نفسه
كبر الحجم الذي يريه . . . إليك عني يا براعة الحياء،
ولقّنيني براءة صريحة ومقدسة.

ها أنٍ زوجتك، إن أردت الزواج مني .
و إلاّ، فلأموتن عذراءك . قد تنكر عليّ
أن أكون رفيقتك، غير أني سأكون خادمتك،
شئت أم لم تشأ .

فرديناند : (راكعاً): سيدتي - يا أعزّ إنسان إليّ!
وأنا سأبقى مطيعك هكذا، إلى الأبد .

ميراندا: أزوجي أنت إذن؟

فرديناند : نعم، بقلب راغب
رغبة الرق في الحرية . . . هاك يدي .

ميراندا: ويدي، وقلبي فيها . والآن، وداعاً،
لنصف ساعة من الزمن .

فرديناند : ألف، ألف وداع!

(تخرج ميراندا، ويذهب فرديناند لجلب المزيد من الحطب)

بروسبيرو: لا أستطيع أن أفرح بهذا بقدر ما فرحا هما
وقد فوجئا بكل شيء، ولكن سروري
بأي شيء آخر لن يكون أعظم منه . سأذهب إلى كتابي،
لأن عليّ بعد، قبل موعد العشاء، أن أقوم
بمهام كثيرة تتعلق بهذا .

(يعود إلى كهفه)

المشهد الثاني

(موضع قرب البحر. على الجانب الواحد تنحدر الأرض برفق إلى الساحل، وعلى الجانب الآخر صخور فيها مغارة صغيرة. يجلس عند مدخل المغارة ستيفانو، ترينكولو، وكاليبان، وهم يشربون.)

ستيفانو: لا تقل لي! – الماء نشربه عندما يفرغ البرميل، ولن نشرب قطرة قبل ذلك. ولذا، تحملا، وعليكما بها. أيها الخادم الوحش، اشرب نخبي!

ترينكولو: الخادم الوحش! (يشرب نخب ستيفانو) يا لجنون هذه الجزيرة! يقولون أن في هذه الجزيرة خمسة لا غير، ونحن ثلاثة منهم، فإذا كان للاثنين الآخرين دماغان مثلنا، فإن الدولة في ترنّح.

ستيفانو: اشرب كلما أمرتك، أيها الخادم الوحش. تكاد تكون عيناك موضوعتين في رأسك.

ترينكولو: وإلاّ، فأين تكونان موضوعتين؟ لكان وحشاً بديعاً لو كانتا موضوعتين في ذيله.

ستيفانو: خادمي الوحش أغرق لسانه في الخمر. أما أنا، فالبحر يعجز عن إغراقي. لقد سبحت قبل أن أدرك الشاطىء خمسة وثلاثين فرسخاً، كذا مرة، وكذا

أخرى. وحق هذا الضياء سأجعلك ملازمي، يا وحش، أو بيرقداري.

ترينكولو: ملازمك، إن أردت ـ فهو لا يصلح لحمل البيرق(3).

ستيفانو: لن نركض يا مسيو وحش.

ترينكولو: لا، ولن نذهب، ولكنكما سترقدان كالكلاب، لا ولن تقولا شيئاً.

ستيفانو: يا مسخ القمر، إنطق ولو مرة في حياتك، إن كنت مسخاً قمرياً طيباً.

كاليبان: كيف حال فخامتك؟ دعني ألحس حذاءك. أما هو، فلن أخدمه. هو غير شجاع.

ترينكولو: تكذب يا أجهل وحش، إني مهيأ لمعاركة أي شرطي. اسمع أنت يا سمكة فاجرة، يا أنت، هل كان يوماً جباناً من يشرب خمراً بقدر ما شربت أنا اليوم؟ استكذب أكذوبة وحشية، لأن نصفك سمكة ونصفك وحش؟

كاليبان: أنظر كيف يسخر مني! أتتركه يسخر مني يا مولاي؟

ترينكولو: «مولاي»، يقول! أوحش بهذه البلاهة!

كاليبان: أنظر، أنظر، ثانية! عضّه حتى يموت، أرجوك.

ستيفانو: ترينكولو، احفظ لساناً طيباً في رأسك. أما إذا وجدناك متمرداً ـ فعلى أقرب شجرة! هذا الوحش المسكين من رعاياي، ولن أسمح لأحد بإهانته.

كاليبان: شكراً لمولاي النبيل. أتتفضل بالإصغاء ثانية إلى الإلتماس الذي رفعته إليك؟

ستيفانو: أي والله. إركع وأعده! وسأقف منتصباً، كما سيقف ترينكولو.

(كاليبان يركع، ويقف ستيفانو وترينكولو بصعوبة، مترنحين

يدخل آرييل غير مرئي)

كاليبان: كما قلت لك من قبل، إني خاضع لطاغية،

لساحر، إنتزع بحيلته وخداعه

هذه الجزيرة مني .

آريل : تكذب!

كاليبان : (ملتفتاً إلى ترينكولو) : أنت الذي تكذب ، يا قرداً مهرجاً .

يا ليت أستاذي الباسل يقضي عليك .

أنا لا أكذب .

ستيفانو : ترينكولو، أن تزعجه ثانية في حكايته ، وحق هذه اليد ، فإنني سأخلع بعضاً

من أسنانك .

ترينكولو: ولكنني لم أقل شيئاً .

ستيفانو : إذن ، هس ، كفى . (لكاليبان) استمر .

كاليبان: كما قلت ، حصّل على هذه الجزيرة بالسحر،

مني أنا حصّلها . . . فإن كانت عظمتكم

ستنتقم منه - لأنني أعلم أنك تجرأ ،

أما هذا المخلوق فلا يجرأ -

ستيفانو: ما من ريب .

كاليبان: وتصبح سيدها ، وأنا سأخدمك .

ستيفانو: وكيف يتحقق ذلك؟ أبوسعك أن تأخذني

إلى الطرف المذكور؟

كاليبان: نعم ، نعم ، مولاي . سأسلّمه لك وهو نائم ،

حيث لك أن تدق مسماراً في رأسه .

آريل: تكذب . لن تستطيع!

كاليبان : ما هذا المهرّج المشـ كّل[4]! يا رقعة تؤذي العين!

أتوسل إلى عظمتكم، أنزل به ضرباً

وخذ قنينته منه . وعندما تذهب القنينة ،

لن يشرب إلاّ المالح من الماء، لأنني لن أريه

أين تقع المياه العذبة .

ستيفانو: يا ترينكولو، لا تجازف بالخطر مرة أخرى. فإذا قاطعت هذا الوحش ولو بكلمة واحدة، وحق هذه اليد، سأطرد من قلبي رحمتي، وأجعل منك بالضرب سمكة قديدة .

ترينكولو: لماذا، ما الذي فعلت؟ لم أفعل شيئاً. سأبتعد عنكما أكثر.

ستيفانو: ألم تقل أنه يكذب؟

آرييل: تكذب!

ستيفانو: أنا أكذب؟ خذ هذه (يضربه). إن كنت تحب هذه(يضربه) كذّبني مرة أخرى.

ترينكولو: أنا لم أكذبك. هل طار رشدك، وطار سمعك معه؟ ألا حلّ الزهري بقنينتك! هذا ما يفعله الشراب، والشرب. لعنة الأمراض على وحشك، وأخذ الشيطان أصابعك!

كاليبان: ها، ها، ها!

ستيفانو: والآن، أكمل حكايتك. (مهددا ترينكولو) أرجوك ابتعد.

كاليبان: اشبعه ضرباً. وبعد قليل،

سأضربه أنا أيضاً.

ستيفانو: إبتعد! تعال، أكمل.

كاليبان: أجل، كما قلت لك، من عادته
أن ينام بعد الظهر. هناك لك أن تهشم دماغه،
بعد أن تستولي على كتبه. أو لك بإحدى الأحطاب
أن تحطم جمجمته، أو أن تبقره بقضيب،
أو تحزّ جوزته بسكينك . . . تذكّر،
عليك أولاً أن تأخذ كتبه. لأنه بدونها
مجرد سكير، مثلي، ولا يستطيع
أن يأمر روحاً واحدة . . . كلهم يكرهونه
كرهاً عميق الجذور، مثلي. فقط أحرق كتبه.
لديه أوانٍ بديعة – هذا ما يسميها –
سيزيّن بها بيته عندما يتحقق له بيت.
والذي عليك بالتمعن فيه عميقاً هو
جمال ابنته . . . هو نفسه.
يدعوها وحيدة الزمان: أنا لم أبصر قط امرأة
سوى أمي سايكوراكس، وإياها.
ولكنها تفوق سايكوراكس جداً
كما يفوق الأعظم الأقل.
ستيفانو: أفتاة بديعة كما تصف؟
كاليبان: نعم مولاي، ستليق بفراشك، أؤكد لك،
وتخلّف لك أبدع خلفة.
ستيفانو: يا وحش، سأقتل هذا الرجل. وسنصبح، أنا وابنته، ملكاً وملكة – بَعُدَ

الشر عنا! وترينكولو وأنت ستصبحان والِيَين. أتروق لك المؤامرة، يا ترينكولو؟

ترينكولو: ممتازة.

ستيفانو: هات يدك. آسف لأنني ضربتك. ولكن ما دمت حياً، احفظ لساناً طيباً في رأسك.

كاليبان: في غضون نصف الساعة هذه، سينام.
أتقضي عليه حينئذ؟

ستيفانو: نعم، بشرفي.

آرييل: سأخبر سيدي بذلك.

كاليبان: أنت تجعلني أمرح، وأتمتع،
فلننبسط . . . هل لك أن تغني الأغنية
التي علمتنيها قبل قليل؟

ستيفانو: ما عليك يا وحش إلا أن تطلب، وأنا أفعل -
أي شيء. هيا. ترينكولو، فلنغنّ.

(يغني)

أبعدهم وأرشدهم، وأرشدهم وأبعدهم،
أنا حرّ البال . . .

كاليبان: ليس هذا هو النغم.

(آرييل يعزف النغم على مزمار و دف)

ستيفانو: وما هذا النغم؟

ترينكولو: (ملتفتاً حوله): هذا نغم أغنيتنا، تعزفه صورة «لا أحد».

ستيفانو: (هازاً قبضته): إن كنت إنساً، اظهر في شكلك، وإن كنت شيطاناً، إتخذ الشكل الذي تشاء.

ترينكولو: (يكاديكي): آه، إغفر لي خطاياي!

ستيفانو: من يمت، يسدد ديونه كلها. أتحدّاك! (شجاعته تتقلّص فجأة) الرحمة، الرحمة!

كاليبان: أخائف أنت؟

ستيفانو: أنا، يا وحش؟ أبداً.

كاليبان: لا تخف. تتردد ملء الجزيرة أصوات
وأنغام، وألحانٌ عذاب، تُطرِب ولا تؤذي.
ألفُ مِعْزَف رنّان قد يدندن أحياناً
حول أُذُنيّ، وأحياناً قد أسمع أصواتاً،
إن كنتُ عندها أفقت من نوم طويل،
تجعلني من جديد أنام - فأرى في الحلم
الغيوم تتفتح، وتتكشف عن نفائس
وشيكة الهبوط عليّ، فإذا أفقت عندها،
بكيت لأحلم من جديد.

ستيفانو: لسوف يتبين أن هذه لي مملكة بديعة، حيث أحصل على موسيقاي دون مقابل.

كاليبان: عندما يُقضى على بروسبيرو.

ستيفانو: سيتم ذلك في حينه. أنا أتذكر القصة.

ترينكولو: النغم يبتعد. . . لنتبعه، ثم نَقُم بشغلنا.

ستيفانو: سر بنا يا وحش، فنتبعك. ليتني أستطيع
رؤية عازف الدف هذا - إنه بارع.
ترينكولو: أتجيء؟ سأتبعك، يا ستيفانو.

(يتبعون آرييل)

المشهد الثالث

(أجمة الليمون فوق كهف بروسبيرو، قرب قمة القلعة. الونزو وحاشيته يسيرون بين الأشجار، متعبين مكتئبين. يتأخر عنهم غونزالو.)

غونزالو: قسماً بالعذراء، لا أستطيع الخطو بعد.
عظامي الشائخة تتوجع. إنها حقاً لمتاهة، سرناها
طرقاً مستقيمة وأخرى ملتوية. صبرك عليّ،
لا بد لي أن أستريح.

الونزو: لن ألومك أيها السيد الشيخ.
وقد نال مني أنا الإعياء أيضاً،
وأنهك حيويتي. اقعدوا، واستريحوا.

(يقعد الونزو، غونزالو، أدريان، وفرانسيسكو)

وهنا أتخلى أنا عن أملي، فلا أبقيه
لمن يريد أن يتملقني. لقد غرق
هذا الذي تهنا في البحث عنه، والبحر يسخر
من بحثنا الخائب في البر. . . نعم، لندعه وشأنه.

أنطونيو: واقفاً على إنفراد مع سباستيان: يسرّني جداً أنه فقد الأمل:

لا تقلع، لصدّة واحدة، عن الغاية
التي عزمت على تحقيقها .
سباستيان: الفرصة التالية
سنغتنمها بأشد الحزم .
أنطونيو: ولتكن هذه الليلة .
فهم لشدة ما أرهقهم الترحال
لن يكونوا، ولن يقدروا أن يكونوا، على يقظة
كيقظتهم وهم غير متعبين .
سباستيان: نعم، هذه الليلة، حسبنا .

(موسيقى مهيبة وغريبة: يظهر بروسبيرو في الأعلى، غير مرئي)

الونزو: ما هذه الأنغام؟ أيها الصحب الكرام، أصغوا !
غونزالو: يا للموسيقى العذبة العجيبة !

(تدخل عدة أشكال غريبة، وتمد مائدة لوليمة، وترقص حولها وهي تسلم وتحيّ بحركات لطيفة، وتدعو الملك ورفاقه إلى الأكل، وتنصرف).

الونزو: مُدّينا بُحرّاس كرام، أيتها السماء! ما هذه؟
سباستيان: مهزلة حيّة! سأصدّق الآن
أن في الوجود كراكد، وأن في بلاد العرب
شجرةً هي عرش العنقاء، وأن ثمة عنقاء
تحكم الآن هناك .
أنطونيو: سأصدق كلا الأمرين . . .
وأي أمر آخر لا يصدّق، فليأت إليّ

لأقسم أنه أمر واقع . لم يكذب الرحالون قط ،
وأن يُسَفِّهْهم الحمقى في أوطانهم .
غونزالو: لو أنني في نابولي
حدثتهم بما أرى الآن ، أتراهم يصدقونني
لو قلت إنني رأيت في الجزيرة أناساً كهؤلاء -
لأن هؤلاء ولا ريب ، أناس الجزيرة ،
فلئن تكن أشكالهم وحشية ، فإنهم كما تلاحظون ،
يفوقون بأدبهم وحسن تصرّفهم
معظم أفراد نسلنا البشري ، بل
أكاد أقول ، كلهم .
بروسبيرو: أحسنت القول
أيها السيد الأمين ، لأن بعضكم الحاضر هناك
شرّ من الشياطين .
الونزو: لن أكف عن العجب
لهذه الأشكال ، هذه الحركات ، هذه الأصوات وهي تعبّر ،
رغم افتقارها إلى اللسان ، عن ضرب
من حديث صامت رائع .
بروسبيرو: (مبتسماً بجهامة) امتدِح عند المغادرة .
فرانسيسكو: ما أغرب ما تلاشت !
سباستيان: ما هَم ، ما دامت
قد خلّفت أطعمتها وراءها . لأن لنا مِعَداً . . .

(سباستيان يتفقد المائدة بجوع)

هلاّ تفضلت فذقت ما هنا؟

الونزو: أنـا ؟ لا.

غونزالو: والله ياسيدي، لا حاجة للخوف. في أيام صبانا

من كان يصدق أن ثمة جبليين

كالثيران يغسلهم الندى، تتعلق بحناجرهم

أكياس من اللحم(5)؟ أو أن ثمة أناساً

استقرت رؤوسهم بين أكتافهم؟ وغير ذلك مما

يأتينا بالبراهين عليه هذه الأيام

كل مراهن بخمسة لقاء واحد(6)

الونزو: سأنهض وآكل،

ولو كان آخر ما آكل – ما همّ، ما دمت أحسّ

أن الأفضل قد مضى . . . أخي، وسيادة الدوق،

تفضلا، وكلا معنا.

(الونزو، سباستيان، وأنطونيو، يجلسون إلى المائدة. رعد وبرق. يدخل آريل في شكل طير كبير جارح، يصفق بجناحيه على المائدة، وبحيلة بارعة، تختفي المائدة).

آريل: إنكم ثلاثة رجال خطاة، والقدر

الذي يسخّر هذه الدنيا

وما فيها آلةً له، قد جعل البحر الذي لا يُتخم

يتقيؤكم – أجل، وعلى هذه الجزيرة،

حيث لا يسكن البشر، لأنكم بين البشر
لا تصلحون قطعاً للسكنى .

(ثلاثتهم يستلّون سيوفهم)

وقد جننتُكم!
بمثل هذه الشجاعة يشنق الرجال أنفسهم .
أو يغرقونها (يحاولون الهجوم، ولكن السحر يقيّد حركتهم) أيها الحمقى!
أنا ورفاقي
خُدّام القدر. والعناصر التي
صُنعت منها سيوفكم بوسعها أن تسقط
رويشة من جناحي بقدر ما بوسعها
أن تجرح الرياح المعولات؛ أو تقتل المياه التي
هي دوماً في التئام، بطعنات نهزاً منها .
ورفاقي الخدام لا يُجرحون كذلك، مثلي .
وأن يكن في مقدوركم الإيذاء،
فإن سيوفكم الآن أثقلُ مما تقوَوْن عليه،
وترفض أن ترتفع . . . ولكن تذكروا
(وهذه هي رسالتي إليكم) أن ثلاثتكم
إقتلعتم بروسبيرو الفاضل من ميلانو،
وعرّضتموه للبحر – وها البحر جازاكم على ذلك! –
هو، وطفلته البريئة . ولهذا الفعل الأثيم
فإن القوى التي تمهل ولا تهمل أثارت

غضب البحار والشطآن - نعم والمخلوقات جميعاً -
لكي لا تنعموا بسلام . . . أنت من ابنك ، يا الونزو ،
حرمتك ، وهي تحكم عليكم بواسطتي ،
بأن هلاكاً بطيئاً ، أسوأ من أي موت
فوري ، سيلاحقكم خطوة خطوة
في كل طريق تسلكونه . وليس لكم اتقاءٌ لسخطها
(وإلا إنهال على رؤوسكم في جزيرة اليباب هذه)
إلا الحزن في القلب ، تتلوه حياة نظيفة .

(يختفي مع الرعد. ثم تدخل الأشكال ثانية على أنغام الموسيقى الناعمة ، وترقص، مكشّرة ومومئة بسخرية ، وتخرج بالمائدة) .

بروسبيرو: ما أبدع ما مثلت دور هذا الطائر الجارح
يا عزيزي آرييل ، وجعلت فيه رشاقة فاتكة!
لم تهمل شيئاً مما أوصيتك به
في ما كان عليك أن تقول : وكذلك خدّامي الأصغر،
أدى كلّ دوره بحيوية طيبة
وملاحظة دقيقة : رُقاي السحرية الكبيرة فاعلة ،
وأعدائي هؤلاء راحوا يتخبطون
مضطربين ، مشوّشين ، إنهم الآن تحت سلطاني ،
وفي ثوباتهم هذه أتركهم ريثما أزور
الفتى فرديناند - الذي يحسبونه قد غرق -

والغالية محبوبته ومحبوبتي .

(يخرج)

غونزالو: باسم المقدّسات، يا مولاي، فيم وقوفك
محملقاً باستغراب هكذا؟

الونزو: مريع، مريع . . .
خُيّل إليّ أن الأمواج نطقت، وأخبرتني به،
وأن الرياح غنّته لي . . . وأن الرعد،
مزمارَ الأرغن ذلك العميق الرهيب، لفظ
اسم بروسبيرو، كنغمة القرار لفعلتي الآثمة .
ولذا فإن ابني في أوحال أليمّ قد ثوى،
وسأطلبه في أعماق ما أدركها قط مسبار
وهناك أرقد في الطين معه .

(ينطلق نحو البحر)

سباستيان: لو جاءتني الشياطين واحداً فواحداً،
لقاتلت جحافلها جميعاً .

أنطونيو: وأنا أثني معك .

(يبتعدان مشدوهين، شاهراً كلاهما سيفه)

غونزالو: لقد أخذ اليأس من ثلاثتهم . إن عظيم جرمهم،
كالسمّ الذي يبدأ فعله بعد زمن طويل،
جعل الآن يأكل الروح منهم . أرجوكم،
يا من أطرى عوداً ومفاصل، ألحقوا بهم بسرعة،

وامنعوا عنهم ما قد يستفزهم
هذا الجنون لفعله.
. أدريان: ألحقوا بهم، أرجوكم.

(يخرجون في اثر المجانين)

هامش:

(1) يعتقد محققو النصوص الشكسبيرية أن هذا البيت من أصعب ما في شكسبير تفسيراً، لما يجدون فيه من تحريف، ولعل هذه الترجمة أقرب تفسير للمعنى المقصود.

(2) الاسم باللاتينية يعني «مدهشة»

(3) لأنه سكران ويترنح - كالاثنين الآخرين. كلامهم المخمور لا يتماسك، بالطبع.

(4) ترينكولو مهرّج ويلبس زي المهرجين الذي يتألف من ألوان كثيرة، ربما كان بعضها من رقع.

(5) كانت الإكتشافات الجغرافية في عهد شكسبير في أوجها. وكان كثير من الرحالين يعودون ليرووا عن خوارق المخلوقات التي زعموا أنهم رأوها، أو سمعوا بها. فهذا سير والتر رالي يقول في وصف رحلته إلى غيانا عام 1595: «بالقرب من آروي ثمة نهران هما أتوبكا وكاورا، وعلى نهر كاورا يقطن قوم لا تظهر رؤوسهم فوق أكتافهم.. ويقال إن عيونهم في أكتافهم، وأفواههم في وسط صدورهم، وأن ذؤابة طويلة من الشعر تسترسل في نموها من بين أكتافهم. وقد أخبرني ابن طوبيا وآري، الذي أحضرته معي إنكلترا، أنهم أقوى سكان المنطقة كلها...»

(6) يشير غونزالو إلى التجار الإنكليز الذين كانوا يرحلون في خضم البحار المجهولة أيامئذ، وقبل سفرهم يرهنون عند الرأسمالي مبلغاً على هذا الشرط الغريب: وهو أنهم إذا لم يعودوا، خسروا المبلغ و إذا عادوا فإن عليه أن يدفع لهم خمسة أضعافه.

الفصل الرابع

المشهد الأول

أمام كهف بروسبيرو. يأتي بروسبيرو من الكهف ومعه فرديناند وميراندا.

بروسبيرو: لئن كنت قسوتُ في عقابك ،
فإن في تعويضك تصحيحاً لذلك ، لأنني
وهبتك هنا ثلث حياتي أنا ،
بل وهبتك من أحيا من أجلها – وها أني ثانية
أسلّمها يدك . . . لم تكن مضايقاتي لك
إلا تجاربي لحبك ، وقد
صمدت في الإمتحان صموداً رائعاً هنا . أمام السماء ،
أصادق على عطيتي الثمينة . ويا فرديناند
لا تبتسم لتفاخري بها ،
فلسوف تجد أنها تتجاوز كل مديح
وتجعله يتخلف قاصراً عنها .
فرديناند : أصدق ذلك
حتى لو قال موحي بعكسه .
بروسبيرو: إذن خذ ابنتي ، هدية مني ،

ومالاً اقتنيته أنت بجدارة. ولكن
ان فضضت عقدتها العذراء قبل أن
تقام الشعائر المكرسة
وفق الطقوس القدسية بتمامها،
لن تُنزل السماء العذب من الندى
ليستنبت هذا القران، إنما الكرهُ العقيمُ
والنشازُ وازورارَ المهانةِ كلُّها ستذرّ
على جماع فراشكما الأعشاب والدَّغل المقيت
فتكرهانه كلاكما. ولذا، فخذ الحذر حتى
تستنيرا بقنديل هايمن[1]
فرديناند: بما أنني آمل
في أيام وادعة، ونسل جميل، وعمر طويل،
مع حب كحبي الآن، فلا أعتم الأوكار
ولا المؤاتي من أي مكان، لا ولا العتيّ مما
يوحي به روح الشر فينا[2] سيذيب أبداً
شرفي شبقا، ليثلم
حدّ احتفال ذلك اليوم الذي
سأتمنى فيه لو أن خيول فيبوس[3] قد كبت
أو أن الليل ظلّ مغلولاً تحت الأرض.
بروسبيرو: حسناً نطقت.
إجلس إذن، وتحدث إليها. إنها لك.

(ينزوي المحبّان ويجلسان معاً على مقعد صخرة. يرفع بروسبيرو عصاه)

ها، آرييل! خادمي المجدّ، آرييل!

(يظهر آرييل)

آرييل: لبّيك، أستاذي الجبار! إني هنا.

بروسبيرو: لقد قمتم، أنت ورفاقك الأصغرون،

بخدمتكم الأخيرة خير قيام. وعليّ إستخدامكم

بخدعة أخرى مثلها. إذهب، وأحضر الجماعة

هنا، إلى هذا المكان. إني أمنحك السلطة عليهم.

حثّهم على سريع الحركة، لأنني أبغي

أن أعرض على أعين هذين الشابين

عرضاً صغيراً من عروض فني. إنه وعد،

وهما يتوقعانه مني.

آرييل: حالاً؟

بروسبيرو: نعم، برمشة عين.

آرييل: قبل أن تقول، «هلم، هيا»،

وتتنفس مرتين، وتصيح «كيت، وكيت»

ستراهم هنا كلهم يتراقصون

يومئون ويكشّرون...

أتحبني، أستاذي، أتحبني؟

بروسبيرو: جداً، يا رهيفي آرييل... لا تقترب

إلى أن تسمع ندائي.

آرييل: حسناً. فهمت. (يختفي)

بروسبيرو: (لفرديناند): إنتبه: كن وفياً. ولا ترخ الحبل
كثيراً للغزل. أغلظُ الإيمان قشّةٌ
للنار في الدم. أكبح الإقبال منك
وإلا فاقرأ السلام على وعدك.

فرديناند: ثق، سيدي،
إن الثلوج العذراء البيضاء الباردة على قلبي
تخفف من أُوار كبدي.

بروسبيرو: حسناً
والآن، هلم آرييل. وجيء بالمزيد
لئلا يعوزنا روح من الأرواح.. اظهر، وبخفة!
لا لسان! عيون فقط. سكوت!

(موسيقى ناعمة)

القناعية [4]

(تظهر إيريس [5])

إيريس: أيا سيريس [6]، يا ربة السخاء والندى،
حقولك التي يمرع القمح فيها والشعير
والجودار والذرة، والحمّص والشوفان،
وجبالك المعشوشبات التي
تسرح الخراف فيها وترعى،
ومروجك البطحاء أكوام القش فيها علف لها،

وضفافك التي فاضت بالحلفاء والأقاحي

يوشّيها بأمر منك نيسان إذ ينهمر،

ليجعل لباكرات الحور تيجاناً عفيفة،

وآجام الرتم التي يحب إفياءها

الأعزب المطرود أضناه من الغيد الهوى،

والكروم الحاضنات عرائشهن،

والساحل العقيم الوعر بالصخور،

حيث رحت أنت تتنسّمين الهواء -

ملكة السماء التي أنا

قوسها المائية ورسولتها،

تهيب بك أن أتركيها، واسرعي بالمجيء

هنا في رقعة العشب هذه،

لتشاطري اللعب جلالتها البهية:

تلك طواويسها تمعن طيراناً في الفضاء . . .

(تظهر عربة جونو بطواويسها في السماء)

إقتربي يا سيريس الغنيّة، لتُمَتّعيها.

(تدخل سيريس)

سيريس: مرحباً أيتها الرسولة الكثيرة الألوان التي

ما عصت قط أمراً لزوجة جوبيتر:

أنت التي، بجناحيك الأصفرين، على أزهاري

تذرذرين قطرات الشهد والزخات المنعشة،

وتتوّجين بطرفي قوسك الزرقاء
فيعاني المشجرة وأعشابي التي لا تُحصد
وشاحاً لأرضي ذات الكبرياء . . . لماذا دعتني
مليكتك للحضور هنا، في الخضراء القصيصة العشب هذه؟
إيريس : لتمجدي قراناً من أخلص الحب
وتهبي العاشقين المباركين
سخياً من عطائك .
سيريس : أخبريني ، يا قوسا سماوية ،
هل أن فينوس أو ابنها الآن ، فيما تعرفين ،
برفقة الملكة؟ فمنذ أن دبّرا
الوسيلة التي مكّنت «ديس» الأغبر من ابنتي [7]
أقلعت أنا عن عشرتها وعشرة ابنها ،
عشرة الفضائح .
إيريس : لا تخافي
إلتقاءها . فقد لقيتُ ألوهتها
تقطع الغيوم باتجاه بافوس ، وابنها
تسحبه الحمائم معها : أراد كلاهما المجيء هنا
لسحر هذا الفتى وهذه الفتاة بِرُقْيَةٍ خليعة ،
وهما اللذان قد قطعا العهد على
ألاّ تقام مراسيم الفراش حتى
يضاء مشعل هايمن . ولكن حبيبة مارس ،

هذه الشبَقة، عبثاً ما تعود ثانية -

فابنها قد كسر سهامه بنصالها اللاسعة،

وأقسم أنه لن يطلق سهماً كرة أخرى،

ولن يلاعب إلاّ عصافير الدوري

ويبقى طفلاً حتى النهاية.

(تهبط جونو من عربتها)

سيريس: جلالة الملكة المعظمة،

جونو الرائعة، ها هي قادمة. أعرفها من مشيتها.

جونو: كيف حال أختي المعطاءة؟ هيا معي

لنبارك هذين الاثنين، لكيما يفلحا

ويلقيا العز والإكرام في البنين.

(تغنيان)

جونو: فلتنعما أبدا

بالشرف والمال وبركة الزواج،

بالعمر الطويل والنسل الكثير،

وبالأفراح في كل ساعة!

وها جونو تغني بركاتها عليكما!

سيريس: لكما تكاثر الأرض وخيراتها

وامتلاء العنابر والبيادر أبدا،

والكروم المثقلات بعناقيدها،

والنباتات المطأطئات بطيّباتها.

ولترزقا بمولود، على أبعد مدى
في ختام الموسم من الحصاد[8]!
تنكّبت القلة والحاجة عنكما،
ولتكن بركة سيريس عليكما!
فرديناند: إنها لرؤيا في غاية الجلال،
ملأى بساحر الأنغام. هل لي أن أجرأ
فأقول أن هؤلاء أرواح؟
بروسبيرو: أرواح استدعيتها بفنّي
من تخومها لتمثل خيالاتي الراهنة.
فرديناند: دعني أقيم هنا إلى الأبد.
أن حَماً مثلك نادراً، مدهشاً، حكيماً،
ليجعل جنةً من هذا المكان.

(جونو وسيريس تتهامسان، وترسلان إيريس في مهمة)

ميراندا: صمتا الآن، حبيبي.
فجونو وسيريس تتهامسان جادتين.
بروسبيرو: هناك أمر آخر يجب قضاؤه. صمتا،
وإلا فسدت رُقْيتنا.
إيريس: يا حور الجداول المتعرجة، المدعوات بالنايدات،
بتيجانكن الضفيرة بالزهور ونظراتكن الحانيات أبدا،
أتركن مياهكن الرقراقة، وفي خضراء الأرض هذه
استجبن للدعوة منا: ها هي جونو تأمركنّ!

تعالين أيتها الحور العذارى، لتحتفلن معنا

بقران من أخلص الحب. لا تتوانين! إسرعن!

(تدخل بعض الحوريات)

وأنتم يا ذوي المناجل، المتعبين من شهر آب،

تعالوا إلينا من الثلم الحريث، لتمرحوا،

وتعيّدوا: قبّعات القش ارتدوها

وقابلوا هؤلاء الحور النضرات جميعاً

في رقصة ريفية.

(يدخل بعض الحصادين بالملابس اللائقة، وينضمون إلى الحوريات في رقصة رشيقة. عند نهايتها ينهض بروسبيرو فجأة، ويتكلم. وبعد ذلك، يختفي الجميع ببطء. ترافقهم أصوات غريبة، جوفاء، مضطربة).

بروسبيرو: (لنفسه): لقد نسيت تلك المؤامرة الخسيسة

من الوحش كاليبان وشريكيه،

على حياتي. لحظة مؤامرتهم

قد أزفت، أو كادت. (للأرواح) أحسنتم، انصرفوا!

فرديناند: غريب. أبوكِ دهمته غضبة ما

تثيره بشدة.

ميراندا: ما رأيت أبي قط حتى اليوم

يخرجه عن طوره حنق كهذا.

بروسبيرو: يبدو عليك، يا بنيّ، أنك مضطرب،

كأنك في خشية من أمر ما، هوّن عليك، سيدي.

حفلتنا هذه الآن انقضت . . . ممثلونا هؤلاء ،
كما أنبأتك سابقاً ، كانوا أرواحاً كلهم ،
وتلاشوا هواءً ، نَسَمات ،
وكما النسيج الذي لا أساس له من هذه الرؤيا
هكذا لسوف تضمحل الأبراج المعمّمة بالغيوم ،
والقصور الفخمة ، والهياكل المهيبة
وكرة الأرض العظيمة نفسُها ،
أجل وكل ما عليها ،
وكهذا المهرجان الموهوم الذي تلاشى ،
لن تخلّف هباءة واحدة وراءها . إنما نحن مادة
كالتي تصنع الأحلام منها . وحياتنا الضئيلة
تحدّها نومة من طرفيها(9) . . . سيدي ، إني مبتلى .
أصبر على ضعفي ، فذهني الشائخ غير مستقر.
أرجوك أن تتفضل وتأوي إلى كهفي ،
وهناك أسترح . سأمشي مشواراً أو اثنين ،
لأسكن فؤادي الخافق .

فرديناند وميراندا : (وهما في طريقهما إلى الكهف) : مع السلامة .

بروسبيرو: أحضر بسرعة الفكر! لقد فكّرتك
يا آرييل ، فاحضر!

(يظهر آرييل)

آرييل : إني لصيقٌ أفكارك . ماذا تودّ؟

بروسبيرو: أيها الروح،
علينا بالتهيؤ للقاء كاليبان.
آريل: نعم يا آمري، وعندما قدّمتُ سيريس[10]
خطر لي أن أخبرك، بيد أنني خشيت
أن أغضبك.
بروسبيرو: قل لي ثانية، أين تركت هؤلاء الأنذال؟
آريل: قلت لك يا سيدي، إنهم احمّروا حرارةً بسكرهم –
واستبسلوا حتى راحوا يطعنون الهواء
لتنفسّه في وجوههم، ويضربون الأرض
لتقبيلها أقدامهم، ولكنهم بقوا مصممين
على خطتهم. عندئذ نقرت دفي
فانتصبت آذانهم كالمُهرة بلا فارس،
وفتحوا أجفانهم، ورفعوا خياشيمهم
كأنهم يشمّون الموسيقى. فسحرت آذانهم
بحيث أخذوا كالعجول يتبعون خُواري، خلال
مسنّن العلّيق وواخز الوزّال والقُرّاص والأشواك
التي انغرزت في كواحلهم الواهنة: وأخيراً تركتهم
في البركة القذرة الآسنة خلف كهفك،
حيث راحوا يرقصون حتى ذقونهم، ففاقت
البركة النتنةُ أقدامهم برائحتها الكريهة.
بروسبيرو: أحسنت صنعاً يا طائري.

إحتفظ بعد بشكلك الخفّي .

والتوافه المزوّقة التي في بيتي ، اذهب واحضرها ،

طُعْماً لصيد هؤلاء اللصوص .

آرييل : ذاهب أنا ، ذاهب أنا . . . (يخرج)

بروسبيرو: شيطان ، وولد شيطاناً ، وفي طبيعته

لن يستقر أي تطبّع ، وجهودي

التي أنفقتها عليه إنسانيةً ،

راحت سدى ، سدى كلها .

وكلما كبر سناً إزداد جسمه قبحاً ،

وذهنه نخراً وسوساً . . . سأنزل بهم البلايا ،

حتّى الجئير.

(يعود آرييل ، محمّلاً بأردية براقة ، إلخ .)

بروسبيرو: تعال . علقها على هذه الليمونة .

(آرييل يعلّق الثياب على الشجرة . ويبقى هو وبروسبيرو غير مرئيين .

يدخل كاليبان ، وستيفانو وترينكولو، مبلّلين جميعاً) .

كاليبان : خففوا الوطء ، أرجوكم ، فلا يسمع حتى القنفذ الأعمى وقع قدم. اقتربنا الآن من كهفه .

ستيفانو: يا وحش ، جنيتك التي تقول إنها لا تؤذي أحداً لعبت معنا دور النذل.

ترينكولو: يا وحش ، إني أشتمّ رائحة بول الخيل ، ولذا فإن أنفي مغضب جداً .

ستيفانو: وكذلك أنفي . . . أتسمع يا وحش؟ والله إذا سخطت عليك : أنظر!

(يشهر سكينه)

ترينكولو: لن تكون إلا في عداد الوحوش الضائعين.

كاليبان: مولاي الكريم، أعطني رضاك بعد.

واصبر. لأن الغنيمة التي أُهديك إليها،

ستنسينا هذه النكبة. ولذا فاخفض الصوت:

كل شيء ساكن كما في منتصف الليل.

ترينكولو: نعم. أما أن نفقد قنانينا في البركة –

ستيفانو: فليس في ذلك عار وشنار وحسب، يا وحش، بل خسارة لا حدّ لها.

ترينكولو: وذلك أدهى بالنسبة إليّ من البلل. أهذه جنّيتك التي لا تؤذي أحداً، يا وحش؟

ستيفانو: سأنتزع قنينتي حتى لو سقطتُ على رأسي في إنتزاعها.

كاليبان: أرجوك، يا مليكي، اهدأ. . . (يزحف إلى الكهف) أترى هذا؟

إنه مدخل الكهف. . . بلا صوت، وادخل. . .

وافعل ذلك الإثم الطيب الذي يجعل هذه الجزيرة

مُلْكَك إلى الأبد، وأنا، كاليبان، مُلكَ يديك

ولاحسَ قدميك إلى الأبد.

ستيفانو: أعطني يدك. بدأت تراودني أفكار دموية.

ترينكولو: (يلحظ الثياب المعلقة على شجرة الليمون): أيها الملك ستيفانو، أيها النبيل!

(يمسك بثوب) يا ذا الجلالة ستيفانو! أنظر أية أردية لك هنا!

كاليبان: دعها عنك، يا أحمق – إنها نفايات.

ترينكولو: (يلبس الثوب): آ، ها، يا وحش. نحن أدرى بما يباع في دكاكين الثياب القديمة. أيها الملك ستيفانو! (ينطنط).

ستيفانو: إخلع ذلك الرداء، ترينكولو. وحق هذه اليد، سآخذ ذلك الرداء.

ترينكولو: إنه لفخامتك. (يخلعه حزيناً)

كاليبان: ألا أَغرق الحَبَنُ هذا المأفون! ماذا تعني

بهيامك هكذا بمثل أمتعة كهذه؟ لنتقدم كلنا

ونقم بالقتل أولاً: وإلا، إذا استيقظ،

ملأ جلودنا قرصاً من الرأس حتى القدم،

وجعل منا أشياء غريبة.

ستيفانو: إهدأ أنت يا وحش... يا ست ليمونة، أليست هذه فروتي؟ (يلبسها) ها الفروة الآن تحت خط الزنّار، أخشى الآن يا فروة أن تفقدي شعرك، وإذا بك فروة صلعاء(11).

ترينكولو: (يرتجف برداً) دو دو... نحن نسرق على الخط، إن تفضلتم فخامتكم.

ستيفانو: أشكر لك هذه النكتة. هاك ثوباً عنها، فروح الفكاهة لن تبقى بدون مكافأة ما دمت أنا ملك هذا البلد. «نحن نسرق على الخط» ضربة فكاهية رائعة. هاك ثوباً آخر عنها.

ترينكولو: تعال يا وحش، خفف يدك واسرق البقية.

كاليبان: لا أريد شيئاً منها. سنضيّع وقتنا،

ونتحول كلنا إلى اوزّات شجر، أو إلى قرود

بجباه منخفضة شنيعة.

ستيفانو: يا وحش، استعمل أصابعك. ساعدنا في نقل هذه إلى حيث قربةُ خمري، وإلاّ طردتك من مملكتي.

هيّا، احمل هذه.

ترينكولو: وهذه.

ستيفانو: نعم، وهذه.

(يحتلونه تسمع أصوات صيادين. يدخل عدد من الأرواح في أشكال كلاب سلوقية، وتطاردهم من مكان لمكان، بتحريض من بروسبيرو وآريل.)

بروسبيرو: هاي، جبل، هاي!

آريل: فضة، الحق ذاك، فضة!

بروسبيرو: عنيف، عنيف، هناك... طاغي، هناك طاغي[12]!

(لآريل) اسمع، اسمع!

(يخرج كاليبان وستيفانو وترينكولو راكضين والكلاب تطاردهم.)

إذهب ومر عفاريتي بأن تَطحنَ مفاصلَهم

بأشد الإنتفاضات، وتقصّرَ عضلاتهم

بتشنجات الشيخوخة، وترقّطَهم بالقرص

أكثر مما تَرَقّط فهدٌ أو نمر.

آريل: اسمع! إنهم يجأرون.

بروسبيرو: اشبعوهم طراداً... في هذه الساعة،

أعدائي جميعاً تحت رحمتي.

بعد قليل سأفرغ من جهودي كلها، وأنت

ستتنفّس الهواء بملء حريتك. لبرهة أخرى

اتبعني، وقدّم لي خدمة أخيرة.

هوامش :

(1) إله الزواج.

(2) أي ملاك الشر. إذ يفترض أن لكل إنسان ملاك خير وملاك شر «يشيران عليه» فيما يفعل.

(3) الشمس، التي تتمثل في عربة ملتهبة يسوق خيولها أبولو.

(4) القناعية تعريب لكلمة (masque)، وهي ضرب من التمثيلية الأرستقراطية. شاعت في القرنين السادس عشر والسابع عشر في إنكلترا، وكانت تقام في القصور ويشارك فيها ممثلون محترفون وهواة. كانت في الأصل تعتمد على الإيماء والرقص، ولكن أدخل فيها أيضاً، فيما بعد، الحوار والغناء. كانت تؤلف لها موسيقى خاصة، وتخرج إخراجاً فخماً، وتلبس فيها أزياء رائعة، وتقام عادة للإحتفال بمناسبات الدولة الكبيرة، ولا سيما عند زفاف إحدى أميرات البلاط. قدمت هذه القناعية، مع بقية «العاصفة» عند زواج الأميرة اليزابث، إبنة الملك جيمز الأول، عام 1613، في القصر الملكي.

(5) أو «قزح»، وهي رسولة الالهة جونو، زوجة جوبيتر.

(6) الهة الزرع، تعتمد القناعية هنا على طقوس الخصب.

(7) «ديس» أو «بلوتو»، إله العالم السفلي - ومن هنا وصفه بالأغبر وقد أحب ابنة سيريس، برسيفوني، واختطفها إلى مقره في العالم السفلي. مما أغضب أمها.

(8) الإشارة هنا إلى الأميرة اليزابث وزوجها اللذين من أجلهما أقحمت «القناعية» على هذا النحو في «العاصفة» في نهاية 1612 أو مطلع 1613. فزواجهما في هذا الوقت من السنة، يجعل «ختام موسم الحصاد» موعداً معقولاً لهما يرزقان فيه بطفل.

(9) فلسفة بروسبيرو هي أن الحياة لحظة من حلم يقظة، بين فترتين من نوم طويل.

(10) قد يعني هذا أن آرييل هو الذي لعب دور سيريس.

(11) في هذه العبارة والعبارة التالية ، في النص الأصلي ، لعب على لفظة line (خط) يستحيل نقلها إلى العربية. من معاني هذه الكلمة ، لدى البحارين على الأخص ، «خط الإستواء» ، وكان المعتقد أن من يقطع هذا الخط يفقد شعره. ومن معاني الكلمة أيضاً «خصر» ، ومن هنا كلمة «زنار». طبعاً هذا اللون من الفكاهة لا يعني شيئاً لأحد اليوم ، ولو أنه كان مضحكاً لجمهوره قبل أكثر من 350سنة .

(12) جبل ، فضة ، عنيف ، طاغي ، أسماء الكلاب التي يحرّضها بروسبيرو وآرييل .

الفصل الخامس

المشهد الأول

(بروسبيرو وآريل يدخلان الكهف و يعودان، بعد وقفة قصيرة. بروسبيرو، يجيء مرتدياً عباءته السحرية.)

بروسبيرو: خطتي الآن تلتئم في شكلها النهائي :
رقاي السحرية لا تُفَضّ، أرواحي تطيعني، والزمن
يسير منتصب القامة[1] . . . ما الساعة ؟
آريل : السادسة يا مولاي، وهي الساعة التي
قلت إننا فيها سنكفّ عن العمل .
بروسبيرو: أجل، قلت ذلك
عندما أقمت العاصفة أولاً . . . قل لي، يا روحي
كيف حال الملك وأتباعه؟
آريل : إنهم محبوسون معاً
على النحو الذي أمرت به،
كما تركتهم – كلهم، يا سيدي، سجناء
في بستان الليمون الذي يقي كهفك الأنواء،
وما بوسعهم أن يتزحزحوا حتى تطلقهم أنت : والملك

وأخوه، وأخوك، ثلاثتهم هناك وقد أخذ الجنون منهم،
والآخرون يبكونهم
وملؤهم الأسى والخوف، ولا سيما
ذاك الذي وصفته يا مولاي بـ «السيد الشيخ الطيب» غونزالو.
على لحيته تجري دموعه كما تجري قطرات الشتاء
من أطراف السطوح القصبية. . . لقد فعلت رقيتك فيهم أشد فعلها،
حتى أنك لو أبصرتهم الآن، لرقّت
منك عواطفك.
بروسبيرو: أهذا ما تظن يا روح؟
آريل: لو كنت أنساً، لرقت عواطفي أنا، يا مولاي.
بروسبيرو: وعواطفي لسوف ترقّ كذلك.
أتشعر أنت وتحسّ بلاياهم ـ وما أنت إلا من هواء ـ
وأنا الذي من جنسهم، وبحدة مذاقهم مذاقي،
ومثلهم أتلوّع، لا أتأثر بحنوّ أكثر منك؟
ورغم أن كبائر ظلمهم أصابت الحشاشة مني،
فإني، بعقلي الأنبل، أقف موقفاً
ضدّ سخطي وعنفي: فالفعلة الأندر
هي فعلة الفضيلة، لا الإنتقام، وما داموا قد ندموا،
فإن مجرى غايتي لن يتعدى ذلك
ولو بنظرة شزراء واحدة. اذهب، واطلق سراحهم، آريل
لسوف أفضّ رقاي، وأعيد لهم رشدهم،

فيثوبونَ إلى أنفسهم .

آرييل : سأحضرهم يا مولاي . (يختفي)

بروسبيرو: (يرسم دائرة بعصاه) يا جنّ التلال ، والجداول ، والبحيرات الراكدة والآجام .

وأنتم يا من على الرمال بأقدام لا وقع لها

تطاردون نبتون في جزره ، وتهربون منه

حين يعود : أنتنّ يا أشباه العرائس ، اللواتي

تصنعن في ضوء القمر خصلات خضراء حوامض

لا تقضم منها النعاج : وأنتم الذين تتلهّون

بصنع فطر منتصف الليل ، فتفرحون

لسماعكم الناقوس الشجي يعلن هبوط الظلام :

بعونكم ، رغم ضعفكم كخدّام ، أعتمتُ أنا

شمس الظهيرة ، واستدعيت الرياح المتمرّدة ،

وبين اليمّ الأخضر والقبة الزرقاء

أطلقت حرباً مزمجرة : للرعد القاصف الرهيب

أعطيت ناراً ، وسنديانةُ جوبيتر المتينة شققتُها

بقذيفته[2] : والطود الراسخ القاعدة

هززتُه ، ومن الجذور اقتلعتُ

أشجار الأرز والصنوبر . . . القبور أمرتُها

فأيقظتْ نيامها ، وفغرتْ ، وأطلَقتْهم -

بفنّي الجبّار . . . ولكن هذا السحر العتّي

ها أنا ذا أرفضه. وحالما أحصل على
موسيقى سماوية - أطلبها الآن - (يرفع عصاه)
لأحقق إرادتي في عقولهم
(وهذه رقية هوائية لها)، سأكسر عصاي،
وأدفنها على عمق قامات في الأرض،
وكتابي سأغرقه في أغوار
لم يدركها قط مسبار.

(موسيقى مهيبة؛ هنا يدخل آرييل أولاً، ثم الونزو بحركة جنونية، يرافقه غونزالو، ثم سباستيان وأنطونيو على الغرار نفسه، يرافقهما أدريان وفرانسيسكو، يدخلون جميعاً في الدائرة التي وسمها بروسبيرو، وهناك يقفون مسحورين، يرقبهم بروسبيرو، ثم يتكلم.)

بروسبيرو: (لألونزو أولاً): ألا شفى النغمُ الشجيُّ عقلَك -
والنغم خير مريح للذهن إذا تغلغل -
هذا الذي يفور الآن سُدىً في جمجمتك. هناك قف،
يصدّك السحر...
غونزالو، أيها الرجل القدسيّ الشريف،
عيناي تشاركان ما تريان في عينيك،
وتذرفان معهما القطرات. إن الرقية في انحلال سريع.
وكما يتسلل الصبح إلى الليل،
مذيباً الظلام، هكذا تبدأ حواسهم المستيقظة

بطرد أبخرة الجهل التي غَشِيَتْ
صفاء عقولهم . . . يا غونزالو الطيب ،
حافظي الأمين ، والسيد الوفي
لذاك الذي تتبعه ، على حسن صنيعك
لأُجزلنّ لك العطاء ، قولاً وفعلاً . . . وأنت يا الونزو ،
بأشد القسوة عاملْتني أنا وابنتي .
وكان أخوك مُعيناً على فعلتك –
وها أنت الآن يا سباستيان تُقرص قرصاً جزاء عليها .
وأنت يا أخي ، يا لحمي ودمي ، يا من احتضنت الطموح
وطردت الضمير وشيم الطبيعة – وأردت ، مع سباستيان .
(الذي يعاني لذلك الآن أشد القرص في داخله) ،
أن تقتل مليكك – إني أغفر لك ،
وأن تكن شاذّ الطبيعة . . . جعل إدراكهم
يرتفع ، ومدّه القادم
سيملأ قريباً شطآن العقل التي
هي الآن طينية ملوثة . ما من أحد فيهم
حتى الآن ينظر إليّ ، أو يريد معرفة من أنا .
آرييل ، أحضر إليّ القبعة والسيف من حجرتي .

(يسرع آرييل إلى الكهف)

سأكشف عنّي ، وأقدم نفسي
كما كنت فيما مضى ، دوق ميلانو . أسرع أيها الروح ،

ستكون حراً عما قريب .

(يعود آرييل ، ويساعد بروسبيرو في تبديل ملابسه ، وهو يغني) .

آرييل : (يغني)

حيثما النحلة ترشف

أرشف أنا مثلها

في تويج الأقحوانة مضجعي ،

فيه أرقد حينما البوم يصيح .

وعلى متن وطواط أطير

ألحق بالصيف طروباً مَرِحاً .

طروباً مرحاً سأحيا الآن

تحت النَّوْر العالق بالفَنَن .

بروسبيرو: عفاك ، يا آرييل الرهيف . لسوف أفتقدك ،

ورغم ذلك سأمنحك حريتك . هكذا ، هكذا .

(إذ يساعده آرييل في ارتداء ثيابه)

إلى سفينة الملك ، وأنت ما زلت غير مرئي –

هناك ستجد الملاّحين نياماً

في العنابر: عندما يستيقظ الربّان والبحّار الأول

أدفع بهما إلى هذا المكان .

وفي الحال ، أرجوك .

آرييل : إني أشرب الهواء أمامي ، وأعود

قبل أن يخفق نبضك مرتين . (يختفي)

غونزالو: العذاب، والهمّ، والعجب، والذهول، كلها
تقيم هنا: ألا هدتنا قوة ما في السماء
خروجاً من هذا البلد المخيف.
بروسبيرو: أنظر يا سيدي الملك،
دوق ميلانو المظلوم، بروسبيرو!
ولمزيد التوكيد على أن الذي يخاطبك الآن
أمير حيّ، فإني أعانق جسمك،
وأرحب بك وبحاشيتك
أخلص الترحيب.
الونزو: إن كنت إياه أم لا،
أو إن كنت شيئاً مسحوراً يسخر مني،
كما سخر مني مؤخراً، فلست أدري. نبضك
يخفق، كما في اللحم والدم. ومنذ أن رأيتك،
خفّ عني ابتلاء ذهني الذي
أخشى أن جنوناً ما أصابني به. لا بد لهذا -
أن يكن حقاً واقعاً - من قصة غريبة عجيبة.
إني أعيد لك دوقيتك، وأتوسل إليك
أن تغفر لي إساءاتي. . . ولكن كيف اتفق لبروسبيرو
أن يكون حياً يرزق، وهنا؟
بروسبيرو: (لغونزالو): أولاً، يا صديقي النبيل،
دعني أعانق شيخوختك، أنت الذي شرفه

أعلى من كل حدّ وقدر.

غونزالو: لن أقسم إن كان هذا

حقيقياً، أم لا.

بروسبيرو: ما زلتم تذوقون

بعض غرائب الجزيرة، التي لن تدعكم

تجزمون بشيء. أهلاً وسهلاً، أيها الصحب جميعاً!

(جانباً لسباستيان وأنطونيو) أما أنتما، يا زوجاً من السادة، لو أردت لقذفتكما

بعبوس جلالته،

وبرهنت أنكما خائنان. ولكنني في هذه اللحظة

لن أشي بأحد.

سباستيان: (لأنطونيو): الشيطان يتكلّم فيه.

بروسبيرو: كلا...

فأنت، يا أخبث السادة - لو دعوتك بأخي

لأصيب حتى فمي بعدوى - إني أغفر لك

أشنع سيئاتك، كلها، وأطالبك

بدوقيتي، التي أعلم أنك مجبراً

ستعيدها.

الونزو: إن كنت حقاً بروسبيرو،

أسرد لنا تفاصيل بقائك حياً،

وكيف لقيتنا هنا، نحن الذين قبل ساعات ثلاث

ألقى بنا حطامُ السفينةِ على هذا الشاطيء، حيث فقدت

(ما أمضى حدّ هذه الذكرى!)

ابني العزيز فرديناند.

بروسبيرو: عميق حزني لذلك يا مولاي.

الونزو: إنها خسارة لا تعوّض، والصبر

يقول إنها أكبر من قدرته على الشفاء.

بروسبيرو: أغلب الظن أنك

لم تطلب من الصبر إسعافه، وهو الذي ببركته

مدّني بعون ناجع في خسارة مماثلة،

فرضيت وقنعت.

الونزو: أنت، في خسارة مماثلة؟

بروسبيرو: عظيمة مثلها، ومؤخراً كذلك، وما بوسعي

من طاقة على التخفيف منها أضعف بكثير

مما قد تستجمعه أنت تعزية لك. لأنني

فقدت ابنتي.

ألونزو: ابنتك؟

أيتها السماء! ليتهما كليهما حيّان في نابولي،

ملكاً وملكة هناك! ولو كانا، لتمنّيت

أن أكون ممرّغاً في ذلك القاع الطيني

حيث يرقد ولدي... متى فقدت ابنتك؟

بروسبيرو: في هذه العاصفة الأخيرة... أرى أن هؤلاء السادة

أذهلهم هذا اللقاء، فراحوا

يلتهمون عقلهم، رافضين أن يحسبوا
أن أعينهم تصْدُقُ في فعلها . . . كلماتي هذه
أنفاس طبيعية : ولكن مهما تكونوا
قد أُلقي بكم عن وعيكم، ثقوا
بأنني أنا بروسبيرو، أنا ذلك الدوق بعينه
الذي قُذِف به من ميلانو، فانتهت به الغرائب
إلى هذا الشاطىء الذي تحطمتم عليه،
ليصير سيدها . حسبي الآن هذا،
لأن ثمة تاريخاً ليوم بعد يوم،
ليس رواية لساعة الفطور، ولا هو
يصلح للقاء الأول هذا . (يضع يده على ستارة الكهف)
أهلاً بك يا مولاي .
هذه الحجرة بلاطي . هنا قليلٌ حَشَمي،
وفي الخارج ليس لي من رعية . أرجوك، أنظر إلى الداخل .
بما أنك قد وهبتني دوقيتي من جديد،
فإني أرد لك الجميل بمثله -
فأكشف لك، على الأقل، عن عجب يرضيك
بقدر ما أرضتني دوقيتي .

(يكشف بروسبيرو عن فرديناند وميراندا، وهما يلعبان الشطرنج)

ميراندا: سيدي الحلو، إنك تخادعني .

فرديناند : لا يا حبيبتي العزيزة،

لن أخادعك ولو أُعطِيتُ الدنيا كلَّها.

ميراندا: بلى، ولكن لقاء عشرين مملكة، لك أن تشاحن،

واعتبر أنا ذلك لعباً منصفاً.

ألونزو: إذا تبيّن أن هذه

رؤيا من رؤى الجزيرة، أكون قد فقدت

ابناً حبيباً مرتين،

سباستيان: معجزة خارقة!

فرديناند: (لأبيه): لئن تتهدد البحار، فإنها رحيمة –

لقد لعنتها دونما سبب. (يركع)

الونزو: (معانقاً ابنه): والآن، فلتُحِطْ بك

من كل جانب، بركاتُ أبٍ هزه الفرح.

إنهض وقل لي كيف جئت هنا؟

ميراندا: يا للروعة!

ما أكثر المخلوقات الحسنة التي هنا!

ما أجمل البشرية! ما أبدع العالم الجديد،

الذي فيه أناس كهؤلاء!

بروسبيرو: (مبتسماً بحزن) إنه جديد عليك.

الونزو: ما هذه الفتاة التي كنت تلعب معها؟

أقدم صداقة لك لا يمكن أن تبلغ ثلاث ساعات:

هل هي الالهة التي فرّقت بيننا

وجمعتنا معاً هكذا؟

فرديناند: أبي، إنها بشر فان،
ولكن العناية الخالدة جعلتها لي.
اخترتُها عندما لم يكن بوسعي أن أطلب من أبي
نصيحته، بل ما حسبت أنه في قيد الوجود. إنها
ابنة دوق ميلانو الشهير هذا،
الذي كثيراً ما سمعت بصيته
ولكن لم أره قط من قبل.
منه جاءتني حياة ثانية، وأباً ثانياً
جعلته لي هذه السيدة.
الونزو: وأنا أبوها الثاني.
ولكن يا لغرابة الأمر: عليّ
أن أطلب الغفران من ولدي.
بروسبيرو: حسبك هنا، يا مولاي.
لا تدعنا نثقل الذاكرة
بهمّ راح وانقضى.
غونزالو: لقد بكيت في داخلي،
وإلا لتكلمت قبل هذا... أنظري من العُلى أيتها الآلهة،
وأنزلي على هذين الزوجين تاجاً مباركاً،
لأنك أنت التي خططت الطريق
التي أتت بنا هنا.
الونزو: أقول آمين، يا غونزالو.

غونزالو: هل طرد صاحب ميلانو من مدينته، لكيما
يصبح نسله ملوك نابولي؟ آه افرحوا
أشدّ مما اعتدتم أن تفرحوا، وانقشوا هذا
بالذهب على الأعمدة الباقية: «في رحلة واحدة
وجدت كلاريبل زوجاً لها في تونس،
ووجد أخوها فرديناند زوجة له،
حيث كان قد ضاع... وبروسبيرو وجد دوقيته
في جزيرة معدمة، ولكنا جميعاً وجدنا أنفسنا،
عندما لم يبق أحد مُلْكاً لنفسه.»
الونزو: (لفرديناند وميراندا): أعطياني يديكما.
وليحتضن الحزنُ والفجيعةُ قلبَ كل من
لا يتمنى لكما الفرح.
غونزالو: آمين، آمين.

(يدخل آريبل، يتبعه الربّان والملاّح مندهشين)

آ، أنظر يا مولاي! هنا المزيد منّا!
لقد تنبأت، إن كان ثمة في البرّ مشنقة،
فإن هذا الغلام لن يغرق. (للملاح) ها يا أبا الكفر،
شتمتَ نعمة الله في السفينة، أما من شتيمة على الشاطىء؟
أما من فم لك في البرّ؟
ما الخبر؟
ملاّح: أروع خبر هو أننا وجدنا ملكنا وحاشيته

في أمان، ويليه روعةً أن سفينتنا
التي قبل ثلاث ساعات فقط اعتبرناها محطمة،
سالمةٌ الآن، ومهيأة، ورافعةٌ أبدعَ القلوع كما كانت
أولاً عندما ركبنا بها البحر.
بروسبيرو: يا روحي، الكثير الحيل!
الونزو: ما هذه بالأحداث الطبيعية. إنها تتصاعد
من غريب إلى أغرب. قل، كيف جئت هنا؟
ملاّح: لو حسبت يا مولاي أنني في كامل يقظتي،
لحاولت جهدي أن أخبركم... كنا في نومنا كالموتى
وقد حشرنا - كيف، لست أدري - في العنابر،
وإذا، فجأة، بأصوات عديدة غريبة،
أصوات زمجرة، وزعيق، وولولة، وقعقعة سلاسل،
وأصوات متباينة أخرى، رهيبة كلها،
توقظنا، وتطلقنا أحراراً على الفور،
حيث أبصرنا، بكل زينتها ونضارتها،
سفينتنا الملكية العامرة، الفخمة، وربّاننا
يقفز لمشاهدتها... وفي رمشة عين، رعاكم الله،
كما في حلم، فصلنا عن الآخرين
وجيء بنا هنا مشلولي الإرادة.
آرييل: (هامساً في أذن بروسبيرو): هل أحسنتُ صنعاً؟
بروسبيرو: أبدعتَ، يا أخفَّ روح! سأحررك.

الونزو: إنها متاهة غريبة لم يطأ مثلها إنسان؛
وفي هذا الأمر ما هو أكثر مما تضطلع به
الطبيعة أبداً. لا بد لنا من موحَى
يصحح معرفتنا.

بروسبيرو: سيدي، ومولاي،
لا ترهق ذهنك بالحوم حول
غرابة هذا الأمر. ففي وقت فراغ ملائم
نتصرف إليه كلياً عما قريب، سأفسرّ لك
كلا من هذه الأحداث التي وقعت -
ولسوف يبدو لك التفسير محتملاً. فامرح
حتى ذلك الحين، وليكن كل شيء عند حسن ظنك.
(لآريل) تعال هنا، أيها الروح،
أطلق سراح كاليبان ورفيقيه.
فكّ الرقبة. . . (يذهب آريل) كيف حال مولاي الكريم؟
هناك بعض الفتية من حاشيتك.
ما زالوا مفقودين، ولا تذكرهم.

(يدخل آريل، يسوق أمامه كاليبان وستيفانو وترينكولو، والأخيران يرتديان الثياب المسروقة)

ستيفانو: ليتدبُر كلُّ امرىء شؤون الآخرين، ولا تدع أحداً
يتدبر لنفسه. كل شيء نصيب. تشجع،
أيها الوحش الشّكِس، تشجع!

ترينكولو: إن كان ما ألبس في رأسي باصرتين صادقتين،

فإن هذا مشهد جميل.

كاليبان: يا سيتيبوس! إنها أرواح رائعة حقاً.

ما أبدع سيدي! أخشى

انه سيعاقبني.

سباستيان: ها ها!

ما هذه المخلوقات يا سيدي أنطونيو؟

أتشتريها النقود؟

أنطونيو: محتمل جداً. أحدها

سمكة ظاهرة، ويمكن تسويقها ولا ريب.

بروسبيرو: أنظروا إلى شارات هؤلاء الرجال، يا سادتي،

ثم قولوا هل هم حقيقيون . . . هذا الوغد الممسوخ،

كانت أمه ساحرة، بل ساحرة قوية

تستطيع أن تتحكّم بالقمر، وتسبب المد والجزر،

وتتعامل بأوامرها خارج سلطاتها.

هؤلاء الثلاثة سرقوني، وشبه الشيطان هذا -

لأنه شيطان نغل - تآمر معهما

على قتلي: اثنان من هؤلاء الرجال

لا بد أنكم تعرفونهما وتعترفون بهما. أما مخلوق الظلام هذا

فإني أقرّ أنه لي.

كاليبان: سأُقْرَصُ حتى الموت!

الونزو: أليس هذا ستيفانو، خادمي السكّير؟

سباستيان: إنه سكران الآن. من أين له الخمر؟

الونزو: وهذا ترينكولو، مستوياً يتطوطح! أين تراهم

وجدوا هذا الشراب العظيم الذي حمّرهم؟

كيف اتفق لك أن تتخلّل هكذا؟

ترينكولو: تخلّلت وما زلت منذ أن رأيتك آخر مرة، وأخشى أن الخلّ لن يخرج من عظامي أبداً. ولن أخشى حطّ الذباب(3).

(ستيفانو يئن)

سباستيان: ما بك الآن يا ستيفانو؟

ستيفانو: آخ، لا تلمسني! أنا لست ستيفانو، بل أنا التشنّج.

بروسبيرو: يا أنت، أتريد أن تكون ملك الجزيرة؟

ستيفانو: لكنت ملكاً مُوَرَّماً إذن.

ألونزو: (مشيراً إلى كاليان): هذا أغرب مخلوق وقعت عليه عيناي.

بروسبيرو: وهو مختلّ النّسب في أخلاقه

إختلالها في شكله... هيا، يا أنت، إلى حجرتي!

وخذ معك رفيقك. فإذا أردت

صفحي، رتبها أجمل ترتيب.

كاليبان: نعم، سأفعل ذلك. وسأعقل بعد اليوم

وأطلب الرأفة. أيَّ حمارٍ ثلاثَ مراتٍ مزدوجاً

كنتُ أنا، لأحسب هذا السكّير إلهاً!

وأعبدَ هذا الأبله الغبي!

بروسبيرو : هيّا ، تحرّكوا .

الونزو: انصرفوا – وأعيدوا الأمتعة إلى حيث وجدتموها .

سباستيان : أو قل سرقتموها .

(ينسحب كاليبان ورفيقاه)

بروسبيرو: مولاي ، إني أدعو جلالتكم وحاشيتكم

إلى حجرتي الفقيرة: حيث تستريحون

لهذه الليلة وحدها ، وسأقضي بعضها

بحديث لا أشك في أنه سيجعلها

تمرّ بسرعة . . . قصة حياتي

وتفاصيل الأحداث التي جرت

منذ أن جئت هذه الجزيرة . وفي الصباح

سآخذكم إلى سفينتكم ، وهكذا إلى نابولي ،

حيث آمل أن أرى زفاف

حبيبنا هذين تكرّسه الشعائر ،

ومن ثمّ سأعود بنفسي إلى ميلانو بلدي ، حيث

يكون كلّ خاطر ثالث في بالي هو قبري .

الونزو: إني أتوق

إلى سماع قصة حياتك التي ، ولا ريب ،

ستأخذ الأذن بغرابتها .

بروسبيرو: سأروي كل شيء .

وأعدكم ببحر رائق ، ورياح سانحة

وإقلاع ينأى بكم بعيداً

عن أسطولكم الملكي. محبوبي آرييل،

هذه مهمتك: ولتكن بعد ذلك حرّاً

مع العناصر، والوداع لك...

(منحنياً للجماعة) تفضلوا، اقتربوا.

(يدخلون جميعاً الكهف، وتنزل الستارة)

ختام

(يلقيه بروسبيرو)

رقاي السحريةُ الآن رميتُها،
وما بي من قوّة سوى قوتي أنا،
وما أوهَنَها! صحيحٌ الآن
أنّ عليّ أن تحبسوني هنا
أو ترسلوني إلى نابولي.
وبما أنني استرددت دوقيتي
وعفوت عن مخادعي، لا تدعوني
أقيم في هذه الجزيرة الجدباء، بسحركم
بل أعتقوني من قيودي
بعون من كريم أكُفّكم(4).
على أشرعتي بوادع الأنفاس منكم
أن تمتلىء، وإلا خاب مسعاي الذي
كان: أن أمتّعكم. والآن تعوزني
الأرواح للتنفيذ، والفن للسحر -

ونهايتي هي اليأس : إلاّ
إذا أنقذتني صَلاتكم
وهي شديدة النفاذ حتى
لتدرك الرحمة نفسها ،
وتصفح عن السيئات كلها .
فكما تودون غفراناً لذنوبكم ،
بسماحكم حرّروني .

هوامش :

(1) لأنه ما عاد مثقلاً بالهموم .

(2) تعتبر السنديانة في الأساطير الإغريقية شجرة جوبيتر ، كما أن الصواعق تضرب بأمر منه .

(3) تخليل اللحم يمنع حطّ الذباب عليه .

(4) يقصد أيضاً تصفيق الجمهور.

الفهرس

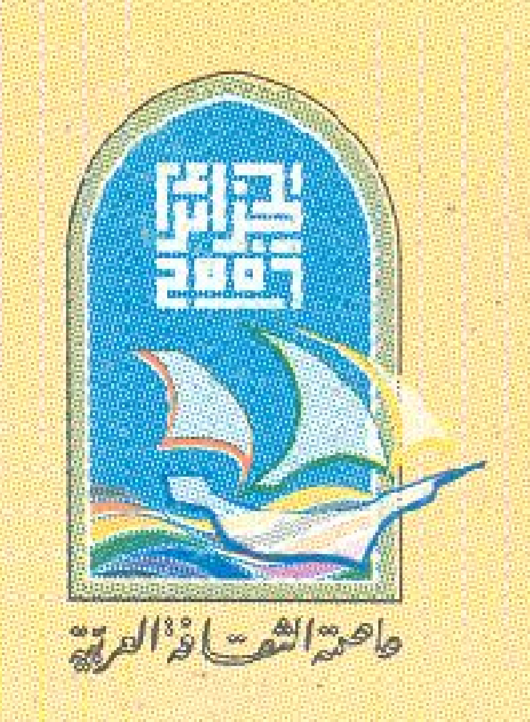
طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

وحدة الرغاية، الجزائر

2007

Achevé d'Imprimer sur les Presses
ENAG, Réghaïa
- Algerie -

Bp. 75 Z.I. Réghaïa Tél. : 021 84 80 10/84 86 11



مكبث

متبوع بـ:

العاصفة

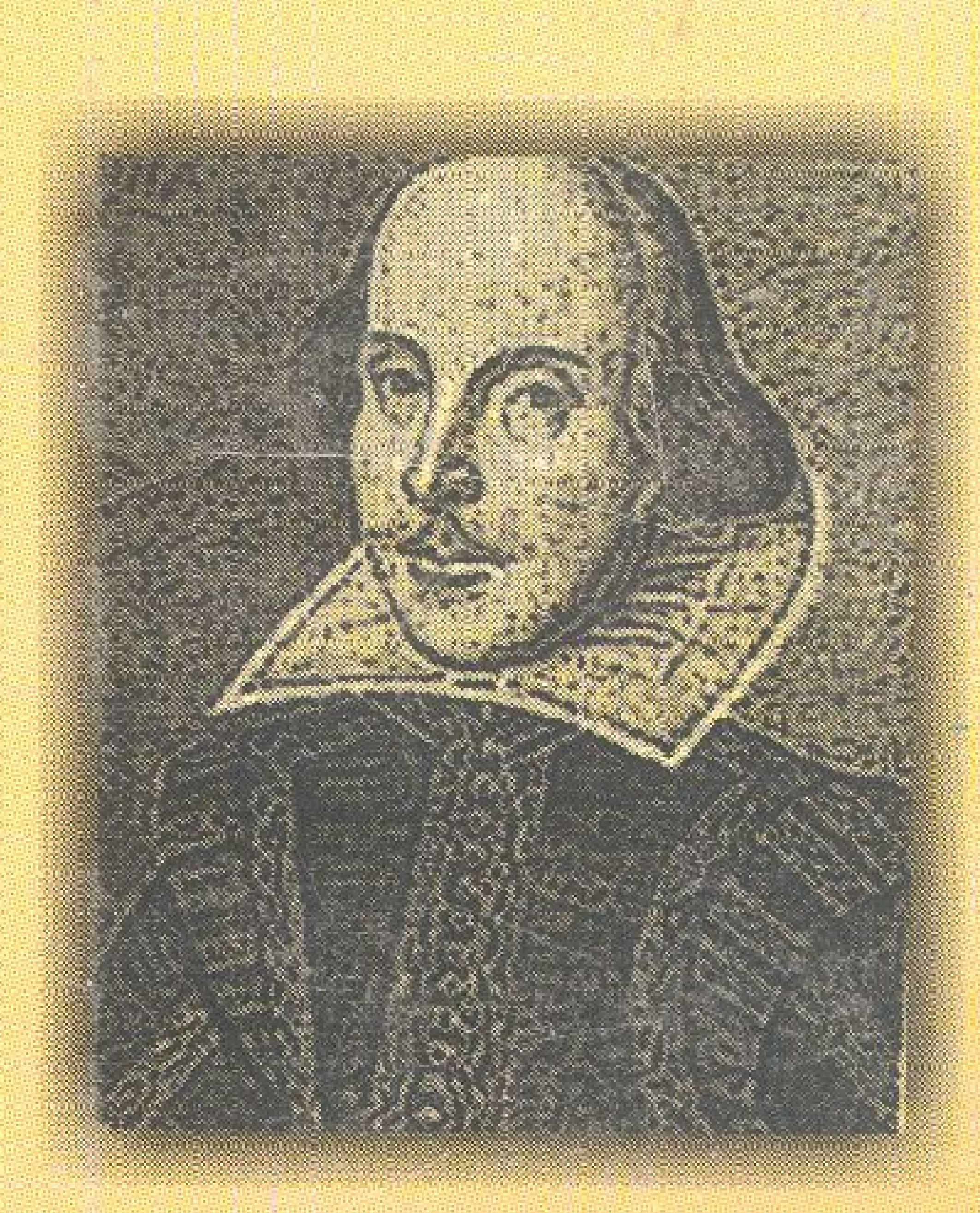
ويقدم لنا شكسبير شخصيات خالدة، لا نعدم أبدا العثور عليها في كل زمان ومكان، فنجده يرافق - بصفته شاعرا- الرغبات الجامحة بصفة لا تخلو من إعجاب وإفتتان، وكأنه يشعر بالعطف عليها كما لو أنها قد إتخذت شكلا حيا، فيرعى نشأتها ويلازمها حتى تنفجر كالعاصفة بكل ما فيها من بروق ورعود.

أبو العيد دودو



Bibliotheca Alexandrina
0548042

ISBN 978-9961-62-574-3
9789961625743



Designer : Med ZOUAOUI